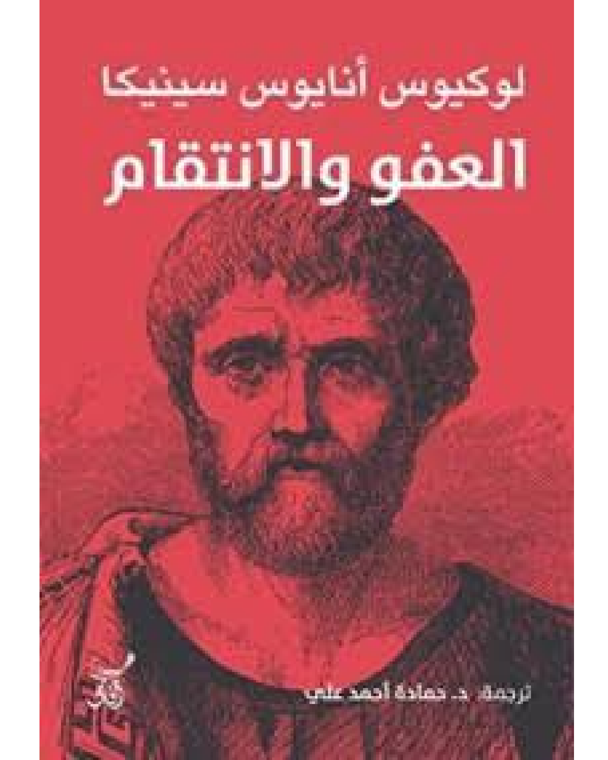

لوكيوس أنايوس سينيكا
العفو والانتقام
ترجمة: د. حمادة أحمد علي

العفـــــو
والانتقام

لوكيوس أنايوس سينيكا

- المؤلف: لوكيوس أنايوس سينيكا
- العنوان: العفو والانتقام
- ترجمة: د. حمادة أحمد علي
- الطبعة: الأولى 2020
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:
٢٠٤٣٠ / ٢٠١٩
الترقيم الدولي: ISBN
978 - 977 - 765 - 247 - 6

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

لوكيوس أنايوس سينيكا

العفو والانتقام

ترجمة

د. حمادة أحمد علي

رئيس قسم الفلسفة

جامعة جنوب الوادي

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

سينيكا، لوكيوس أنايوس

العفو والانتقام- ترجمة : د. حمادة أحمد علي

ط1القاهرة -آفاق للنشر والتوزيع - 2020

168 ص، 24 سم.

رقم الإيداع 20430 / 2019

الترقيم الدولي 6 - 247 - 765 - 977 - 978

1 - العنوان

أ - سينيكا، لوكيوس أنايوس

المحتويات

إلى ابنتي البكر
رويدا

سينيكا وعالمه

لاحظ سينيكا في رسالته (*Letter 13.14*) أن ما صنع عظمة سقراط هو موته بسُم الشوكران، حيث أكد موته صمود مبادئه الفلسفية، واعتقاده بأن الموت ليس مخيفًا، وقد لاقى سينيكا مصير سقراط حين حكم عليه نيرون بالانتحار عام ٦٥م، ونعتقد أن ما ذهب إليه تاكيتوس *Tacitus* في حوليته (٦٣ , ١٥) صوابٌ، حيث إن الرواقية الرومانية وازنت بين موته وموت سقراط وهو يتحدث عن الفلسفة بسكينة بين أصدقائه بينما يتقطر الدم من عروقه. ولم ينصبَّ وصف تاكيتوس هنا على وعظ سينيكا فحسب، بل كذلك على منهج حياته.

وقد مُنيت حياة سينيكا بخيبة أمل من الناحية السياسية نتيجة تأثرها بالنفي والعودة وتسوية علاقته بالإمبراطور نيرون تلميذه وقاتله أخيرًا، وتخبرنا كتاباته باليسير عن وظيفته السياسية وعلاقته بنيرون باستثناء ما يمكن أن نستشفه من مقاله عن العفو *On Clemency*. وتخبرنا المصادر المتأخرة مثل تاكيتوس وسويتونيوس وكاسيوس ديو (١٥٠ق.م–٢٣٥م) *Tacitus, Suetonius, Dio and Cassius* أن سينيكا وُلد لعائلة عريقة في الفروسية بمدينة قرطبة *Corduba* في هسبانيا بين عامي ١–٤ قبل الميلاد، وهو الابن الثاني من ثلاثة أبناء لهيلفيا ولوكيوس أنايوس سينيكا، والأخ الأصغر هو أنايوس ميلا وهو والد الشاعر

لوكان. وقد قضى الأب فترة كبيرة من حياته في روما، وكان حينها سينيكا صبيًّا صغيرًا، وهناك تلقى تعليمه في البلاغة، وأصبح تلميذًا للفيلسوف سكيتوس، وتأخر دخوله في الحياة السياسية، وحين امتنع ترشحه للمنصب في عهد تيبريوس اعتلَّت صحته وأصابه الربو وربما السل، وكانت علاقته بالسياسة قصيرة، ونجا من عداء كاليجولا بفضل موهبته في الخطابة كما تخبرنا المصادر، ونفاه كلاوديوس إلى كورسيكا بعد وفاة كاليجولا بفترة وجيزة عام ٤١ م بتهمة الزنا في جوليا ليفيلا الشقيقة الصغرى لكاليجولا، وهذا الادعاء كاذب بالتأكيد. وقد قضى سينيكا وقته في المنفى في دراسة الفلسفة، وكتب «عزاء إلى هيلفيا» والدته، و«عزاء إلى بوليبيوس» السكرتير الخاص لكلاوديوس، ويكشف في هذا الكتاب عن رغبته في العودة إلى روما.

وحين عاد سينيكا إلى روما بضمانات عدة، كان كلاوديوس قد تزوج فتاةً جرمانية هي أجريبينا الصغرى، والتي حثته على استقدام سينيكا لتعليم ابنها نيرون ذي الاثني عشر عامًا، وقد كان لكلاوديوس ابنٌ آخر أصغر منه هو بريتانيكوس، ومن الواضح أن أجريبينا المراوِغة طمحت أن ترى ابنها من لحمها ودمها على العرش. وبعد أن توفي كلاوديوس بخمس سنوات ناورت أجريبينا حتى تمكن ابنها من تولي عرش الإمبراطور، وبعد فترة وجيزة دست السم لبريتانيكوس عام ٥٥م. وقد عمل سينيكا مستشاراً لنيرون مع قائد برايتوري هو سكتوس أفرانيوس بوروس *Sextus Afranius Burrus* من عام ٥٤ وحتى تضاءل نفوذه في نهاية العقد. ونحن نعلم أنه كتب مقاله «عن العفو» لنيرون؛ ليلقيه على مجلس الشيوخ عقب انضمامه إليه بفترة وجيزة، وقد احتوى مقاله «عن العفو» على بعض الشكوك من خطة نيرون للحفاظ على الإمبراطور الشاب من العدو المسعور، واستخدم سينيكا كلمة ملك *rex* مشيرًا بها إلى نيرون السيناتور الروماني من باب المماثلة والاندهاش، ويبدو أنه امتدح نيرون، وأشار إلى سلطته التي لا حدود لها وإلى

قيمة العفو التي قد تحفظه من تقلبات السلطة، وأيدت الإدارة القضائية والمدنية الإمبراطورية سينيكا وبوروس.

ويؤكِّد كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين أن الفترة الأولى من حكم نيرون التي أدارها سينيكا وبوروس، هي فترة سادها الانسجام والعدل وأُطلق عليها خمسية نيرون *quinquennium Neronis*، وبدأ الانحطاط بقتل نيرون لأجريبينا عام ٥٩م، وكتب بعدها خطابًا للإمبراطور يبرئ نفسه، وربما كان هذا مثالًا لفيلسوف عظيم وجد نفسه متورطًا بسبب منصبه ككبير مستشاري نيرون، وحتى يزيل الغموض حول مَن جعلوا معارضتهم لنيرون واضحة مثل ثراسي بياتوس *Thrasea Paetus* وهيلفيديوس بريسكوس *Helvidius Priscus*. ويحتمل أن مشاركته في الأحداث السياسية قادته لاعتقاده أن بإمكانه أن يفعل خيرًا بوقوفه بجانب نيرون، الذي تخلى عن نصح سينيكا.

وقد تضاءل تأثير سينيكا على نيرون بعد موت بوروس عام ٦٢م، وحاول التنحي عن منصبه مرتين عام ٦٢م و٦٤م، ورفض نيرون المحاولتين، وغيب سينيكا نفسه عن الأحداث بعد عام ٦٤م. وفي عام ٦٥م جاءت مؤامرة بيزونية *Pisonian* لقتل نيرون ليتولى محله الزعيم كالبورنيوس بيزو *C. Calpurnius Piso*، ورغم أن لوكان ابن أخ سينيكا كان متورطًا في المحاولة فقد برأ سينيكا نفسه، ولكن نيرون انتهز الفرصة ليأمر معلمه القديم بقتل نفسه، فقطع سينيكا شرايينه. ويخبرنا تاكيتوس أن نحافة سينيكا وتقدمه في العمر قد أعاقا تدفق الدم منه، وحين فشل الانتحار في قتله، أجلسوه في حمام ساخن حتى يتدفق الدم منه بسرعة، وحاولت زوجته الانتحار بعده، ولكنهم أنقذوها بأمر نيرون.

ولقي سينيكا رواجًا عند المسيحيين الأُوَل، وأثرت كتاباته الأخلاقية على القديس بولس، ونال حقه من النقد، ونشب عليه هجوم للتناقض الظاهر بين

تعاليمه الرواقية في عدم الاهتمام بالمظاهر الخارجية ورأيه في تكديس الثروة، وربما لم ينلْ لهذا السبب نفس احترام الرواقي موسونيوس روفوس الذي لُقِّب بـ«سقراط الروماني». والشخص الوحيد الذي هاجم سينيكا في حياته هو سيلليوس، بسبب تراكم ما يقرب من ٣٠٠ مليون سسترس منذ صعود نيرون للسلطة نتيجة الرسوم الباهظة على إيطاليا والولايات الأخرى، ونُفي سيلليوس إلى جزيرة بليار لاختلاسه وتلصصه. ويبدو أن سينيكا كان متقشفًا رغم ثروته، وفي مقاله «عن الحياة السعيدة» *De vita beata* اتخذ موقف الفيلسوف الغني صاحب الثروة التي تُربح وتُخسر، وموقفه منها منفصل تمامًا. ويحتمل سينيكا في تقديرنا تناقضات عدة فرضتها حياته السياسية.

مقدمة موجزة عن الرواقية:

الرواقية من أكثر الفلسفات تأثيرًا في العالم. بدأت بأعمال وتعاليم ثلاثة روَّاد أساسيين للمدرسة الرواقية اليونانية، وهم: زينون الكتيومي (٢٦٣-٣٣٥ق.م)، وكليانتس (٢٣٢-٣٣١ق. م)، وخريسبوس (٢٠٧-٢٨٠ق.م). وأصبحت حركة فلسفية رائدة في العالم اليوناني الروماني القديم، وشكلت تطور الفكر في العصر المسيحي. وقد تلا الرواقيةَ اليونانية رواقيةُ بانيتوس (١٠٩-١٨٥ق. م)، وبوزدنيوس (٥١-١٣٥ق. م)، اللذين جسَّدا بعض ملامح المذهب الرواقي. وواصل المفكرون الرومانيون المسيرة، وأصبحت الرواقية معتقدًا شبه رسمي للعالم الروماني في الأدب والسياسة. وإن لم يتفق شيشرون مع الرواقية في المسائل الميتافيزيقية والجمالية، إلَّا أن مواقفه الأخلاقية والسياسة خضعت لفكرهم، وحتى لو لم يتفق مع الرواقية فقد كان يبذل جهده ليقر بالاتفاق معها، كما شكل سينيكا وإبكتيتوس رواقية النصف الأول من القرن الثاني، وقد كتب موسونيوس روفوس والإمبراطور ماركوس أوريليوس كتابات رواقية تمثل آخر كتابات اليونان.

إن إسهامات الرواقية الرومانية كانت هائلة عند خريسبوس، فقد ابتدع منطق القضايا وفلسفة اللغة، ناهيك عن الإنجازات غير المسبوقة في علم النفس الأخلاقي، وكذلك التمييز بين علاقة الميتافيزيقا والجمال بالفلسفة الأخلاقية والسياسية. ومن المؤسف أن كل أعمال الرواقية اليونانية قد فُقدت، وعلينا أن نتناول فكرهم من خلال فقرات تركها لنا ديوجين لايرتوس في كتابه «حياة الفلاسفة»، وشيشرون، وسكتوس أمبريكوس في كتاباته الشكية، والتي كان الرواقيون هدفها المحوري. وأما أعمال المفكرين الرومان فقد عُدلت لتناسب الواقع الروماني، وقد ساهمت في نظرتهم الإبداعية، وهذا يعني أن معرفتنا بالمنطق والفيزياء في الرواقية أقل بكثير من معرفتنا بالأخلاق عندهم، حيث كان جل اهتمام الرومان بالجانب العملي.

وتتشابه غاية الفلسفة الرواقية مع المدارس الفلسفية الأخرى في العصر الهيللينستي، حيث حررت المزيد من أشكال العوز الدنيوي والفشل الأخلاقي، لذا كانت الرواقية كلية الوجود في مجتمعاتها على خلاف المدارس الأخرى المنافسة لها، ومن ثم شددت على دراسة منظومة ثلاثية من المنطق والطبيعة والأخلاق لفهم العالم وترابطاته، لدرجة أن شيشرون الروماني اعتقد أنه بالإمكان التمسك بالحقائق الأخلاقية الرواقية دون اعتقاد يقيني في عقلانية العالم. وهذا الموقف مبتدع من شيشرون، على حد تعبير إيمانويل كانط.

وتنصب الطبيعة الرواقية على أن العالم كُلٌّ منظَّمٌ عقليًّا، وكل ما يحدث فيه يحدث على خير وجه، وإن كان موقف لايبنتز من التجسد قد ظهر في كانديد لفولتير وهو يرفض الدين التقليدي التجسيدي، فإن الرواقية وهبت اسم زيوس لمبدأ عقلاني يُحيي العالم ككل، واعتبروه دلالةً على حسن النظام العام للكون حتى في الأحداث البسيطة أو المؤلمة مثل الزلازل والصواعق، وهذا النظام أخلاقي مبني على جلال الباطني وقيمة القدرات الأخلاقية للكل. وآمنت الرواقية

أن هذا النظام حتمي؛ لأن كل شيء يحدث وفقًا للضرورة. ولكونهم توافقيين أيضًا آمنوا بأن حرية إرادة الإنسان متوافقة مع صحة الحتمية، وقد أدخلهم هذا في نقاشات ملتهبة مع الأرسطيين اللا توافقيين، وهذا ما جعل إسهامهم في مسألة حرية الإرادة مفتوحًا للمناظرة.

ونبعت الأخلاق الرواقية من فكرة القدرة العقلية اللا محدودة في كل إنسان، وفهمت الرواقية الرومانية هذه القدرة على أنها محور عملي وأخلاقي، خلافًا لأفلاطون الذي لم يفكر في أن مَن لديهم موهبة طبيعية في تعلم الرياضيات أفضل ممَّن ليس عندهم، ويصبحون أكثر تشككًا حتى لو درسوا منطقًا له قيمةٌ عمليةٌ. ورأى الرواقيون أن كل البشر متساوون من حيث القدرة التي يحتكمون بها على قدرة الاختيار وتوجيه حياتهم التي قد تصل عند البعض إلى غاية لها قيمة، لذا يقولون إن ما يميز الإنسان عن الحيوان قدرة الاختيار والرفض، وقد كرسوا جانبًا لمعالجة سلوك الحيوان خلافًا لمعظم المدارس القديمة الأخرى، ومن ثَم رأوا أن المعاملة الحسنة واللائقة هي غاية الأخلاق الوحيدة، فالأطفال على حد قولهم يقبلون على العالم مثل حيوانات صغيرة بتوجه طبيعي نحو الحفاظ على الذات، ولكن دون فهم للقيمة الحقة، ومع ذلك يحدث تغير ملحوظ ينشأ عندهم نظرًا لطبيعتهم الفطرية ويصبح بإمكانهم تقدير أهمية القدرة على الاختيار والمنهج الأخلاقي الذي شكَّل العالم برمته، وقد وجَّه هذا الاعتراف الناس إلى احترام الذات والآخرين بطريقة جديدة. وكان الرواقيون جادين في مسألة المساواة؛ فقد حثوا على تعليم العبد والمرأة، وقد كان إبكتيتوس ذاته عبدًا.

وقد ربطت الرواقية نظرتها الأخلاقية بالعواقب السياسية الفعلية، وهي تؤكد على المساواة في الحقوق السياسية وإتاحة الفرص الاقتصادية المتكافئة، ورغم أن الأصولية الرواقية أبقت على الأهمية القصوى للسياسة، إلا أن القيمة الأخلاقية هي الجوهرية فحسب، فالسعي نحو المال والشرف والسلطة والصحة البدنية

وحتى حب الأصدقاء والأطفال والزوجة يمكن أن يكون معقولًا إن لم يُعِقْهُ شيء، وهو ليس قيمة جوهرية حقة، وقد أطلقوا عليه «تفضيل المحايدات»، ولا يتناسب مع القيمة الأخلاقية. لذا حين لا يصل المرء إلى ما يتمناه، فمن الخطأ أن يأسى.

وهذا هو السياق الذي قدم فيه الرواقيون لمذهب الأباثيا *apatheia* أي التحرر من الانفعالات، وهم يدافعون عن العواطف والانفعالات الأسمى حيث تنطوي على تقدير حسن للخير الظاهر، وهم يرون أن الرواقي الحق لا تحمل جنباته هذه الاضطرابات الشخصية، وقد أدركوا أن أحداث الصدفة تكمن في سيطرتنا، حيث وجدت الرواقية أنه لا ضرورة للحزن والغضب والخوف أو حتى الفرح؛ لأن هذه المشاعر تجشؤات عقل يترقب في قلق ورعب أشياء محايدة، ويمكننا أن نعيش حياة الفرح الحقة إذا قدرنا كل شيء قدره، والتقدير الحق للشيء يكمن في سيطرتنا المطلقة على زمننا.

ولم يدرك الرواقيون أن من الصعب التخلي عن الضلالات الثقافية التي تأسست على الانفعالات المرفوضة، وهكذا كانت الحياة الرواقية عملية علاجية مستمرة أبدعتها التدريبات العقلية لفطام العقل من مصادراته الفجة. وتصف أعمالهم عملية العلاج، والتي يمكن للقارئ أن يحقق من خلالها الفضيلة الرواقية، وغالبًا ما يشركون القارئ في هذه العملية، فقد وصف أبكتيتوس وماركوس أوريليوس عملية التأمل المتكررة، كما وصف سينيكا في مقاله «عن الغضب» محاسبة ذاته ليلًا، ويعرض سينيكا في خطاباته أيضًا دور المعلم الحكيم الذي يُمكن أن يقوم بها في مثل هذه العملية، ولم يفكر سينيكا فيمَ إذا كان هو ذاته خاليًا من المصادرات الخاطئة. إن الرجل الحكيم بهذا المعنى مثال بعيد، وليس واقعًا دنيويًّا، خاصةً عند الرواقيين الرومان. والعون الأكبر في العملية العلاجية هو دراسة التشوهات المرعبة التي تعانيها هذه المجتمعات برغبتها في الخير الظاهر، ولو عاين المرء الوجه القبيح للسلطة والشرف أو حتى الحب بما فيه الكفاية،

فربما قد يتوقف المرء عن التقدم نحو الفضيلة الحقة، وهكذا كان سينيكا في مقاله «عن الغضب» مثالًا لنوع شائع في الرواقية.

ولم يطرح الرواقيون أي تغيير فعلي في توزيع الخيرات الدنيوية كما يفترض المرء اعتبارًا متكافئًا لتصنيف البشر بسبب اعتقادهم، وهم يعتقدون أن الاعتبار المتكافئ لا يستلزم معالجة كل شخص، ولذا حث سينيكا السادة على عدم قهر العبيد وعدم استخدامهم كأدوات جنسية؛ فإن عادة العبودية الصمت، ولا يوجد ما هو أسوأ من الصمت. ورأى سينيكا أن الحرية الحقة هي الحرية الباطنية، وأما الشكل الخارجي ليس جوهراً. وقد يتشابه سينيكا مع موسونيوس روفوس، حيث دعا إلى معاملة المرأة معاملة حسنة، ناهيك عن حصولها على التعليم الرواقي. وتقييد المرأة في النظام القانوني بدور منزلى حيث يتولى الرجل السلطة المصيرية، ولم يتحدث سينيكا عما سيتحقق من فضيلة عن رواقية المرأة في حالة مكوثها في المنزل. ويعتقد بعض الرواقيين الرومانيين أن الحرية السياسية جزءٌ من الكرامة، ولذلك غاب الدعم للمؤسسات الجمهورية، إلا أن الاهتمام بالظروف الخارجية الذي تتفق عليه الرواقية لا يزال غامضًا، ومن المؤكد أن عمق الحزن عند شيشرون على فقدان الحرية السياسية كان أشد وقعًا من حزنه على موت ابنته.

وقد ثار جدل هائل حول ما إذا كانت الأباثيا الرواقية قد فصلت الناس عن السياسة الرديئة أم أنها أعانتها، ومن المؤكد أن الرواقيين كما هو معلوم قد نصحوا باعتزال السياسة، واعتقدوا أن الثورة أسوأ من انعدام القانون. ويروي بلوتارخ أن بروتوس الأفلاطوني سأل المتآمرين عن اغتيال يوليوس قيصر هل كانوا يقبلون المبدأ الرواقي أم يؤمنون بأن انعدام القانون أسوأ من الحرب الأهلية؟ إلا أن غير الرواقيين انحازوا لمجموعة القتلة. وانضم في عهد نيرون كثير من الرواقيين البارزين –بما فيهم لوكان ابن أخ سينيكا– إلى الحركات السياسية الجمهورية التي تهدف إلى الإطاحة بنيرون، وفقدوا حياتهم نظير هذا، وانتحروا سياسيًّا.

واعتقد الرواقيون -من منظور أخلاقي- أن الحدود القومية لا علاقة لها بالشرف والثروة والجنس والميلاد، ورأوا أنهم مواطنون كونيون، وقد ظهر اصطلاح "مواطن العالم" عند ديوجين الكلبي، وتمسك به الرواقيون، وصار جذرًا للمواطنة الكونية الحديثة، ولكن ما يطلق عليه مواطنة كونية غير واضح عمليًّا. واعتقد شيشرون في كتابه «الواجبات» أن فضائلنا الإنسانية المشتركة مقيدة ببعض الحدود الصارمة لدواعي الحرب ونوع السلوك المباح فيها، وهكذا صك شيشرون أساس القانون الحديث في الحرب، وأنكر أن تلتزم إنسانيتنا بأي واجب في توزيع الخيرات المادية لما وراء حدودنا. وقد أثر كتاب الواجبات لشيشرون في الأجيال التالية في هذا الصدد، وقد بالغ شيشرون في إلقاء اللوم على الرواقيين؛ لأننا نعمل بعيدًا عن معتقداتنا في القانون الدولي خاصة في مجال الحرب والسلام، ولا نفهم بيننا واجباتنا المادية فهمًا صحيحًا.

وقد امتد تأثير الرواقية ليطال التراث الفكري الغربي برمته، ويدين لها الفكر المسيحي بدَينٍ ثقيل، ويكفي مثال واحد لمفكر مسيحي استغرق في الرواقية، وهو كليمنت السكندري. وحتى أوغسطين الذي طعن فيما تطرحه الرواقية حيث وجد أنه من الطبيعي أن ينطلق من مواقفها. ومن الملفت أن كثيرًا من الفلاسفة في طليعة العصر الحديث تحولوا نحو الرواقية، ولم يتجهوا نحو أفلاطون وأرسطو، وقد بُنيت الأفكار الأخلاقية الديكارتية على القوالب الرواقية، واستغرق اسبينيوزا في الرواقية في كل واردة عنده، وتأسست الغائية عند ليبنتز على الرواقية، ووضع هوجو جروتيوس أفكاره عن القانون والأخلاقية الدولية على قوالب رواقية، ولجأ آدم سميث إلى الفكر الرواقي فحسب ولم يتجه للمدارس الفكرية القديمة الأخرى، وبُنيت أفكار روسو عن التربية في جوهرها على نماذج رواقية، ووجد كانط إلهامًا في الفكر الرواقي عن إجلال الإنسان والمجتمع العالمي السلمي.

وتأثير الرواقية في تاريخ الأدب جليٌّ، فالشعراء والتربويون الرومان كانوا على بينة من الأفكار الرواقية، وأشاروا إليها في غالبية أعمالهم، كما هو واضح عند فيرجيل ولوكان. ويكشف التراث الأدبي الأوربي المتأخر عن نفوذ الرواقيين في الأدب الروماني، ناهيك عن تأثر عصرهم ذاته بأعمال شيشرون وسينيكا وماركوس أوريليوس.

رواقية سينيكا

يصف سينيكا نفسه بالرواقي، ويعلن ولاءَهُ للرواقيين في كتاباته بوصفهم «أهلنا»، ويستقل بذاته في علاقته ببعض الرواقيين، في حين أنه يلتزم بأسس المذهب الرواقي، ويعيد صياغته بناء على تجربته وقراءته المتبحرة للفلاسفة الآخرين، واتبع في هذا منهج التراث الفلسفي الرواقي الذي يجسده بانيتوس وبوزدونيوس، اللذان قدما بعض العناصر الأفلاطونية والأرسطية لتتكيف مع رواقية المجتمع الروماني. ويختلف سينيكا عن سابقيه من الرواقيين؛ لأنه رحَّب بالفلسفة الإبيقورية باختلافاتها.

وركز سينيكا في تطبيق المبادئ الأخلاقية الرواقية على حياته وحياة الآخرين بالمثل، والتساؤل الذي هيمن على كتاباته الفلسفية هو: كيف يعيش المرء حياة خيرة؟ وكان سينيكا يرى أن السعي للفضيلة والسعادة مسعى بطولي يضعُ الإنسانَ الناجح فوق بطش الانتهازية وفي مستوى الرب، ولتحقيق هذه الغاية حوَّل سينيكا الحكيم إلى شخصية ملهمة، بإمكانه تحفز الآخرين ليتبعوا مثاله بلطف الإنسانية وبهجة الهدوء، ومفتاح فلسفته هو كيف يوفق المحنة الإنسانية بالعناية الإلهية، وكيف يحرر ذاته من انفعالات الغضب والحزن، وكيف يواجه الموت، وكيف

يحرر ذاته من المشاركة السياسية، وكيف يعيش الفقر ويستخدم الثروة، وكيف يفيد الآخرين، وقد نظر إلى هذه المساعي في سياق أسمى وهو منظور الألوهية العاقلة والفاضلة ليحقق نفس الفضيلة في محاولات البشر. وقد ناقش سينيكا في مجال السياسة العفو عند الحاكم الأسمى، وقد أولى اهتمامًا خاصًّا بالصداقة وموقف العبيد والعلاقات الإنسانية، وهدف إلى استبدال البنية الاجتماعية باعتمادها على الثروة ببنية أخلاقية مقاربة وفقًا لغاية الحكيم.

لقد تخلل كتابات سينيكا قلق ومخاوف شخصية، ورغم أن القارئ المعاصر يقرأ عن حياة سينيكا الأرستقراطية في عهد كلاوديوس ونيرون، وعن ضعف وقوة شخصيته، إلا أنه يتجاوز في الوقت نفسه اهتمامات سينيكا وعصره. وقد يتردد بين جمهور المعاصرين أن دعوته للبشر ليتوحدوا؛ هي مطلب لعبيده واهتمامه بالانفعال الإنساني وإصراره على التقوقع في ذاته لتحقيق السعادة، وأن شخصية سينيكا أوقعت عديدًا من القراء في إشكالية، وقد صوره بعض من معاصريه أنه منافق ولا يمارس ما يعظ به، وأن أعمال سينيكا –خاصة تعازيه لبوليببوس ولأمه هيلفيا ومقاله عن الحياة السعيدة– كانت لخدمة مصالح شخصية، ورأى سينيكا في خطابه ٨٤ أنه بدل تعاليمه التي جمعها كالرحيق في كلٍّ يعكس التركيب المعقد.

لقد قسم الرواقيون المنطق إلى: الجدل وهو حجة قصيرة، والخطاب وهو عرض مستمر. وقد تجنبت كتابات سينيكا الجدل والمنطق الصوري عمومًا، ومع ذلك يعرض بين حين وآخر رقائق من المنطق الرواقي بسخرية؛ لأن ما تحمله الدقة المنطقية تزيُّدٌ عقيمٌ ولا يُحسِّن ما عليه المرء، وينبغي تجنب كل أنواع المراوغات سواء أكانت تنطوي على خيط رفيع في الجدل وتقيم فروقًا لفظية خفية للغاية، أم تتضمن تفسيرات فلسفية عويصة، وحين يعمل سينيكا هكذا، فإنه يجعل القارئ متيقنًا من معرفة أن بإمكانه هزيمة منافسه إن أراد.

وعلمنا ضئيل عن وجهة نظر الرواقيين في الخطاب، ويتضح هذا عند سينيكا حيث استخدم طائفة من الطرق البلاغية الرومانية لإقناع القراء برسالته الفلسفية، واكتظت كتاباته بأمثلة حية واستعارات جمة وأقوال دالة لها وقع مؤثر، فهو يعرف كيف يغير لهجته من الحديث العرضي إلى الموعظة الرصينة والاستنكار الساخر. وكان نصه شعبيًّا، يلقيه على لسان شخصيات متنوعة، واشتملت عناوين موضوعاته الجمهور والمعارضين الافتراضيين والأصدقاء والرموز التاريخية، وجال في الطريق كصديق حميم وأحيانًا كعدو رجيم، واتبع سينيكا كليانتس وحوَّل شِعره نثرًا، حتى يحث القارئ على تحسين ذاته.

وبالنظر إلى الغايات الأخلاقية عند سينيكا، ربما يكون من الغرابة أن يكرس عملًا مطولًا للتساؤلات الطبيعة في الفيزياء، ويصف العمل برمته كغايات أخلاقية. وأصر سينيكا مرارًا على أن العقل قد يرتقي إذا تجاوز الاهتمامات الإنسانية الضيقة وعاين العالم بأسره، وأن تأمل العالم الطبيعي تتمة للفعل الأخلاقي برؤية السياق الكامل للفعل الإنساني، فنحن نرى الرب في مجده الكامل يهب الحياة للإنسان؛ لأنه يدبر العالم برمته. ونثر سينيكا رسائله الأخلاقية بعيدًا عن محاوراته الطبيعية المحضة، وأكد على ضرورة أن يواجه الإنسان الأحداث الطبيعية كالموت والكوارث الطبيعية بامتنان للرب. وهو يحذر من إساءة استخدام الإنسان للمصادر الطبيعية، والانحطاط الذي يصاحب التقدم. ويصوب سينيكا في جل نقاشه عن الطبيعة المذهب الرواقي، سواء أكان بالإضافة أم التعديل، وهو يفند تاريخ الجدل حول الطبيعة بداية من فلسفة ما قبل سقراط حتى عصره بغية تحسين المذهب الرواقي.

وكتب سينيكا في الرسالة (*Letters 45.4*) أن الفلاسفة السابقين قد اكتشفوا الأشياء لذاتها، وتركوا لنا بعضها لندرسها؛ لأنهم لم يدركوا كُنهها. وعرض سينيكا في نقاشاته عن الكون تعاليمه الأخلاقية ليوضح رؤيته عن العدالة والتجديد، وكان

إسهامه وجهة نظر جديدة، واستخدم الاختلافات الرواقية أساسًا للتجديد، ورسم صورة للتحديات التي تواجه الإنسان، وإلى السعادة التي ينتظرها مَن يمارسون الفلسفة الحقة. واتفق سينيكا مع الأصولية الرواقية، حيث تمسَّك بالتفرقة بين المنفعة والخير، والحاجة إلى استئصال الانفعالات، وتفضيل عقلانية المرء الحكيم، وتماثل الرب والقدر، وربط ما أضافه للأخلاق بحس شِعري مرهف حول هذه الاختلافات إلى منطلقات للفعل.

ونظر النقاد إلى الحكيم الرواقي على أنه أسمى من إمكانات البشر، وأنه متحجر العواطف. واعترف سينيكا أن الحكيم أمر نادر الحدوث بل هو كالعنقاء، وقد يظهر كل خمسمائة عام (*Letters 42.1*)، وليس الحكيم كما يرى سينيكا عائقًا للتقدم، بل هو الملهم به، ومنح سينيكا الحرية للحكيم من واقع الحياة، مستشهدًا بكاتو الأصغر *the younger Cato* عدو يوليوس قيصر، ولم يكن كاتو حكيمًا على الحقيقة، ويقول سينيكا في مقاله «عن الثبات»: «لست على يقين إن كان كاتو تجاوزني أو لا». وهو لا يطمس بهذا الاختلافات الرواقية، بل يسلط الضوء على القوة الباطنة للحكيم بمثال كاتو وأمثلة أخرى من الماضى الروماني. ودمج سينيكا الحكيم الرواقي بالصورة التراثية للبطل الروماني، وهكذا حفَّز قرَّاءه الرومانيين لتأدية واجبهم بمحاكاتهم للحكيم.

ويحدد سينيكا ثلاث مراحل للتقدم الأخلاقي دون مستوى الحكيم، ويعاينها وفقًا لافتقادنا للانفعالات العقلية (*Letters 75*). والأولى هي حالة تقترب من وجود الحكيم، وهو الشخص الذي لم يتيقن بعد أن الوجود بإمكانه مجابهة الانفعالات العقلية وتسمى العواطف أباثيا. والثانية وهي المرحلة الأدنى من المرحلة السابقة، وهو الشخص الذي ينزلق إلى مستوى أدنى في التقدم يتجنب بعضًا من الانفعالات العقلية. والأخيرة وهي أدنى المراحل، وهم أناس لا يحصون ولا يحققون أي تقدم، ولم يقلْ سينيكا في حقهم شيئًا سوى أنه تجنبهم لأنهم

ملوثون، وهم مختلفون عن الذين يناضلون، ويذوقون المر في البداية ليصبحوا في حالة أفضل؛ إلا أنها فترة وجيزة وستنقضي، ويقول سينيكا عنهم: "حين يُحرمون الأنين والآهات، سيُختار منهم ألطف النبرات" (*Letters 23.4*). ولا يزال سينيكا يصر على أن هذه الكلمات حقة وغايتها الوصول للحق بقدر الممكن. والحكيم عرضةٌ للصدمات، وتبدو ردود الأفعال آنية مثل الانفعالات العقلية، ولكن هذه الاستجابات الاضطرارية قد تنجح مباشرة برسوخ الحكم. والحكيم -عند سينيكا- ودود مع الآخرين ومغمور بالبهجة، ولا علاقة له بالمتعة الزائلة التي يتعاطها الآخرون من المظاهر. ويصور سينيكا التطور الأخلاقي على أنه نضال شاقٌّ أو حملة عسكرية أو مداهمة متصاعدة لمواقع العدو، حيث يتكهن العدو هجومًا شرسًا من ضحيته، وربما يستسلم منافسه، وسيظفر إذا قاوم حتى نهاية المعركة، وقد تأتي الكوارث على المناضل من أشخاص آخرين، أو من الظروف المحيطة به، ومنها الموت والنفي والاضطهاد والمرض، وقد حفلت حياة سينيكا بأمثلة شتى، وذهب سينيكا إلى أن الشدائد وسائل للتقدم الأخلاقي، وأن الظروف تعين مَن يناضلون للوصول إلى التقدم الأخلاقي.

ومَن يتغيَّا التقدم الأخلاقي لا يجابه الظواهر الخارجية فحسب، بل ينظر في ذاته. ويخبرنا سينيكا -من وحي أفلاطون- أن بداخلنا ربًّا، ونفسًا تسعى إلى تحرير ذاتها من براثن الجسد. ويدعو سينيكا القارئ إلى أن يرتد إلى ذاته الباطنة ليتأمل حالة بعينها، ومن ثم يتجه نحو تأمل الإله، ويجري هذا الانسحاب على الحياة الفاعلة أيضًا. ومن الأفضل ألَّا يطول عمل المرء في الاشتغال بالسياسة. وهكذا ربط سينيكا الانسحاب الأخلاقي بمحاولة انسحابه من السياسة في الأيام الأخيرة من عمره، وهو يصر على الاستمرار في إعانة الآخرين بتعاليمه الفلسفية كأي رواقي آخر.

تراجيديا سينيكا:

كتب سينيكا ثمانية أعمال تراجيدية، وهي: أجاممنون، وثيستيس، وأوديبوس، وميديا، وفايدرا، وفوينيساي أي النساء الفينيقيات، وطروادة *Troades* أي النساء الطرواديات، وهيركوليس فورينس *Hercules furens* أي جنون هرقل. ولا تشتمل على أوكتافيا الكبرى، وهيروكليس أوتيوس، ولم يتبقَّ من فوينيساي سوى شذرات، وقد نُظر لهذه الدراما بأوجه شتى عبر القرون، ولا يزيد مَن ينقدها على أنها مجرد نصوص معيبة للدراما اليونانية القديمة لمسائل قد عالجها سينيكا، ولم يكن دوره فيها سوى أنه استخرجها من مخبأ الفلسفة الرواقية الرومانية، وسلَّط عليها الضوء، وأسرف في التمثيل البلاغي عليها، أو أعاد بناء المسرحيات المفقودة لسوفوكليس ومَن تبعه من شعراء أتيكا، وفرضت علينا السمات التي ميزت الدراما صوابها ولا تستحق الاهتمام النقدي الآن. والحقيقة أنَّ دراما سينيكا نصوص ممتدة للتراجيديا الرومانية عند ماركوس باكيوفيوس ولوكيوس أكسيوس التي افتقدتها الأجيال. وقد تُرجمت نصوص سينيكا الدرامية إلى اللغة الإنجليزية عام ١٥٨١م كتراجيديات تيني *Tenne*، وأثرت على التراجيديين في العصر الإليزابيثي، ربما قد تحول سينيكا إلى كتابة الدراما قبل فترة حكم كاليجولا ٣٧-٤١ ق. م، رغم أنه لا يمكن تحديد متى بدأ بالضبط، وقد حفظ أجاممنون *Agamemnon* أول إشارة للمسرحيات على حائط في بومبي، ونستنتج منها أنها كُتبت قبل ثورة بركان فيزوف عام ٧١ ق. م. ولا يؤكد التحليل الأسلوبي والبنيوى لمسرحيات سينيكا هذا، ويبدو أن الباحثين متفقون على أن ثيستس وفونيسيا من الأعمال المتأخرة، ونحن نعجز عن تحديد تاريخ الدراما عند سينيكا وعلاقته بمقالاته وخطاباته، رغم أن هناك انطباعات في نثره وشِعره قد أرشدت بعض القراء في القرن الخامس لاعتبار سينيكا في أعمالهم، ومنهم الكاهن والخطيب سيدونيوس أبولليناريس *Sidonius Apollinaris*، ومن بعده أيراسموس وديدرو.

إن التشكيك في كتابات سينيكا أمر طبيعي، نتج عن فشل الرواقية كطريقة للحياة في الأعمال الدرامية، ويُردُّ هذا الفشل إلى ضعف أتباعها في التحكم في الرغبة والانفعال، أو صعوبة ممارسة الرواقية ذاتها، أو أن العالم ليس موضوعًا للعناية الربانية. وأن دراما سينيكا مفتوحة للنقاش وتفترض قراءتها إتاحة الفرصة للأسطورة التي تدين موت كاسندرا أو بوليكسينا على يد كليتيمنسترا *Clytemnestra* أو أوليسوس، واستفاد سينيكا من هذه الحقيقة التراجيدية ليطرح مفهوم القدر الذي لا يرحم وعدم جدوى مُلاحظاته. واعتُبِرتْ ثيستس عملًا دراميًّا في الجمهورية المتأخرة؛ لذا فهي العمل الوحيد الكامل لدينا، حيث نجده فيما يُسمى المنفى، والذي يمتدح حياة العوز لأبنائه، ويذكرهم بأن الشخص الوحيد السعيد الذي يعيش بلا خوف، هو مَن يشرب في أوانٍ فخارية. ولكن حين دُعي إلى العودة إلى قصر أرجوس لتآمر أخيه أتريوس الذي تسبب في نفيه، استجاب لإغرائه بالعودة بعد شيء من تردد، وقال لابنه: "إني أتبعك"، ولكن لم يستسلم في اتباعه للحياة المترفة على عكس رفاهية الخير الرواقي.

إن ما تبقى بشكل جيد ليس إلاَّ ركام أسطورة، حيث يجلس ثيستس مرتديًا زيًّا ملكيًّا، ويستمتع بشراب يُطيِّب القلب وبعضٍ من الخمر المعتق، وتجشأ من شبعه، وهب فزِعًا حين أبلغه أتريوس أن عشاءه صُنع من أوصال أبنائه، ولكن هل هنا تفسير أخلاقي أو رسالة فلسفية؟! وإذا تابعنا وجهة نظر رواقي آخر هو إبكتيتوس الذي وصف التراجيديا كما تحدث وهو القائل: "حين تحدث الصدفة، يُغَشى على الحمقى" *Discourses 2.26.31*. ونخلص إلى أن قصة ثيستس توضح بالضبط استسلام الحمقى لرغبة السلطة، وتبدو معالجة سينيكا درسًا واضحًا يُقوِّض به عوامل عدة، وهي أولًا نشوة النصر التي سيطرت على آتريوس في نهاية الدراما التي هي أصداء لا يمكن إنكارها من الوعظ الرواقي، وثانيًا هشاشة المدنية والقيم الدينية في المشهد الجحيمي الذي يُضحي فيه أتريوس بالأطفال،

وهذا المشهد صورة زائفة للتضحية ذاتها، ويظهر الملقنون للابتذال الرواقي في مسرحيات عدة مثل فايدرا وكليتيمنسترا وميديا، وهم يلقنون العبارة على عكس تساوقها مع الفعل، ولعب كريون *Creon* الدور نفسه في مسرحية أجاممنون.

ولدى أنصار سينيكا شكوك أكبر حول قيمة النجاح الدنيوي في دراما ثيستس، حين يسأل أوديب هل متعة الإنسان في السُّلطة؟ وقال إنه غير واثق بأنه يشعر أن الإجابة لا، ويقدم أوديب من بداية المسرحية متناقضات بيِّنة لأسلافه اليونانيين الذين أكدوا على اكتشاف ميلاد الهوية هنا، حيث يغمر أوديب الإحساس بالدنس، وفزع الملك حتى من الدراما المفتوحة؛ لأنه لن يستطيع الهروب من نبوءة قتل أبيه ظنًّا منه أنه مسؤول عن اجتياح الطاعون لمدينة طيبة، حتى أنه تمنى الموت السريع جزعًا، واختلفت حالته الانفعالية عن شخصيته المحورية في مسرحية سوفكليس. إن نص سينيكا هو تقرير مطول لكريون في استحضار شبح آيوس في حديقة مظلمة، وهو أمر غاب في عمل سوفكليس، وقد أُسقط إحساس الشخصية التي تتفاعل على خشبة المسرح، ليجعل الشعور في دراما سينيكا محرمًا، ويصبح حديث الشخصيات ردًّا على العنف، أكثر من كونه دافعًا له.

إن تدنيس السماء من منظور الإنسان يتعارض مع الطبيعة الرواقية، وَوُجِدَ له صدى في مسرح سينيكا، حيث وضع مذهب الرواقية نصب عينيه العلاقة بين الكون وأجزائه. وتوافقًا مع هذا الرأي، فإن النوما أو الروح الحيوية يُقابل كل نتائج المادة بانسجام كوني للأجزاء مع الكل. وكما يقول إبكتيتوس في *Discourses 1.4.1*: "كل الأشياء مترابطة ببعضها، وتتأثر أشياء الأرض بما هو سماوي"، ولكن ما نراه في الدراما مشهد مريب لهذا الانسجام، وفكرة ضعف المرء أو التهوين من شأنه بإمكانها أن تعطل اللوجوس العقلاني المنسجم الذي يعكس وجهة نظر المذهب عن العالم الذي قد نصل إلى إدراكه بالفهم والعقل، وهكذا نرى العالم يرتجف وقانون السماء يضطرب في عبارات مسرحية ميديا، والشمس

تحجب وجهها خجلًا من جريمة أتريوسفي مسرحية ثيستس، وتختفي أصوات الجوقة بعد افتضاح نوايا فيدرا الخفية، وبشارة هوريفك التي تنذر بما يحلّ في طروادة في مسرحية فيدرا. وتختلف مسرحيات سينيكا عن التراجيديا اليونانية، حيث لا دور فيها للمؤسسات المدنية أو حتى تتدخل في هذه العلاقة، ومعالجة مفهوم الأرباب غير المغلوطة فيها. ويدعو جيسون القراء لمطالعة مسرحية ميديا التي ترى أنه لا يوجد رب في السماوات، والعربة التي كانت تجنح هي دليل على العون الرباني، فالأرباب معضلة لا يمكن معالجتها هنا.

إن الشخصيات الرئيسة في ميديا وثيستس مثيرة للقلق لا لأنها تنتصر دائمًا؛ ولكن لأن طريقة نصرها تتوافق مع غاية الطموح الرواقي، حيث تتبنى وصاياهم موقفًا بعينه تجاه العالم، وهو التخلي عن الروابط العائلية والاجتماعية ورفضهم للنظام الأخلاقي للعالم من حولهم، ومحاولتهم العيش في أنويتهم باعتبارها أفضل صورة للحياة. وطغاة سينيكا مثل حكمائه، فهم يبنون عالمًا خاصًّا ومستقلًّا حول ذواتهم لا يمكن اختراقه، وهم لا يستنكرون ذواتهم. وهناك انقسام في الحوار مع النفس بين الضرورة الأولى وهو رغبة النفس، والضرورة الثانية وهو الحكم عليها، فهم يختارون اعتبارًا لائقًا كمبدأ حاكم لهم.

وهذا يؤدي بدوره إلى طابع بعد مسرحي *metatheatrical* في عديد من المسرحيات، ففي مسرحية ميديا على سبيل المثال تظهر ميديا وهي تنظر إلى فصول سابقة في قصتها لتكتشف ما هو مناسب لشخصيتها، وأوديب عندما يغلق عينيه يلاحظ أن "هذا الوجه يليق به هو" أو كما يقول أتريوس: "هذه جريمة، هذا الوجه يناسب ثيستس ويناسب أتريوس أيضًا" *Thyestes 271*، ويبدو أن طابع ما بعد المسرحية يعلو على اهتمام النخب الرومانية التقليدية، حيث إنها تعرض أفعالًا مثالية قد يُجمع عليها الجمهور وهي تتبنى مثالية أخلاقية بعينها.

وقد ناقش الباحثون باستفاضة مسألة أداء مسرحيات سينيكا على المسرح قديمًا، ويرى الباحث الألماني فريدرك ليو في القرن التاسع عشر أن هذه التراجيديات كُتبت للإنشاد فحسب، فمن غير المعتاد أو من المحال تجسيد التضحية الحيوانية والقتل على المسرح، ويبقى السؤال بلا جواب، ولكن سواء أكان الجمهور العادي في المسرح أم في مقصورة الإنشاد، فإنهم يشاركوننا معرفة كاملة بكيفية تحول القصة، وتشابه ذواتهم مع الشخصية الرئيسة في الواقع، وإن سعادتنا في مشاهدة دراما سينيكا قد توسع مداركنا حين نلاحظ سعادة هذه الشخصيات التي تئن من الألم. ويقول سينيكا في مسرحية طروادة في سطر شهير للرسول الذي يأتي بأخبار عن قاتل أستياناكس ويقص مشهد موت أستياناكس ويجسده للمسرح: "الجزء الأكبر من الحشد المكتظ يمقت الجريمة ويشاهدها"، وهذا التوتر بين هاجس السادية والفزع الذي تعرضه دراما سينيكا يمكننا من التعرف على عدم رضى المشاهدين من مسرحيات سينيكا البائسة.

دراما سينيكا بعد المرحلة الكلاسيكية:

تُوِّجت دراما سينيكا مرتين، إحداهما في الفترة الإليزابثية، والأخرى في يومنا هذا. ورغم أن سينيكا لم يشر إلى تراجيدياته، فقد كانت معروفة قديمًا حتى عند بؤثيوس ٤٨٠-٥٢٤ م الذي وضع عزاءه للفلسفة على غرار قصائد سينيكا الغنائية، وقد غابت دراما سينيكا عن الأنظار، إلى أن نشر باحث دومنيكي -هو نيقولا تريفيت- طبعة شعبية لها وعلَّق عليها عام ١٣٠٠م. وعقب عمل نيقولا بقرنين ظهرت ترجمات عامية في اللغة الإيطالية والفرنسية والإسبانية، فقد قلدها ألبرتينو موساتو١٢٦١- ١٣٢٩م في إيطاليا، وكتب على غرارها مأساته إكيرينيس *Ecerinis* لتحذير صديقه باديونس من خطر طاغية فيرونا، وترجم جاسبر هيوود *Jasper Heywood* الكاهن اليسوعي والشاعر عام ١٥٣٥- ١٥٩٨م ثلاث

مسرحيات لسينيكا. وتلا هذه الترجمات عام ١٥٨١م ترجمة توماس نيوتن لدراما تين *Tenne* إلى اللغة الإنجليزية. ولا تُعتبر هذه الدراما مجرد ظل شاحب لسابقتها اليونانية، وقد تمسك باتريك وسليوتاتي وسكليجر بأن دراما سينيكا ليست أقل شأنًا من الدراما اليونانية، وقد وضع سكليجر سينيكا في بحث له عن الشِّعر على قدم المساواة مع الدراميين اليونان، بل إنه قد يفوق يوربيديس في الأناقة والألمعية.

وأخذ الكتَّاب المسرحيون في عصر إليزابيث سينيكا نموذجًا للترجمة والمحاكاة، وزعم ت. س. إليوت أنه "ما من مؤلف أثَّر بعمق على العقل الإليزابيثي أو صورة التراجيديا في عصر إليزابيث بقدر ما فعل سينيكا"، وهناك إجماع على أن إليوت كان محقًّا فيما قال. ولعل من العجب أن يُحكم على سينيكا في العصر الذي كان ينظر إلى التراجيديا على أنها تمثيل صائب للأنفة والتكبر والطموح والفخر والظلم والغضب والحسد والكراهية والخصومة والنهب والخيانة والغدر وجميع أنواع الشرور.

وقد قرأ كيد ومارلو ومارستون وشكسبير سينيكا في المدرسة، وتبين أعمالهم الدرامية تأثير سينيكا فيهم بشكل أو بآخر، فالمتجولون في إلسينور في رواية هملت لشكسبير يعبرون عن رأيهم قائلين: "ليس سينيكا ثقيلًا وليس بلوتوس خفيفًا"، ويبين تيتوس أندرونيكوس في شكسبير التأثير الأكبر لسينيكا بتوقه للانتقام والاغتصاب وضرب الأعناق والسحل والجنون، وفي ريتشارد الثالث وماكبث لشكسبير أمثلة للمتهور والمكتئب والطموح بين أبطال الرواية المتعطشين للسلطة، وكما نرى مثل هذا التأثير في دراما توماس كيد التراجيدي الإسباني حيث تتحدث عن هاجس الانتقام عند الأشباح من وراء القبور.

ويرتبط محتوى الأعمال الدرامية عند سينيكا بالدرس الأخلاقي دائمًا، ورأى تريفيت في تقديمه لمسرحية ثيستس أنها تعلم الصحيح من الأخلاق، كما أنها

عرض بسيط لإمتاع الجمهور. وقد دافع اليسوعي مارتن أنطونيو ديلريو ١٥٥١- ١٦٠٨م، وكذلك موساتو من قبله عن استخدام الدراما الرومانية في التعليم المسيحي حيث إنها تفترض توجيهًا يتزيا بالحكمة، وتراجعت دراما سينيكا بعد منتصف القرن السابع لسوء السمعة. وانتهز الشاعر جون درايدن فرصة تقديمه لمسرحية أوديب لينتقد سينيكا ونصوص كورنيي قائلًا: «إن سينيكا يلهث خلف التعبيرات الطنانة والجمل الرمزية والمفاهيم الفلسفية التي تصلح للدرس أكثر من المسرح». واستخدم التراجيدي الفرنسي جان راسين ١٦٣٩- ١٦٩٩م سينيكا نموذجًا في مسرحيته فيدرا، وادَّعى في الوقت نفسه أن ولاءه الأساسي ليوربيديس. وليس هذا مستغربًا؛ لأن الرومانسيين لا يجدون وقتًا ليحبوا سينيكا، وقد طفح الاهتمام في الآونة الأخيرة بجوانب الأداء والأدب في دراما سينيكا بعد ظهور الطبعات الجديدة والدراسات الأكاديمية وبعض من العروض المسرحية لها، وتجدر الإشارة هنا إلى طبعة سارة كين المعدلة لمسرحية فايدرا التي ظهرت في نيويورك في مايو ١٩٩٦م، وكتاب مايكل إليوت «دراما أوديب بعد الهولوكست» بجامعة حيفا في إسرائيل في ٢٠٠٥م، وإخراج جوان أكالاتيس لمسرحية ثيستس على مسرح محكمة شيكاغو ٢٠٠٧م.

وهناك ملاحظة على هذه الترجمة، وهي أنها صيغت بشكل يوافق الاصطلاح الإنجليزي نظيره اللاتيني بدقة متناهية ووضوح، وتوازي أسلوب النثر مع الشِّعر. والقصد من هذه الترجمة هو وضع بنية لعمل تفسيري، أكثر من كونها نقلًا لتفسيرات شخصية، وهي تتجنب الاصطلاحات التي تنطوي على مضامين أخلاقية مسيحية ويهودية، وإذ اقتضت الحاجة إلى تفسيرٍ وضعناه في الهامش، توضيحًا لأسماء الأعلام في الأساطير والجغرافيا.

عــن العفــو

مقدمة

الأطروحة

خلف نيرون والده بالتبني كلاوديوس *Claudius* بعد فترة وجيزة في أكتوبر ٥٤م، وأشاد به سينيكا وهاجم سلفه الميت بعنف، واتضح هذا في كتاب تأليه كلاوديوس[*] *Apocolocyntosis*، وبمرور عام أو عامين قبل أن يبدأ سينيكا في كتاباته التالية الممتدة التي يمكن أن نؤرِّخ لها بالتقريب: ينقسم كتاب العفو إلى كتابين، بدأت كتابته ما بين ديسمبر ٥٥م وبين ديسمبر ٥٦ م[١]، ولا نعرف المناسبة الدقيقة التي دفعته للكتابة[٢] حتى لو كانت موجودة، فليس بمقدورنا معرفة ما إذا كانت الرسالة قد انتهت وعُممت في زمن سينيكا أم حُجبت. ومن الواضح أنها غير كاملة في بداية الكتاب الثاني، ولكننا نعرف الخطة العامة التي تدور في ذهنه، وبمقدورنا أن نرى كيف يركز العمل في الحديث عن الظروف السياسية العامة لحكم نيرون المبكر.

(*) يُسمَّى هذا المجلد تأليه كلاوديوس الإلهي **The Gourdification of (the Divine) Claudius**.

(١) حول تاريخ العمل انظر ١ ,٩، تجنبت هنا أن يكون هناك مقالٌ آخر " **On the Brevity of Life** " قد كتب في عام ٥٥ انظر (**Griffin 1976, 401–7**)، وحول خطة العمل انظر أدناه، وحول مكانة الهيللينستية في الخلفية العقلية للكتاب، انظر "**kingship theory**" عند **Braund 2009, 24–30**.

(٢) يروي سينيكا الحكاية في ١ ,٢–٢، يبدو كأنه خيال مناسب.

وبداية هناك تباين يُعبَّر عنه أحيانًا، ولكنه مفهوم على الدوام بالشرور الرئيسة لعهد كلاوديوس: حيث قسوته وشذوذه في المسائل القضائية [٣]. وقد وضع سينيكا في خطاب تقلد نيرون للمنصب أمام مجلس السوناتو نقاطًا يرفض فيها نيرون «الممارسات الأخيرة التي أشعلت نيران السخط»، وخصها بعادات كلاوديوس القضائية، وأعاد سينيكا إلى السوناتو رجلًا نُفي لاتهامه بالزنيا بالإمبراطورة ميسالينا *Messalina* لإظهار رحابة صدره "قدم ضمانة رصينة لعفوه في خطبه المتكررة، حيث كان سينيكا صوت الإمبراطور الذي يصدح"[٤]، وأسهم كتاب العفو بوضوح في محاولة 'وسم' نيرون بأنه نمط مختلف للإمبراطور. ويمكن للادعاءات الكبيرة التي قدمها سينيكا لطهارة نيرون - «غير المعيوبة والتي لم تسفك دم مواطن» (١ , ١١ , ٢، ١ , ١ , ٥) أن تعين في مواجهة الشائعات مهما كانت، وهي أن هذا العهد لم يختلف عن الحقب السالفة إطلاقًا؛ لأن بريتانيكوس ٥٥م الابن الشرعي لكلاوديوس والمنافس لسلطان نيرون مات بشكل غير متوقع، ومن المرجح أنه سُمم بأمر نيرون[٥].

ويقدم كتاب العفو بعبارات عامة محاولة لتوجيه نيرون ويعلل له التفكير في طبيعة قوته، ومجمل المحاولة تقريظ يُلقي بظلاله عليه، ويبدو هذا التقريظ بسيطًا أحيانًا، ووصفًا موضوعيًّا يجمع المواعظ الأخلاقية أحيانًا أخرى، حيث قصد سينيكا حث نيرون على الفضيلة والإشادة به كما لو كان فاضلًا بالفعل، وقد استعمل هذا المنهج في الخطاب السياسي الروماني من قبل، خاصة في خطابات *orations* التي ألقاها شيشرون أمام يوليوس قيصر في أواخر ٤٦ و٤٥ق.م، عندما كان قيصر هو القاضي الأسمى الأوحد (ديكتاتور): وعندما دافع

(3) See 1.1.4, 10.3, 23.2nn.

(4) Accession speech: Tacitus Annals 13.4.2 (Seneca's authorship: Cassius Dio 61.3.1). Pardon: Tacitus Annals 13.11.2.

(5) Suetonius Nero 33.2–3, Tacitus Annals 13.15–17, Cassius Dio 61.7.4.

عن الرجال الذين يُحاكمون أمام قيصر (*On Behalf of Ligarius, On Behalf of King Deiotarus*)، واستعمل شيشرون الثناء –بما في ذلك الثناء على عفو قيصر– لا سيما عندما شكر قيصر لاستعادة عدو سابق من المنفى (*On Behalf of Marcellus*) ليوضح الدور المدني المناسب الذي يأمل أن يؤديه الديكتاتور. واستعمل بليني الأصغر *the younger Pliny* –بعد جيلين من سينيكا– المنهج نفسه عندما شكر الإمبراطور على منحه لقب قنصل لمنطقة تراجان *Trajan*، وهو المثال المفصل لهذا النوع من روما القديمة، ولا يزال المجاز الذي تبناه سينيكا في مفتتح خطابه لنيرون – حين يتحدث عن رغبته "أخدمك كمرآة لك لترى نفسك" (١, ١, ١) يتردد صداه في العصور الوسطى وعصر النهضة في التسمية التي أطلقت على هذا النوع –"مرآة الأمراء"– حيث يعتبر كتاب الأمير لميكافيللى أفضل مثال مشهور لها[٦].

يشرح سينيكا خطته للعمل في مفتتح الكتاب الأول (١, ٣, ١)، فالجزء الأول يركز على اللين، والجزء الثاني يفسر طبيعة العفو وصفته؛ لأن هناك رذائل بعينها تحاكى الفضائل، وهي لا تستقر على وجه بعينه إذا لم تحصل أنت على انطباع واضح لدلالاتها المميزة. والجزء الثالث يتساءل كيف يمكن جلب العقل لهذه الفضيلة وتقويتها، وامتلاكها بالتدريب.

ولا تتماشى الأطروحة التي نقرؤها الآن مع هذه الخطة؛ لأن الجزء الثالث مفقود تمامًا، إما بسبب التلف الذي تسبب فيه نقل العمل، وإما أن سينيكا قرر أن يتخلى عن المشروع[٧]، ومن ثم لا تفسر الخطة أن سينيكا ينوي أن يلقي المشروع

---

(6) On the reflections of and on the principate in Seneca's writings, see esp. Griffin 1976, 202–21.

(٧) إذا تخلى سينيكا عن ذلك لأي سبب، فمن المفترض أنه لم يُعمم إن لم يوجد بين أوراقه بعد موته، وكمسألة ثانوية إننا لا نعلم ما إذا كان العمل الكامل سوف يتألف من ثلاثة كتب مثل كتاب «عن الغضب»، أم أن القسم الثالث المفقود سوف يزن الكتاب الثاني.

بالقالب نفسه المستخدم في كتابه «عن الغضب»، مع التعديلات التي أُجريت لأجل الاختلافات بين مداهمة الرذيلة والترويج للفضيلة - ولأجل الاختلافات الموجهة لأقرانه في كتاب الغضب والموجهة لأميره في العفو.

ويفتتح كلا الكتابين بخطاب بلاغي بديع، وهي معالجات أولية لموضوعاتها: حيث ينبه في كتاب الغضب الكتاب الأول على أن استئصال الغضب مرغوب فيه وممكن، وينبه كذلك في كتاب العفو على أن العفو صواب ونفع للبشر على العموم ولكنه للأمير قبلهم. وقبل الاحتفاء بخيرية نيرون ومزايا عفوه (١, ٢) يرسم خطته كما في الفقرة المقتبسة أعلاه (٣, ١)، ويحدد سينيكا الجزء الأطول لكتابه (٣, ٢- ١٩-٩) بتمجيد العفو - كفضيلة «مناسبة للملك أو الأمير» تخدم أمن كليهما وتوجههما (٣, ٢- ٨, ٦، ١٩, ٥-٩)- ويوضع داخل الإطار سلسلة من الاعتبارات الإضافية:

السلوك المثالى لأغسطوس (٩, ١-١١, ٣).

حجج منطقية تتحدث عن أمن الأمير (١١, ٤-١٣, ٥).

دور الأمير كأب صالح (١٤, ١- ١٥, ٥).

دروس مستفادة من سلوك الحيوانات (١٦, ١-١٩, ٤).

ويطوق سينيكا الكتاب بتحليل الأهداف الملائمة للعقاب (٢٤-٢٥)، وهو موضع يتعلق بالمخاطب (انظر قسم ٣ أدناه)، ويذكرنا في الوقت نفسه بكتاب الغضب (انظر ١, ١٥-١٦)- وبتقديم صورة مرعبة للقسوة- تعكس العفو- كعدو للسعادة (٢٦-٢٥)[٨].

ويتحول سينيكا بعد هذه المقدمة واسعة النطاق للقضايا الأساسية والثانوية،

(٨) كُشفت علاقات هيكلية مفصلة في الكتاب الأول انظر Mortureux 1973, 69.

والثناء الموجز على نيرون في بداية الكتاب الثاني (١-٢) إلى مقاربة دقيقة من الناحية الفلسفية - والتوازى بينها وبين كتاب الغضب واضح، فكما بدا في كتاب الغضب الثاني بوصف دقيق لطبيعة وآلية الغضب وتمييزه عن 'البهيمية' (٢, ١-٥)، كذلك يصف سينيكا مفهوم العفو ذاته (٣) ويثبت أن نقيضه الحق ليست الصرامة *severitas* بل القسوة *crudelitas* (٤, ١-٣)، ويميز بين اتجاهين يمكن الخلط بينهما: الشفقة *misericordia* (٤, ٤-٦, ٤) وهي مدانة- لأنها عاطفة- لأنها تسن نتائج لا عقلانية للتقييم الخاطئ، والمغفرة *ignoscere* (٧) وهي مدانة لأنها - "صفح عن عقاب مستحق"- وتسن الظلم حيث تمنح المرء أقل مما يستحق[٩]، ولم يقمْ بعد هذا التمييز بين العفو والمغفرة مقارنة (إن كان النص كاملًا)، ولا يمكننا أن نعرف بوضوح إلى متى استمر سينيكا في هذا القالب، ولكننا نعرف أنه انتقل بها ليقدم نصيحة عملية في تحقيق وتعزيز السلوك الفاضل للعفو وفقًا للخطة المذكورة (١, ٣, ١) والتوازي مع كتاب الغضب واضح هنا أيضًا في الجزء الأخير وهو الجزء 'العلاجي' في هذا العمل (١٨, ٢-٣, ٤٣)، والذي كُرِّس للنصيحة العملية في تحاشى أو تعديل رذيلة الغضب.

ولمعرفة المزيد عن النص وموازنة هذه المقدمة، يمكننا أن ندرس بمزيد من التفصيل جانبين رئيسين عند سينيكا، الأول طبيعة العفو الذي ينبه إليها، والثاني مكانة الرجل الذي ينبهه- الفضيلة والأمير.

(٩) يمكن أن يُقاس الفارق بين الوفرة الخطابية للكتاب الأول والدقة الفلسفية في الكتاب الثاني بحقيقة أن العفو في الكتاب الأول يقارن بالشفقة (٤, ١, ١) والمغفرة (٢, ٢, ١، ٦, ٩، ١, ١٠، ٤) والرذائل الفعلية التي تمايزت في الكتاب الثاني.

الفضيلة

جاء سينيكا بشيء جديد للغاية في محاولة تفسير العفو *clementia* والحث على غرسه[١٠]، وقد وضعت المناقشات اللاتينية السابقة الفضائل في الاعتبار واصفةً إياها على أنها نوع من ضبط النفس *temperantia* أو وصفها مع "استعداد لترضيتها *placabilitas*" بدافع "حماسي كبير"[١١]، ولكن لم يخترْ أحد الرومانيون أن يكتب كتابًا مطولًا عن العفو ولا أحد اليونانيين كذلك؛ لأنه لا توجد كلمة يونانية أو مفهوم يتطابق تمامًا مع كلمة العفو اللاتينية. وهناك معانٍ يونانية تقاربت مع الفكرة نفسها وتدل بقدر ما على بعض الصفات التي تحتويها كلمة العفو. ومن بين هذه الكلمات الرئيسة 'الحلم *epieikeia*'– استعداد ضبط النفس خاصة في مواجهة الخطأ أو الإثارة– وكلمة 'اللطف *praötês*' وكلمة 'العاطفة لجنس البشر *philanthrôpia*'. ولو أخذنا كل هذه الكلمات معًا فإنها لا تقابل العفو؛ لأنها لا تستلزم جزئيًّا صفة حاسمة للعقل جوهرية لتصور الفضيلة عند سينيكا كما سنرى.

ويمكننا أن نبدأ مقاربة هذا التصور بالنظر أولًا إلى التعريفات التي يقدمها سينيكا في بداية الكتاب الثاني (٣, ٢, ١–٢): إن العفو هو:

(10) 10. Griffin 2003 is the best brief overview. Also important and accessible are Griffin 1976, 133–71, and 2000, 535–45; Inwood 2005, 201–23; Konstan 2005; and Dowling 2006, all with references to earlier discussions.

(11) See, respectively, Cicero On Invention 2.164 and On Appropriate Actions 1.88. On "great-spiritedness" (magnitudo animi), see On Anger 1.20.1n.

«اعتدال العقل *temperantia*“ عندما يكون له القدرة على الانتقام، أو ”لطف *lenitas* الأسمى نحو الأدنى في إقرار العقاب“، ومن الآمن تقديم تعريفات عدة خشية أن يُقَصِّرَ التعريف الأوحد في تغطية المسألة وبالتالي يمكن أن نعرفه.

”ميل العقل نحو اللطف في فرض العقاب“. والتعريف التالي لا يغطي كل حالة، لكنه يقترب من الحقيقة بدقة: وهو أن العفو هو:

«الاعتدال *moderatio* الذي يقلل الفعل والعقاب المستحق إلى حدٍّ ما».

وتشترك التعريفات الأربعة شكليًّا في ميزتين نتوقع وجودهما في تعريف الفضيلة، ولا تقل في تعريف الرواقية: فجميعها اختارت صفة بعينها للعقل - الاعتدال أو (الميل إلى) اللطف- وأقامت كلها صفة العقل في العلاقة بنوع للفعل بعينه - وهي العقاب، في حالة التعريفات الثلاثة الأخيرة أو الفعل المحدد بقليل الانتقام، وفي حالة التعريف الأول يخشى سينيكا من تقديم تعريف لا يفي بالغرض؛ لأن التعريفات التي أعطاها لا تعبر بشكل كافٍ عن صفة مرتبطة بالعقل يشير إليها سينيكا في مناقشته برمتها.

وإذا وضعنا كل ملاحظات سينيكا في الاعتبار، فيمكن أن نلخصها بالقول: (أ) إن العفو يستلزم تصرفًا لطيفًا وإنسانيًّا وروحًا متقدة، يولد لهدوء وصفاء عقلي. (ب) ويميل الناس بهذا التصرف إلى أن يجازوا الأخطاء بعدل وباعتدال استجاباتهم المرتبطة بما تستحقه بدقة، ويمكننا أن نوضح شيئًا من أن صفات «لطيف وإنساني وروح متقدة» التي تستدعي الفضائل اليونانية المذكورة أعلاه تلتقط عناصر أساسية لخطاب سينيكا: حيث تتكرر الإشارة إلى ’روح متقدة‘ و’لطيفة‘ باستمرار، في حين أن كلمة ’إنسانية‘ جزء من الرسالة الرواقية «لتكون نافعًا ومعينًا وناظرًا لمصالح الناس جميعهم على المستوى الفردي والجمعي» (٢,٥,٣)؛ «لأننا ولدنا لعون رفقائنا ولنضيف إلى الخير العام، الذي نمنح منه

نصيبًا لكل شخص» (٢ , ٦ , ٣)[١٢] ويعكس حال 'بشكل عادل *fairly*' اهتمام سينيكا المتكرر بـ'الإنصاف' (مثال ١ , ٧ , ٢-١٨ , ١)، وفي حين أن الحد من فكرة استجابة المرء فإنه يتعلق بما يمكن أن يستحق جلب العفو بفضيلة أخرى يقرنها سينيكا بالصرامة *severitas*: حيث تختار الصرامة أقسى استجابة يتلقاها الخطأ نظرًا إلى نوع الخطأ الذي ارتكب، ويجد العفو سببًا وجيهًا في أي حالة بعينها لتخفيف تلك الاستجابة لصالح الإنصاف[١٣]، والسبب الوجيه هو المفتاح بالطبع: إنه يوضح لماذا يكون العفو فضيلة والشفقة ضعفًا ورذيلة[١٤]، ويشير إلى لماذا'الهدوء والصفاء العقلي' هما أهم عناصر الملخص أعلاه، لسببين: الأول هو أن جملة سينيكا «الهدوء والصفاء العقلي» تمجد إصراره المتكرر على لزومية الهدوء والصفاء في مقابل الاضطراب والغموض (على سبيل المثال ٥ , ٥ , ١، ٧ , ٢، ٤ , ١٣، ١ , ٦ , ٢)، والثاني -وهو الأهم- وهو أن يبسط الصفاء العقلي ما يجعل كل شيء ممكنًا -اللطف والإنسانية والروح المتقدة والاهتمام بالاعتدال والإنصاف والبحث عن الأسباب الوجيهة- لأننا ندرك بها الطبيعة الحقة للأشياء ونحدد قيمتها الصواب. والحقيقة أن «صفاء العقل» من شأنه أن يُرسي بالضرورة التعريف الرواقي للفضيلة.

ويمكن الحكم على ملخصنا من الحكاية التي يرويها سينيكا في الكتاب الأول (٢ , ١٥ , ١-٧):

(12) Great-spiritedness: 1.20.3, 2.1.1, cf. 2.5.4. Mildness and gentleness: 1.8.6, 9.1, 11.1, 13.4, 16.1, 22.3, 24.1, 2.1.1, 2.1, 5.1. Humaneness: see also 1.1.3, 3.2, 11.2, 13.4, and on the doctrine of “appropriation” that underlies this quality and Stoic social thought more generally, 1.13.4n., On Anger 2.31.7n.

(13) For strictness and clemency, cf. 1.1.4 and esp. 2.4, with the anecdote of Tarius’s son discussed below and Griffin 2003, 174.

(١٤) تنظر الشفقة في الحالة التي يكون فيها المرء وليس علتها، ويتفق العفو مع العقل Cf. 2.5.1 .

«وعندما اكتشف تاريوس أن ابنه يُخطط لقتله وأدانه في المحكمة واحتجز في منزله، رضي الجميع بحكم النفي على الشاب – ونُفي هذا المُدلل في ماسيليا وقدم له الأب الإجازة السنوية نفسها التي اعتيد أن يقدمها له قبل وصمه بالعار، وبسبب هذه الإيماءة السخية، اعتقد كل امرئٍ في روما – حيث لا يفتقر الأوغاد إلى محامٍ– أن الشاب قد أُدين بالفعل ورأوا أن الأب عاجز عن كرهه أو إدانته... وعندما كان تاريوس ذاهبًا إلى مجرى المحكمة، طلب من القيصر أوغسطوس الجلوس في مجلسه الاستشاري، وجاء أوغسطوس إلى منزله الخاص وجلس بجوار تاريوس كمستشار – لم يقل « لا، لا تدعه يأتي إلى بيتي»؛ لأن في هذه الحالة ستكون المحاكمة للقيصر وليس للأب. وعندما استُمع إلى القضية وفُحصت الأدلة بدقة – تلك الأمور التي أثارها الشاب وتلك التي تدينه– طالب أوغسطوس كل رجل بتدوين حكمه خشية أن يُطلق الجميع حكم قيصر على نفسه، وقبل أن تُفتح الألواح، أقسم اليمين بأنه لا ينوي قبول ميراث تاريوس الذي كان ثريًّا. سيقول امرؤٌ ما: «هذا أمر تافه، ولا يستحق أن تفسح له غرفة بالتصويت لإدانة الابن»، وأعتقد أنه على العكس من ذلك تمامًا: كان ينبغي لأي أحد من قومنا أن يكون عنده ثقة كافية في ضميره الحي لتحمُّل الكلام الخبيث، ولكن يجب على الأمراء أن يقدموا تنازلات كثيرة حتى للنميمة، فهو أقسم بأنه لن يقبل الميراث. والحقيقة أن تاريوس فَقَدَ في اليوم نفسه اثنين من ورثته، ولكن قيصر أمّن حريته في الحكم، وبعد أن أكد أن صرامته لم تكن محل اهتمام بذاته – أمر قائم عند الأمراء– قال إنه ينبغي إبعاد الابن من المكان تقديرًا للأب. لم ينتبه لعبء الحكم الذي أقامه بل للرجل الذي نصحه، ولم يُحتم السلب ولا الثعابين ولا زنزانة السجن بل خطط ليرضي الأب بعقوبة خفيفة على الابن الشاب الذي اقتيد إلى جريمة اعترف بها على نفسه بسلوكه المخجل وهو على مقربة خطوة واحدة من البراءة: وأبعد عن المدينة وعن وجه أبيه».

وكما يقول سينيكا: «الواقعة نفسها تقدم نموذجًا للأمير الصالح.. ليقارن بالأب الصالح» (٣, ١٥, ١)، والمدرك لوضع أغسطوس كأمير صالح يرعى المجلس الاستشاري لتاريوس من عاتق مثقلة به سلطته، وأغسطوس وتاريوس معًا كأميرين صالحين وأبوين كذلك يتفقان في الحكم بأنهما نموذج للعفو، ويجب على الرجلين أن يدركا اللطف والإنسانية والروح المتقدة الصافية للعقل غير الملبدة بالانفعالات - الغضب والكراهية- التي ربما قد تثيرها محاولة قتل الأبرياء بالحكم الخاطئ الذي تقود إليه الانفعالات، وبالقدر نفسه من الوضوح تمثل العقوبة التي يتفقون عليها بعض الاعتدال في الاستجابة المتعلقة بما قد يستحقه بصرامة: وفي حالة قتل الأبرياء فإن العقوبة المقبولة بعدالة صارمة صورة بشعة للإعدام(١٥). ونهاية، يجب أن تكون نتيجة الحكم عادلة لسبب مقبول يمكن إقراره بشفافية: فالشاب الذي كان بلا لوم «كان على بعد خطوة واحدة من البراءة»، ولاحظ أن العفو في هذه الحالة «يقلل الفعل و العقاب المستحق لدرجة ما» (٢, ٣, ٢، وراجع ٣, ٦, ٢) وتؤدي إلى "عقاب ألطف"، ولكن ما هو ضروري للحكم -ما يجعله عفوًا- ليس أنه ألطف بل أنه حصل درجة حقة من التخفيف، وتقدم مجموعة متباينة من الحقائق -مثل الابن الذي لم يكن بريئًا- وسوف يقضي الشخص العفو بدرجة مختلفة من التخفيف- ربما النفي في مكان أقل جاذبية أو بإباحة غير سخية. وقدرة العفو الحقة لقياس النتجة بعقلانية بهذه الطريقة هو ما يسمح لسينيكا بأن يُدعى "العفو ممارسة حرة للحكم: حيث يجعل الحكم قراراته ليست وفقًا لصيغة محددة، بل وفقًا لما هو عادل وصالح... وليس كما لو كان الفعل دون ما هو عدل، بل كما لو كان القرار الذي وصل إليه الحكم أكثر عدلا"(١٦).

(15) See On Anger 1.16.5n.

(١٦) قيل كل هذا في النص ٣, ٧, ٢، يجب أن نعترف أن اعتبار سينيكا ناقص في أحد الجوانب الهامة على الأقل: مع أن الحكيم بحكم تعريفه يعرف كيفية قياس درجة العفو تمامًا في حالة بعينها، إلا أن بقيتنا في حاجة ليتعلم المبادئ الواجب تطبيقها، وعلى أي حال النص الموجود لا يغفل هذه التعاليم (cf. 2.6.3n.).

وتوضِّح حكاية حكم تاريوس أن صفاء العقل ينتج الأحكام الجوهرية للعفو، ويماثل صفاء العقل الذي يتحاشى الأحكام الجوهرية 'للانفعالات'[١٧]؛ فالعقل الذي يعفو لا يعرف الغضب مطلقًا، وليس بسبب العقل الرواقي الصوري – العفو فضيلة والغضب رذيلة- لا يتعايشون في العقل ذاته؛ بل لأن العقل الذي يعفو لا يفلت من العقل إلى الأخطاء التي تجعل الغضب ممكنًا[١٨]، وهذا الربط بين العفو وتجنب الخطأ يتماس مع أمر آخر مهم- غالبًا ما يغفل عنه المرء والحقيقة أنه يخفيه، عندما يقال إن العفو صفة بنيوية في جوهرها تظهر من خلال الأسمى تجاه الأدنى. وصحيح أن أحد تعريفات سينيكا تتضمن شرط أن المُعطي والمتلقي للعفو هما حالات متباينة[١٩]. ويصح هذا في الممارسة ويختلف في الحالات الأغلب أو حتى توجد بين قاضي الحكم والمذنب أو بين الغازي والمغزو. وعلينا التأكد من أن مثل هذه الاختلافات مشروطة الظروف وليس جوهرية للفضيلة ذاتها، وهي كفضيلة – تعني أنها فعل لعقل إنساني يصدر الأحكام بالطريقة التي تقصدها الطبيعة- فالعفو يجب أن يكون مناسبًا لكل البشر بما هو، والحقيقة من الصعوبة أن تجد مرجعيات لأقرانهم الذين يقال إنهم يتصرفون بعفو تجاه

(١٧) عن تجنب الانفعال انظر مقدمة الغضب القسم الثاني.

(18) On the impossibility of virtue and vice coexisting in the same mind, see On Anger 2.12.2. For the contrast between clemency and anger see, e.g., 1.5.4–5, 7.3–4, 11.1, 17.1, 19.4, On Anger 2.5.3, 13.2, 23.4; on clemency as the opposite of anger, see also Cicero On Appropriate Actions 1.88.

(19) 2.3.1, quoted above. In Cicero's definition of clementia at On Invention 2.164—"clementia, per quam animi temere in odium alicuius †iniectionis [vel invectionis]† concitati comitate retinentur" the corrupt word has since the sixteenth century commonly been emended to read inferioris, on the model of Seneca's definition ("clemency, by which minds that have been rashly roused to hatred of someone inferior are restrained by friendliness"). But it is not clear that the emendation is correct; given Seneca's particular focus in addressing Nero, it might actually introduce an anachronism. The point being made in the text is in any case not affected.182

بعضهم في عصر شيشرون[٢٠]، كما يلاحظ سينيكا أن «العفو يجعل أي أسرة تتمتع بالسعادة والسكينة» (٤ , ٥ , ١)، بعد إصراره على أن « العفو أمر طبيعي لكل البشر» (٢ , ٥ , ١)، وصفاء العقل الذي يجلبه العفو لمجازاة الأخطاء بعدل هو خير إنساني حق، وأيًّا كانت المستويات الاجتماعية التي ارتكبت عليها الأخطاء وعُوقبت بها.

ومن ثم: كما لاحظنا بالفعل سينيكا يقول إن: «العفو لا يليق بأحد أفضل من الملك أو الأمير» (٣ , ٣ , ١، . ٢ , ٥ , ١، ٤)، وهو يخاطب نيرون الذي جثم على المكانة الأسمى وليس المنصب الأعلى، ولذلك فقد حان الوقت الذي يفكر فيه سينيكا كيف يتقرب من أميره، ويحثه على هذه الفضيلة.

الأمير

لقد جعل يوليوس قيصر العفو مفتاحًا لأفعاله العامة أثناء وبعد الحرب الأهلية بسبب مزاجه وميله الشخصي وإثبات أنه ليس سوللا آخر يرغب في استعمال القوة الغاشمة لينتقم بقسوة (*cf. 1.12.1–3*)، وتبعه الرجال الذين نفذوا إلى سلطانه "الرجال الأُوَل" وهم سلالة يوليو-كلوديان *Julio-Claudian*، وعندما صوَّت السوناتو عام ٢٧ ق.م أن أوكتافيان وريث قيصر ينبغي أن يكون معلومًا مثل أوغسطوس، كما صوت أيضًا على أن يُكرم بدرع ذهبي منقوش بفضائله عينها التي تنطوي على العفو والشجاعة والعدل والشفقة. وصك تبيريوس خليفة أوغسطوس عملة معدنية على وجهها الأول صورته ووجهها الآخر العفو، حتى كلاوديوس القاسي احتفل بسينيكا لعفوه (*Consolation to Polybius 13.2*)

(20) See the references gathered at Griffin 2003, 161, and the general thrust of the argument in Konstan 2005.

عندما حاول استدعاء سينيكا من المنفى[٢١].

ولكن ترمي الطريقة التي يتحدث بها سينيكا عن موقف نيرون من عفوه في ظلال مختلفة، وقد كتب سينيكا خطاب تسلم المنصب لنيرون في أكتوبر، واعترف بسلطة السوناتو ومسؤولياته، وألمح إلى أنه سيعمل شريكًا لهذا الجسد [٢٢] وفقًا لنموذج العلاقة بين «الرجل الأسمى» والسوناتو الذي كان ساريًا على الأقل اسميًّا منذ زمن أوغسطوس، ومع ذلك لم يذكر كتاب العفو في أي موضع الشراكة الاسمية أو السوناتو ذاته،، ونقرأ بدلًا من ذلك في مطلع الأطروحة أن « العفو لا يناسب أحدًا أفضل من الملك أو الأمير» (٣,٣,١)، ونجد هنا ذكر لقب نيرون باعتباره ملكًا، وهو اللقب الذي كان لعنة على الطبقات العليا الرومانية منذ طُرد ملوك المدينة وتأسست الجمهورية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وعندما نرى أن سينيكا يتحدث بعد ذلك «الأمراء والملوك وحراس النظام المدني وبأي اسم آخر يمضون» (٣, ٤ , ١) ونجده في باقي العمل يشير إلى الملك والأمير إلى أنهما مختلفان، فإننا نستخلص نتيجتين: أن الترجمة المعقولة لكلمة *princeps* في هذا العمل هي الاشتقاق الصريح لها وهي كلمة *prince* بكل الارتباطات الملكية التي تجلبها الكلمة، وكل الألقاب المتباينة لهذا النوع من الناس التي يعيها سينيكا لا يستوجب مقارنتها بالسلطة الاستبدادية التي يُعلم تمامًا أنها تُمارس هذا الصنف من السياسة.

إذَنْ أطروحة نيرون تؤكد بلا ريب ولا خجل أنه ملك، وأعظم ممن يحكمهم بلا قياس، كما يوضح سينيكا بطرق مختلفة، ففى بداية العمل (٢, ١, ١) بينما يتطلع نيرون إلى ’المرآة‘ التي يحملها سينيكا أمامه متخيلًا أنه يسأل: «هل أجد من بين البشر ما يُرضي ويُختار للعمل بدلًا من الآلهة على الأرض؟»، ولا يجيب سينيكا

(٢١) للاطلاع على هذه الأمثلة وغيرها انظر Griffin 2003, 165–67.

(22) Tacitus Annals 13.4.1–2.

صراحة هنا على السؤال " فيختار مَن ويُرضي مَن؟" والعبارات التالية – على سبيل المثال: "وكذلك المرء الذي لديه قدرة وهب الحياة وسلبها يستعمل هبة الأرباب العظمى بسمو، ويصح هذا في حالة الرجال الذين يعرف أنهم يتمتعون بمكانة عالية مساوية له" (٢ , ٢١ , ١)– تقودنا إلى أن نستنتج الإجابة "بالآلهة ذاتها"[٢٣]، وأضف إلى ذلك لا يُفترض أن نيرون ملتزم بأى قانون: فعند قرب نهاية الخطاب الافتتاحى يصور نفسه قائلًا: «فإنني أحتاط وأستبقي العفو، وأراقب نفسي كما لو كنت ملتزمًا بأن أقدم حسابًا للقوانين عن ذلك العفو أستدعيه من غياهب الظلام إلى النور، لقد تأثرت بأن أحدهما بدأ الحياة والآخر أوشك على النهاية» (٤ , ١ , ١)، إن القوة الافتراضية للعبارة تقبل حقيقة أن الأمراء كانوا قانونًا لأنفسهم، ويؤكد سينيكا مرارًا بصور مختلفة على المسافة الهرمية بين نيرون والذين يعتمدون عليه، وفي المجاز المستعار من معاملة الأطفال اليتامى الذين في عشيرته هو وصيهم المخلص (٥ , ١ , ١، ١ , ١٨) والوالد الخير (١ , ١٤ , ١، ٢ , ١٦) أو الطبيب (١ , ١٧ , ١–٢) أو المعلم (٢ , ١٦ , ١) إنه 'العقل' أو 'النفس الحي' للجسد السياسي الذي «لن يكون إلا وزن ميت... إن غاب عن السلطة المركزية عقل عظيم» (١ , ٤ , ١، ٣٥ , ١، ١ , ٢ , ٢) «في حين يقبض على مصائر ومواقف البشر في قبضته» (٢ , ١ , ١)، والناس مجتمعون حيوانات جر ربما تفلق نيرها أو قيودها» (١ , ١ , ١، ٢ , ٤).

كيف لا يثبت أن رجلًا يشغل هذا المنصب طاغية؟ ويجيب سينيكا عن السؤال مباشرة (١ , ١٢ , ١، ٣): «يختلف الطاغية عن الملك في تصرفه ولقبه... والعفو عند الطاغية والملك كبير للغاية»[٢٤]. غير المقيد بالقانون والمؤسسات،

(٢٣) للاطلاع على أن نيرون رفيق الآلهة انظر 1.1.2, 1.4, 5.7, 7.1, 8.3, 19.8–9، وللحجة القائلة بأن سينيكا ينوي تمثيل نيرون على أنه خيار الآلهة "وصي" انظر Fears 1975.

(٢٤) الأسس التقليدية التي تميز الطاغية عن الملك تختلف عن التمييز القائم على الشخصية الذي يضعه سينيكا هنا see 1.12.1n.

والملك يتحاشى النموذج السيئ – السلطة العمدية المطلقة للطاغية– ويقترب من النموذج الخير، فيغرس الملك العفو والإنسانية ووضوح الروح المتقدة التي تتدفق عليه، بعبارة أخرى حيث لا قوة للقانون والمؤسسات، وكل ما يتوقف على الشخصية، والأسباب التي اختارها الأمير لتنظيم تصرفه، ولكن تبدو هذه الإجابة مجرد وضع للسؤال الأصلي بصيغة مختلفة: لماذا اختار مثل هذا الرجل أن ينظم سلوكه بهذه الطريقة؟

لأن هذه الصيغة من السؤال تطرح نوعين مختلفين من الإجابة، وكلاهما طرفٌ تقليديٌّ للنصيحة المقدمة للملوك، الأول أن هناك تخطيطًا لثناء معياري ملحوظ بالفعل، فنيرون يرغب طبيعيًّا أن يغرس نوعًا بعينه من الخيرية يستلزمه العفو لأنه خيِّر بالفعل: وخيره «فطري» وليس مفترضًا للظهور «أصيل ووتيد» (٦ , ١ , ١)، إنه «حفظ المجتمع من إراقة الدماء، وهذا إنجاز –وهذا موضع للفخار أنك لم تدع قطرة دم واحدة تُنزف في العالم– وهذا أمر جلل معجب لأنه لم يعهد بسيف السلطة من قبل لأي أحد في المرحلة الأولى من حياته» (٣ , ١١ , ١)، لأنه أظهر بإحجامه عن موت حتى المجرمين المدانيين، فكيف يصارع خيره حظه (١ , ١ , ٢)[٢٥]. ولكن الارتباط بنداءات صاخبة لتصور نيرون الذاتي هذا تخطيط آخر استُعمل بإفراط وبفاعلية: حيث الطمأنة بأن «الخيرية الفريدة لن تضيع سدى، ولن تقابل جاحدًا أو قاضيًا خبيثًا: وسوف يقدم لك الامتنان بالمقابل، ولن يعز امرأً على آخر بقدر معزَّتك للشعب الروماني، وهذا خير عظيم مقيم» (٥ , ١ , ١).

ولذلك يقدم سينيكا أولًا سلسلة مطولة من الحجج الصريحة الحذرة تهدف إلى إقناع نيرون بأن العفو ليس صوابًا فحسب، بل نافعٌ أيضًا:

---

(٢٥) تعزز مقدمة الكتاب الثاني كلها هذه الخطة؛ لأن نداءات الخيرية تلبي شعور نيرون بعظمته **cf., e.g., 1.5.6 (Nero as "master of the world"), 1.8.4 (Nero as the sun)** .

- إن العظمة الراسخة المستقرة تتبع رجلًا واحدًا يعلم الجميع أنها لهم بقدر ما يعلو عليهم... والناس من أجل هذا الرجل على استعداد تام أن يلقوا بأنفسهم على السيوف المسنونة ويتخلوا عن حياتهم إذا كان دربه للأمان يُمهَّد بجثثهم (٣, ٣, ١).
- والمرء الذي قد ينتقم في إيماءته، ويدَّعي بأنه على يقين أنه سيُحتفى بكرمه إذا ترك فرصة الانتقام تمضي (٣, ٧, ١).
- جلب له (أوغسطوس) عفوه أمنه وسلامة باله، فرأى الناس فضله بامتنان، لذلك ملك بقبضته رقبة الشعب الروماني الذي لم يخضع بعد لسلطان الحاكم، فصنع عفوه شهرته إلى يومنا هذا، وهو شيء يتمتع به قلة من الأمراء الأحياء (٢, ١٠, ١).
- العفو إذَنْ لا يريح البشر فحسب بل يجعلهم آمنين، وهو زينة للسلطة الأسمى وضمانة للأمن (٤, ١١, ١).
- وعندما يكون الملك رزينًا سكينًا تتبعه قواته التي تعينه، وبمجرد أن يستعملهم لأمر عام أو عسكري يتوقون للمجد، ويتحملون بسرور كل مهمة، كما لو كان أحدهم يحمي أحد والديه (١, ١٣, ١).
- يميل إلى مسار ألطف وهو يُظهر عدم رغبته في اللجوء للمداوة القاسية عندما يُنْادى بالعقوبة، ولا يعرف أفكار وحشية أو عدائية بل يمارس سلطانه بروية ومن أجل الخير، وهو يرغب في أن يستحسن مواطنيه أوامره. إنه يعتقد أنه محظوظٌ إلى أقصى مدى إن نجح في أن يجعل حظه الحسن ملكًا للجميع... وإن صنع الأمير الأمان بلطفه، فلن يحتاج إلى حراس: وسوف تبسط أسلحته (٤, ١٣, ١-٥).
- فما من حاجة لبناء القلاع الرصينة أو تحصين التلال المنحدرة أو تسوير جوانب الجبال لحماية النفس بسلسلة من الحصون والأبراج؛ فالعفو

يضمن للملك أن يكون آمنًا في العراء، وحب مواطنيه هو حصنه الحصين الوحيد (٦, ١٩, ١).

ولكن هناك دروس جمة هنا تزيد عن رسالة «دفع الخيرية» وهي تقابل الإحسان من الأعلى إلى الأسفل ولطف الإنسانية بامتنان الأسفل للأعلى والحب – وروابط المودة التي تربط الأمير بالشعب في هذا النموذج لا تقل في أهميتها كالتبادل التقليدي الذي ينطوي أفضال ممنوحة ومردودة، رغم أن الأبعاد الهرمية لم تتقلص للحظة، وتبني أشكال الاتصال التي تعزز الاتصال تبادلًا حقيقيًّا للاهتمام، حيث يتعهد كل طرف بجعل الآخر آمنًا (*cf. 1.19.5*)، وعندما يكون الأمير "رجلًا يعلم الجميع أنها لهم بقدر ما يعلو عليهم".

وأخيرًا، كان هناك وضع قانوني نوعي للأمير يمارس فيه العفو ويهم النخبة السياسية الذين (خلف نيرون ذاته) وكانوا جمهور سينيكا الرمزي[٢٦]، وكانت في نهاية الجمهورية تقدم التهم الكبرى للنخبة – تهمة إساءة التصرف في المقاطعات والتحريض على العنف والفساد الانتخابي والخيانة وما شابه ذلك– وعادة ما كان يُقدم للمحاكمة أمام إحدى «محاكم التحقيق الدائمة» *quaestiones perpetuae* المكرسة للقانون العام، وتحدد في مثل هذه الحالات الجريمة والعقوبة المقابلة باعتبارها مسألة إيجابية. وكانت لجنة القضاة في «المحكمة الدائمة مسؤولة عن تقرير مسألة الذنب، ولكن لم يكن لها دور في تقييم العقوبة– وبالتالي لم يكن لها منظورٌ لتطبيق نوع الاعتدال العقلي الملزم في كتاب العفو عند سينيكا[٢٧].

(٢٦) حول هذا الأمر انظر Griffin 1976, 161–64, and 2003, 175–77.

(٢٧) على النقيض كان للشفقة دور شائع في هذه المحاكم، وآخر يوفر تباينًا توجيهيًّا مع العفو، وسعى المحامي في محاولة إثارة الشفقة للمدعي عليه لإقناع القضاة بأن المدعي عليه ضحية الواقع وليس جانيًا– في الحقيقة إنه بريء – أو أن كل الامور التي يتم النظر فيها تستوجب أن يخلع المدعي عليه من الخطاف رغم ذنبه الفعلي، ولكن أيًّا من هذه الخطوات ليس لها علاقة بالعفو الذي يحث عليه سينيكا.

وبموجب المبدأ صار من المعتاد إجراء شكل آخر من المحاكمة (يُسمَّى كوجنيتيو *cognition*) يشكل أمام السوناتو أو الأمير، وفي المحكمة نفسها- كما في محكمة المواطنين غير الشرعيين أمام حاكم المقاطعة، أو في المحاكمة المحلية التي رأيناها في وقت سابق في حكاية لوكيوس تاريوس- حيث يتمتع الشخص أو الأشخاص الذين يحكمون القضية بحرية كافية في تقييم العقوبة، وكذلك في تقرير ما إذا كانوا يميلون في اتجاه الصرامة أو العفو، وكانت مسألة النتيجة في مثل هذه الحالات لأقران سينيكا إذا كان الأمير هو القاضي أو أعضاء آخرون من السوناتو، وهم يتبنون حجج النبالة الأخلاقية والفائدة العملية التي يقدمها سينيكا لأجل العفو.

وفي هذا الحدث بالطبع يوجه سينيكا أميره سواء في هذه الأطروحة أو في محادثاتهم ولا يأخذ بها، وعلى سبيل المثال عندما قتل نيرون أمه في ٥٩، ولفق لها جرائم حدثت في الماضي، وعفا عن الذين زعم أنها نفتهم، لا يمكن القول هنا إنه يُظهر العفو الذي تحدث عنه سينيكا[٢٨]، والعاقبة أن يُوصف سينيكا في السنوات الأخيرة من حكم نيرون بمعلم الطاغية[٢٩]، ولا نعلم متى قيم سينيكا أميره وخيبة أمل تعاليمه، ولكننا قد نأخذ كتاب العفو رمزًا لفشله[٣٠].



---

(28) Tacitus Annals 14.11, 12.3–4.

(29) Cassius Dio 61.10.2.

(٣٠) تعتمد هذه الترجمة الإنجليزية على إصدار (Ermanno Malaspina (Alessandria, 2001 إلا أن هناك مواضع استوجبت الرجوع إلى إصدارات أخرى.

مراجع للقراءة

Miriam Griffin. 1976. Seneca: A Philosopher in Politics. Oxford: Clarendon Press.

Miriam Griffin. 2003. "Clementia after Caesar: From Politics to Philosophy." In Caesar against Liberty? Perspectives on HisAutocracy, ed. F. Cairns and E. Fantham. Cambridge: Francis Cairns, 157–82.

M. B. Dowling. 2006. Clemency and Cruelty in the Roman World. Ann Arbor: University of Michigan Press

الكتاب الأول

١ - ١ قررت أن أكتب عن العفو لعلي أخدم القيصر نيرون، وهو مرآة لك إن جاز هذا، حتى تظهر لك ذاتك كما لو كنت بمقربة من أن تنال عظيم المباهج برمتها، وأن الربح الحق للأفعال القويمة يكمن في أدائها، حيث لا يُجنى من الفضائل سوى ذاتها، ومن الحسن أن تجني نتاج طويتك الصالحة، ومن ثم تنظر إلى حشود الناس التي لا حدود لها أمامك، ومن بينهم المتخاصمون والمتناحرون بلا جَلَد كما لو كانوا مسعورين وهم يدمرون بعضهم بمجرد أن ينفلع هذا القيد[٣١]، ويقول للذات:

١ - ٢ «هل وجدت بين البشر ما يُبهجني وما اختاره لأعمل في نفع الأرباب على الأرض هنا؟ هل أقضي بأمور الحياة والموت في الأمم، وأقبض على قسمة البشر وموضعهم في كفة يدي، وبشفتيَّ اللتين تصرحان بالحظ الذي تود أن تمنحه لكل مخلوق؟ ويستمد الناس والمدن أسباب بهجتها من إجابتي، فلا نطاق في أي أين يزهو دون رغبتي وهواي، فآلاف السيوف تكبت سلامي ولا تستل في غفوتي، والتي تدمر بها العشيرة الجذر والفرع، وتُرسل خلالها للعيش في أي أين، وتمنح بها الحرية وتنزعها كذلك، ويستعمل بها الملوك العبيد، وتكلل بها الرؤوس بمجد ملكي، وتسقط بها المدن التي ترتفع– وكل هذا موضوعٌ لحكمي.

١ - ٣ وعندما أمتلك هذه القدرات الشاسعة في تصرفي، فإن الغضب لا يدفعني لفرض عقوبات غير عادلة– لا، فلا أفعل طيش الشباب ولا أتحدى تهور الناس الذي يستمد غالبًا التحمل حتى من القلوب الرحيمة، ولا من نوع المجد –وهو مروع ولكنه شائع في القيادات العليا– ويعتمد على استعمال الإرهاب ليستعرض المرء نفوذه، فسيفي مغمود، والحري

(31) In place of the lacuna posited here by Malaspina, I translate *et*, with some later manuscripts and most editors.

ثابت حده، وأنا مقتصد كلية حتى في الدم المنحط، ولا أحد يفشل في أن يظفر بفضلي بحكم كونه إنسانًا، وإن لم يكن لديه شيءٌ آخر يمدحه،

١ – ٤ فإنني أحتاط وأستبقي العفو، وأراقب نفسي كما لو كنت ملتزمًا بأن أقدم حسابًا للقوانين[٣٢]. ذلك العفو أستدعيه من غياهب الظلام إلى النور[٣٣]، لقد تأثرت بأن أحدهما بدأ الحياة والآخر أوشك على النهاية، ولطفت بأحدهما لمكانته الرفيعة والآخر لوضاعته، وعندما لا أجد سببًا للشفقة[٣٤]، فأنا رحيم من أجل نفسي، وإن دعتني الأرباب الخالدة للمحاسبة اليوم، فإنني مهيأ أن أمنح الحساب لجنس البشر".

١ – ٥ وبمقدورك أن تعلن هذا بجرأة يا قيصر: فكل ما عُهد لعهدتك الإيمانية به أمان، وأنت قد انتقصته[٣٥]، ولم ينتقص من الأمة ذرة بقوة أو استراق، وتتوق إلى ما ندر من المديح، الذي لم يَنَلْهُ أي من أسلافك: حيث مدح البراءة[٣٦]، وهذه الخيرية الفريدة لن تضيع سدى ولن تقابل جاحدًا أو

---

(٣٢) الصياغة الافتراضية البحتة المقصودة: مع أن الأمراء اسميًّا 'الأول بين المتساويين' فإنه كان مميزًا عن المواطنين الآخرين على الأقل أنه ليس مسؤولًا أمام القانون سواء من الناحية العملية أو النظرية (الأمراء غير ملزمين بالقانون) (cf. the dictum of the third-century-CE jurist Ulpian, "The princeps is not bound by the laws"; Digest 1.3.31.pr.). Cf. also §12.1n.

(٣٣) – أول التعبيرات الضمنية والصريحة لوالد نيرون بالتبني أن كلاوديوس (cf. §§10.3, 23.2 nn.) الذي تعرض للانتقاد بسبب سلوكه القضائي المتقلب (cf. Apocolocyntosis 10.4, 14.2, Tacitus Annals 13.4.2, Suetonius Claudius 14–15).

(٣٤) الأمثلة السابقة التي تنطوي على أسباب خارجية لحقائق القضية تفترض أن سينيكا يفكر في الشفقة باعتبارها استجابة لمعاناة مدركة (cf. 2.5.1) وليس استجابة مدركة فحسب بل أنها ظلم (Aristotle Rhetoric 2.8 1385b13–14); cf. also 2.5.4.

(٣٥) كثير من الكلمات قد فُقد في نقله هنا، ولكن المعنى المطلوب واضح، وتعكس الترجمة الإضافات الشائعة المقبولة "omnia, quae in fidem tutelam<que tuam venerunt, tuta ha>beri, nihil per te neque vi neque clam <adimi> rei publicae"

(٣٦) أول قمع لقاتل بريتانيوس cf. esp. §11.2 below.

قاضيًا خبيثًا: وسوف يقدم لك الامتنان بالمقابل، ولن يُعز امرؤٌ على آخر بقدر معزتك للشعب الروماني، وهذا خير عظيم مقيم.

١ – ٦ لقد تكبدت عبئًا ثقيلًا على عاتقك، ولم يتحدث أحد عن أوغسطوس الإلهي الآن أو السنوات الأُول لتبيريوس(٣٧)، ولا يسعى أحد إلى مثالٍ وهو يحاكي جانبك ومكانتك أميرًا(٣٨) ويحكم بنموذج قد تلقيناه. قد يكون هذا تحديًا إن كانت هذه الخيرية ليست فطرية بل مفترضة للمناسبة، فلا يمكن لأحد أن يعمل طرفًا لفترة طويلة، فسرعان ما يرتد الطبع إلى طبيعته الحقة، ولكن الأشياء الأصيلة الوتيدة المدعومة بالحقيقة والنضارة -إن جاز التعبير- تعظم وتحسن بمرور الزمن.

١ – ٧ وقد واجه الشعب الروماني مقامرة حين غُمِطَ الدور الذي سيتخذه شخصك النبيل، ولكن لَبيت رغبات الناس الآن، وليس هناك خطر مفاجئ من نسيان شخصك، وتيقن أن الرخاء المفرط يخلق في الناس الجشع، ولا يمكن ضبط رغباتهم الجامحة تمامًا فيرسمون خيطًا لما سوف يكتسبونه، وهناك تقدم من العظيم إلى الأعظم، فمَن نجحوا في تحقيق توقعاتهم احتضنوا توقعات من نوع أشد شائنة، ولا يزال مواطنوك لا يسعهم إلا أن يعترفوا بأنهم سعداء، ولا يمكن أن يُضاف إلى حظهم الطيب شيء باستثناء ذلك.

١ – ٨ إن أمورًا تجبرهم على القيام بهذا، وهو أمر يجعل الناس يتباطؤون في أن يفعلوا: فالحرية الوافرة والعميقة من العناية، وهي بمنأى عن الزلل، وحال الازدهار الحق للأمة يحوم أمام أعينهم، ولا يفتقرون شيئًا للحرية

---

(٣٧) وجهة النظر التقليدية هنا منعكسة **Tacitus Annals 4.1.1** في أن تيبيريوس حكم بعد فوز أوغسطوس في ١٤ م حتى أصبح تأثير وزيره سيجانوس بالغ الأهمية **esp. from 23 on**.

(٣٨) حول كلمة **princeps** إلى المصطلح المترجم هنا باعتباره الأمير **§3.3n. below**

الكاملة إلا الفجور لتدمير ذاتها.

١ - ٩ ومع هذا كله، هناك إجلال لرحمتك التي يُعرف عظيمها وقليلها على نحو مكافئ، حيث يُدرك كل امرئٍ الخيرات الأخرى بما يتناسب وحظهم الحسن، وتعظم أو تقل وفق توقعهم لها، ولكن الكل يتوقع أن تستمد الفائدة ذاتها من الرحمة، ولا أحد يرضى مَلِيًّا عن براءته وأنه لا يبتهج لرؤية العفو وهو يقف متأهبًا لفشل الإنسان.

٢ - ١ وأعرف بعضًا يعتقدون أن العفو يدعم أردأ الناس، حيث إنه ليس ضرورة حتى تُرتكب بعض الأخطاء، وهي الفضيلة التي لا مكان لها بين الأبرياء، أولًا مثلما يُستعمل الطب بين المرضى ويُحتفى به بين الأصحاء أيضًا، وكذلك حتى تقدير عفو الأبرياء رغم الناس الذين يستحقون العقاب يسعون لدعمها، ثانيًا للعفو مكانٌ في شخصية الأبرياء حيث يُلام الناس أحيانًا على أشياء رديئة الحظ، ولا يعين العفو الأبرياء فحسب بل الفضيلة على الغالب، وبقدر ما يحدث في بعض الأشياء في حالات بعينها أنه بمقدورك أن تعاقب كما تُثني(٣٩)، فإن حقيقة التناسب العريض للناس يمكن أن يُعيد البراءة إذا ...(٤٠).

٢ - ٢ وليس من المناسب أن تتخلى عن العفو كلية، فعندما يُمحى التمايز بين الأخيار والأشرار تتوالى الفوضى وتتفشى الرذائل، وبالتالي فإن المرء بحاجة إلى أن يُطبق نوعًا من الاعتدال ليعرف كيف تتمايز الطبائع التي

---

(٣٩) صياغة غامضة من المفترض أنها تعطي (على سبيل المثال) مقاومة الطاغية cf. §26.1.

(40) Lost in the lacuna is some idea along the lines of "if they're given a second chance" (Basore's si <poenae remissio fuerit>) or "if you treat them as innocent" (si <eos pro innocentibus habeas>) or "if clemency gives them hope" (Ball's si <clementia spem restituerit>). What S. should not say here is "if you forgive them" (Préchac's si <ignoscas>), since he will distinguish clementia from forgiveness at 2.7. But he is not always self-consistent; cf. the end of this paragraph.

يمكن مداواتها والتي فقدناها(٤١)، فلا ينبغي لرحمة المرء أن تكون عشوائية أو مقيدة للغاية: كما لو كان للقاسي أن يعفو عن الجميع بقدر ما لا يعفو عن أحد، ويجب علينا أن نستبقي المعنى، ولكن التوازن صعب مهما كان مقياس الإنصاف صارمًا (٤٢)، لذا ينبغي أن يميل المعيار إلى اتجاه أكثر إنسانية.

٣ - ١ ومن الأفضل معالجة هذه الأمور في موضعها المناسب، وسوف أُقسِّم الموضوع الآن إلى ثلاثة أقسام(٤٣): القسم الأول عن اللين *leniency*(٤٤)، والقسم الثاني يوضح طبيعة العفو وما يشملُهُ؛ لأن هناك رذائل بعينها تحاكي الفضائل ولا يمكن القبض عليها من جانب واحد إن لم تستبن دلالاتها المتمايزة بوضوح، ونتساءل في القسم الثالث عن كيفية جلب العقل لهذه الفضائل وتقويتها وممارستها التي تخصها.

٣ - ٢ وليس من بين الفضائل ما هو أفضل يناسب الإنسان؛ لأنها ليست أكثر إنسانية، ويجب أن يكون هذا مسألة اتفاق عام، ليس بيننا فحسب(٤٥)،

---

(٤١) عن العقاب باعتباره شفاء انظر **On Anger 1.16**، وعن أهداف العقاب انظر **§21–22 below**.

(٤٢) يتحدث سينيكا بغزارة وغير دقة، وعلى النقيض من الادعاء في ٣, ٧, ٢ الذي يقرر أن العفو بحكم الواقع عادل.

(٤٣) الجزء الأول هو موضوع الكتاب الأول. ويتضمن الثاني تعريف العفو وتمييزه عن رذائل الشفقة **misericordia** والصفح **venia** في ٣, ٢–٧، والجزء الثالث إما قد فُقد وإمَّا غير مكتمل.

(44) The translation reflects Kronenberg's animi remissionis—literally "of the relaxation of the mind," esp. with regard to strictness or severity (OLD s.v. remissio 4b, cf. §24.1: "People better obey someone who gives his orders in a milder [remissius] way")—adopted instead of the archetype's manumissionis printed by Hosius and obelized by Malaspina (with a lacuna posited following). The reading is consistent with the thought that clemency depends on mental calm and clarity and is hindered by mental turbulence and upset: cf. §5.5, 7.2, 13.4, 2.6.1 and introduction, section 2; similar thoughts occur also in On Anger (cf. esp. 1.16.6–7).

(٤٥) هذه مناصرة للرواقية؛ لأن سينيكا استعمل صيغة الجمع للشخص الأول بهذا المعنى انظر **On Anger 1.5.2n**.

فمَن الذي يكون إنسانًا لكونه حيوانًا اجتماعيًّا وُلِدَ للخير العام، ولكن بين الذين يكرسون الإنسان للمتعة وينظرون لمصالحهم في أقوالهم وأفعالهم(٤٦). فإذا كان الإنسان يسعى للسلام والسكينة، سوف يجد الفضيلة جزءًا من طبيعته؛ لأن الفضيلة تهوى السلام وتُملكنا على نفوسنا.

٣ – ٣ وقيل إن أفضل مَن يناسبه العفو هو الملك أو الأمير(٤٧)؛ لأن الثروة الكبيرة تجلب الشرف والمجد إذا كانت سلطتهم نافعة، فامتلاك القوة لفعل الضرر مهلكة للسلطة، فالعظمة الراسخة المتوازنة يتصف بها الرجل الذي يعرفه الآخرون بمدرج أن يعلو عليهم فحسب، والذين تجدهم متوجسين يوميًّا لرفاهيتهم سواء أكانوا فرادى أم مجتمعين، وعندما يظهر لا ينتشر الناس كما لو كانت بعض الوحوش الضارية اللعينة قد قفزت من مخبئِه، يتدافعون نحوه أفواجًا كما لو كان نجمًا لامعًا فياضًا، والناس من أجل هذا الرجل على استعداد تام أن يلقوا بأنفسهم على السيوف المسنونة ويتخلوا عن حياتهم إذا كان دربه للأمان يُمهد بجثثهم: يسهرون الليل ليحموا نومه، ويحيطونه مثل درع

(٤٦) هذه مناصرة للأبيقورية؛ لأن غايتهم القصوى 'السعادة' بالمعنى المحدد لغياب الألم، و'التحرر من الاضطراب ataraxia' الذي يشجع على الطمأنة السياسية، رغم أن سينيكا يصور هذه الغايات هنا على أنها مجرد أنانية: راجع توافق الحكيم (cf. On the Wise Man's Consistency 15.4, On Favors 4.2.1), he is capable of a more nuanced response, esp. in the Moral Epistles (e.g., 9, 21.3ff., 25.4ff.).

(٤٧) لم يكن نيرون ملكًا rex فاللقب يسيء إلى الموروث الروماني السياسي، لقد كان 'الرجل الأهم' (أمير)، وجذوراللقب لصيقة بالجمهورية، اختاره أوغسطوس ليصف مكانته في المجتمع ويستعمله جميع الأباطرة اللاحقين له، ويحل سينيكا بداية من الفقرة §٣,٤ وطوال الأطروحة الاختلاف بين الملك والأمير (cf. §4.3n. on "Caesar") وقد ترجمت كلمة princeps لكلمة prince أمير لأنها قريبة الدلالة فيما يفكر فيه سينيكا (e.g., §5.7 below).

جوانحه، وعندما تداهمه المهالك يضعون أنفسهم في طريقها(٤٨).

٣ - ٤ ولم تعقد المدن والشعوب هذا الاتفاق دون سبب، وهو أن يحبوا ويحموا بملوكهم بهذه الطريقة ويضحوا بحيواتهم وما يملكون من أجل أمان الحاكم، لا، ولا يعني أنهم مجانين أو لا يقدرون قيمة حيواتهم عندما تُقْدِمُ آلاف عدة على حمل السلاح من أجل شخص بعينه ويتكبدون الموت لإنقاذ حياة رجل واحد قد يكون عجوزًا وضعيفًا(٤٩).

٣ - ٥ مثلما يُستعبد الجسد بأسره للعقل - رغم أن الجسد أكبر وأكثر رضاءً للبصر بينما نحالة العقل مخفية وموضع خفائه غير معلوم- والأيادي والأقدام والأعين تؤدي أوامر العقل، والجلد يحميها، ولا نزال ننبطح لأمره أو نندفع باضطراب عندما يُصدر الأمر، ونحن نسبر البحار بحثًا عن فائدة إن كانت سيادة العقل جشعة بينما لو كان تواقًا للمجد فقد وضعنا يدنا اليمنى في اللهب (٥٠) منذ أمد بعيد، أو نعاني الموت طوعًا(٥١) إن الحشد الغفير من الناس المحيطين بنفس رجل بعينه

(٤٨) للاطلاع على التناقض بين الإمبراطور الرديء الذي يشاكل البهيمة المخيفة والإمبراطور الخيِّر الذي يحبه الناس ويحمونه طوعًا انظر **Pliny Panegyric 48–49**..

(٤٩) للاطلاع على التقدير العقلاني للناس للإحسان الذي يمنحه الحاكم المقسط وطواعيتهم للدفاع عنه "حتى لو كان شيخًا كبيرًا" انظر **Polybius 6.6.10–12**.

(٥٠) يشير سينيكا إلى أسطورة جايوس موكيوس **Gaius Mucius** الذي لُقب سكيفولا **Scaevola** أي 'شمالي **Lefty** ' بعد أن أغرق يده اليمنى في النار ليُرى لارس بورسينا **Lars Porsenna** ملك أتروسكان المادة التي صنعها الرومان – وقعت هذه الحادثة عندما كان بورسينا يحاول أن يجبر الرومان على استعاده ملكه تاركوين المبجل **Tarquin the Proud** الذي نُفي عام ٥٠٩ ق.م.

(51) I translate voluntariam subivimus <mortem>, the easiest correction of the archetype's corrupt reading, voluntariam subsiluimus (cf. Malaspina's voluntariam sub<ivimus mortem aut *** sub>siluimus). Most earlier corrections have tried to salvage subsiluimus ("leapt beneath"), perhaps correctly, taking S. to be referring to Marcus Curtius's legendary leap into a chasm that had opened in the Roman forum, an act that satisfi ed an oracle and saved his city (e.g., Hosius's voluntarii <terram> subsiluimus, "willingly leapt beneath the earth").

تحكمهم روحه ويرشدهم منطقه، قُدِّر له الغلبة وتحطيم ذاتها بجيوشها إن لم يرفعها بتروية.

٤ - ١ وهكذا فإن سلامة الملوك التي يحبونها تقود جحافلهم إلى المعركة، عشرة في آن من أجل شخص واحد، عندما يركضون لمقابلة الخط الأمامي للعدو ويعرضون صدورهم للجروح خشية أن تتحول معايير معركة قائدهم في الجو، ولأنه العروة التي تربط الأمة معًا فهو النفس الحي الممتشق بالكثرة، والكثرة بذاتها لا شيء سوى وزن ميت، وفريسة للالتهام وغياب للعقل العظيم للسلطة المركزية. حينما لا يُؤذى الملك فالكل فكر واحد، وعندما يُفقد تُكسر عُرى الأمان(٥٢).

٤ - ٢ وسوف تعني هذه الكارثة نهاية السلام لروما وتدمير ثروات مجتمعنا العظيم، وسيبقى هذا المجتمع بمنأى عن الخطر طالما أنه يعرف كيف يتحمل مقاليد الأمور، وإن فرَّط فيها أو لم يمنعها من التبديل فسوف تُضيعهم بعض المفاسد، وسوف تمزق هذه الوحدة وينفلت هذا النسيج لسلطتنا العليا، وتنحل سيادة مدينتنا ولن تجد لها مطيعًا.

٤ - ٣ ولهذا السبب ليس من الغريب أن الأمراء والملوك وحراس النظام المدني -وأيًّا كان الاسم الذي يطلقونه- محبوبون أكثر من العلاقات الشخصية: حيث إذا كان أي امرئٍ عاقل يلاحظ أن الشؤون العامة أكثر أهمية من الشؤون الخاصة، فهذا يعني أن الشخص الذي ترتكز عليه الأمة أعز أيضًا، ومنذ أمد بعيد وحتى الآن دمج قيصر(٥٣) شطري الأمة

(52) Virgil Georgics 4.212–13; cf. §19.2 below.

(٥٣) يستعمل سينيكا هنا الاسم، وفي الأصل الكنية لأحد فروع عشيرة جوليان (cf. "Kaiser")، ومكافئ للاصطلاحات التي استعملت في الجملة السابقة (الملك والأمير وحارس النظام المدني "prince," "king," "guardian of the civil regime").

بحيث لا يمكن فصلهما إلا بتدميرهما معًا، فقيصر يحتاج إلى قوة الأمة، بينما تحتاج الأمة قيصر رئيسًا لها.

٥ – ١ يبدو أن حديثي قد انحرف عن الموضوع إلى حد ما، ولكن تيقن أنه مؤثر في الأمر تمامًا[٥٤]؛ لأنك إن كنت تفكر في عقل الأمة وهو جسدك (هكذا الحجة في هذه النقطة) فإنني أتصور أنك ترى مدى ضرورة العفو؛ لأنك تفصل نفسك عندما يراك الآخر مفصولًا، وبالتالي عليك أن تفصل حتى المواطنين المستحقين للعقاب كما تبتر أطرافك المتعثرة، وإن تطلبت بعض الأمور إراقة الدم عليك التحقق خشية أن يزيد الشق عن الضرورة.

٥ – ٢ وكما قلت: العفو أمر طبيعي[٥٥] للبشر جميعهم، وتيقن أنه من الأفضل أن يتزيا به الناس في القيادة بقدر ما يملكه لحماية أحوالهم وما لديه من مقدرات مادية تكشف عن ذاتها، فضرر قسوة المرء على أخيه بسيط! ولكن وحشية الأمراء تعني الحرب.

٥ – ٣ وفوق هذا فإن الفضائل تُوجد في انسجام الدولة المتبادل بحيث لا يزيد أحد طرفيها في التفضيل أو الشرف أكثر من الآخر[٥٦]، فالحرية الممنوحة ملائمة لصنوف بعينها من الشخصيات[٥٧]، فكونك مفعمًا بالحيوية[٥٨] فهذا صائر لأي فانٍ حتى المتواضع: فهل ما هو عظيم أو

---

(٥٤) وعد سينيكا في ٣ , ١ أن يكون الموضوعي الأول هو سكينة العقل التي تفضي إلى العفو، ويبدأ الآن التعامل مع هذا الموضوع مباشرة.

(٥٥) حرفيًّا "وفقًا للطبيعة **secundum naturam**". وحول أهمية هذا المعيار بالنسبة للرواقيين انظر مقدمة عن الغضب القسم الثاني.

(٥٦) هذا موقف الرواقيين الأصيل **cf. On Anger 1.11.2n**.

(٥٧) للاطلاع على المبدأ القائل ينبغي أن نتصرف بطرق تناسب صفاتنا –وصفاتنا المشتركة هي أننا بشر، وصفاتنا الفردية بمواهبها المتفردة ومزاجاتها، انظر **Cicero On Appropriate Actions 1.107ff**.

(٥٨) حول هذه الفضيلة انظر **On Anger 1.20–21 and accompanying note**.

أعظم سموًّا أشد بلادة من شفا المصيبة؟ لا تزال هذه الصفة تتمتع بنطاق وافر من الحظ الحسن ويُنظر إليها بمزية أفضل من منصة القاضي عن المكان الذي يقف فيه المتفرجون.

٥ – ٤ إن العفو يصل بالأسرة إلى السعادة والسكينة، ولكنه مثير للإعجاب في القصر وهي أقل شيوعًا فيه؛ لأن المرء الذي لا يعرف غضبه عوائق والذي تكتسب أحكامه الفظة قبول مَن يدينهم، الذين لا يقاطعهم أحد والذين لا يعتزمون التضرع حين يزيد غيظهم عنفًا أكثر من المألوف- ذلك الشخص الذي يفكر في نفسه: "هل بإمكان أي امرئ أن يكسر القانون بأخذ الحياة، ولكني فحسب بمقدوري كذلك بصون حياته"[٥٩].

٥ – ٥ إن الروح العظيمة هي التي تزيين للحظ الحسن العظيم، وإن لم تَرقَ بذاتها إلى مستوى الحظ الحسن وتطول أجنحتها فإنها تمرغ حتى الحظ الحسن على الأرض، إن السمة المميزة للروح العظيمة هي المسالمة والهدوء والنظر على المذابح والإهانات من موضع السمو، فالاغتياظ في الغضب مخنث، وكذلك القسوة على مَن يلقون أنفسهم على قدمك فتمزقهم بأسنانك – هذا سلوك الوحوش، وليست عند الوحوش نبالة. فالفيلة والأسود تمرغ الحيوانات التي تطرحها، إنه سلوك الافتراس الذي يحكمهم.

٥ – ٦ والغضب المتوحش المتصلب لا يصدر عن الملك، وهو الذي لا يُظهر للآخر حين ينزل به الغضب لمستوى الآخر[٦٠] وإن اكتسب حياة ومكانة

---

(٥٩) تخفي المفارقة أمرًا- كي يلغي العفو ما يقوله القانون فإن المخطأ قد يدان- قد يعود إليه سينيكا في الكتاب الثاني، حيث يستوجب عليه أن يفسر لماذا ينبغي للحكيم أن يعطي الناس كل ما يستحقونه، ويكون هادئًا، ويتظاهر بأنه يعطي أقل مما يستحقه الناس.

(٦٠) للاطلاع على الدوافع الذاتية المماثلة لضبط الغضب راجع **cf. On Anger 2.34.2, 3.32.1**.

اجتماعية تليق بالمُدَّعى عليهم الذين يستحقون فقد الحياة والمكانة، فإنه يصنع شيئًا مسموحًا به فقط لمن هو في محل الحكم: فالحياة يمكن أن تأخذ طريقًا مما هو أسمى ولا يمكن أن تمنح لما هو أدنى.

٥ – ٧ ولكونك منقذًا فهذا سمة مميزة للحظ الأسمى، والتي لا ينبغي أن يزيد الإعجاب بها عندما تمنح نفس قوة الأرباب، الذين يشرق لطفهم في ضوء النهار على الأخيار والأشرار، وإن الأمير بطلبه مسلك الأرباب ينبغي أن يسعد لرؤية مواطنيه لأنهم أخيار ونافعون، بينما يترك آخرين ليدير ظهره للرفقة، ودعه يبتهج بوجود البعض، وينظر بحِلْمٍ لوجود آخرين.

٦ – ١ في هذا المجتمع –حيث الحشود في حراك متواصل على الشوارع الفسيحة التي ازدحمت كلما أبطأت الحواجز تدفقها الجارف، وحيث تطلب المقاعد في الثلاثة مسارح في الوقت نفسه[٦١]، وحيث تستهلك جميع منتجات المزارع في العالم بأسره– تخيل مدى الخراب العظيم هناك إذا بقي الكسر فحسب حكمًا صارمًا قد يُبرر.

٦ – ٢ وكم يندر وجود القاضي الذي لا يتحمل المسؤولية بموجب القانون الذي يوجه تحقيقه؟ وكم يندر المتهم البريء؟ فلا تزيد مقاومة امرئٍ عندما يتعلق الأمر بمنح العفو أكثر مَن الذي يستحق أن يسعى نحوه غالبًا.

٦ – ٣ كلنا يقترف الخطأ[٦٢]، فبعضنا يفعله بطرق ضارية، وآخر بتفاهة،

---

(٦١) هذه هي مسارح بومبي (أول مسرح دائم في روما أقيم عام ٥٥ ق.م) ومارسيلوس Marcellus (بدأ بعد فترة وجيزة من بومبي ولم ينشأ حتى عام ١٣ ق.م) وبالبوس Balbus (أيضًا عام ١٣ ق.م)

(٦٢) حول الموضع راجع cf. esp. On Anger 2.10.2–6, 28, 3.26.3–5.

والبعض بغرض، وآخر بدافع عشوائي أو يضل الطريق بشر آخر، وبعض منا يتوقف بنوايانا الخيرة ولا يصمد قليلًا، ونفقد براءتنا على مضض وبلا هوادة، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل نستمر في السقوط حتى نهاية أيامنا.

٦ - ٤ وحتى لو طهَّر المرء ضميره حيث لا شيء يصرفه أو يخدعه، فإنه لا يزال يصل إلى البراءة بفعل الخطأ[٦٣].

٧ - ١ وبما أنني ذكرت الأرباب، فمن الحري وضع هذا النموذج للأمير ليحاكيه: دعه يتمنى أن يعامل مواطنيه كما يود أن تعامله الأرباب، فهل من مصلحتنا أن القوى التي ذكرناها عاليه لا تعرف الصفح حين نخطئ أو نضل؟ إن عداوتهم قد تمتد لتدميرنا تمامًا، والحري أنَّ أي ملك يكون آمنًا ولا تجتمع أطرافه[٦٤].

٧ - ٢ وإن كانت الأرباب عادلة وفياضة باليسر بما هي لا تعاقب الآثام الجسيمة بتفجير الرق، فمن الإنصاف أن يمارس الإنسان باعتدال مسؤوليته على الآخرين، ويتأمل إذا ما كانت حالة أشد جذبًا وإرضاءً للعين عندما تكون السماء صافية والشمس مشرقة، أو عندما يهز قصف الرعد المتكرر كل الخلق، وتبرق الصواعق من كل حدب! فإن الممارسة المتروية والهادئة للقوة لها نفس مظهر السماء الصافية والباهية.

٧ - ٣ والحكم الملكي عندما يقسو يغرق في الضباب والظلال، ويرتعد الناس من كل جانب ويولولون، وحتى مَن يدق الناقوس ليس بمعفيٍّ من الزعزعة. ويمكن للمرء أن يتغافل بيسر عن البسطاء الذين يعندون في

---

(٦٣) يشير سينيكا إلى الحكيم "الذي لا يغضب من الخطائين؛ لأنه يؤمن بأن الحكيم لا يولد بل يُصنع" (On Anger 2.10.6).

(٦٤) - هذا بعد أن بُغض المخطئ بتوعده انظر On Anger 3.23.6n.

السعي للانتقام: فهم يعانون ضررًا حقيقيًّا، وآلامهم من أخطاء فعلية، وهم يخشون الاحتقار أو أن يظهروا ضعفاء، وليسوا رحماء حين لا يردون للذين يضرونهم، والمرء الذي قد ينتقم في إيماءته، ويدعي بأنه على يقين أنه سُيحتفى بكرمه إذا ترك فرصة الانتقام تمضي.

٧ - ٤ والناس في وقفة ذلهم لديهم متسع أكبر حين يقدمون على استعمال القوة وشد الملابس والاندفاع في المشاجرات وتغاضيهم عن غضبهم، وضربات معتادة تصنع بالتساوي ضررًا خفيفًا، وأما بالنسبة للملك فإن رفع صوته بلغة معادية يتعارض مع جلاله.

٨ - ١ هل تعتقد أنه من المجحف أن تجرد الملوك من حرية التعبير عما في عقولهم حتى في أقل ما يملكونه؟ و«هذه عبودية» كما تقول "وليست سلطة سامية"، هل تعني أنك لا تجد سلطتك لتكون عبودية نبيلة[٦٥]؟ إن موقف هؤلاء الذين يظلون مختبئين في الحشد مختلفين: حيث تخوض فضائلهم صراعًا طويلًا لتُرى، ورذائلهم مكفورة في الظلال، ولكن كلمات وأفعال الناس الذين في موقفك تجعل تجوالهم محل القيل والقال. ولهذا السبب أكثر الناس حرصًا على سمعتهم الذين تتردد أسماؤهم على كل شفاه، أيًّا كان صنف الاسم الذي يتداولونه.

٨ - ٢ فكم من الأشياء تُستنكر عليك وهي مسموحة لنا بفضلك! فبمقدوري أن أتجول في المدينة دون خوف في كل أرجاء المدينة، ودون مرافقة رفيق، ولا يوجد سلاح في بيتي ولا بجانبي، ولكنك تعيش مع السلاح

(٦٥) الفكرة المفارقة التي ترى أن السلطان الملكي "عبودية ممجدة" استئنفت عنها أدناه، وعبر عنها بالملك المقدوني أنتيجونوس الثاني جوناتوس **Antigonus II Gonatas** (حكم من ٢٧٦-٢٣٩ انظر **Aelian Miscellaneous History 2.20**) وانظر **Consolation to Polybius 7.2 (on Claudius)** حيث يشير سينيكا إلى أن الأمير رغم كل قوته إلا أنه يحظر أمورًا عدة.

حتى في حالة السلام الذي توفره، ولا تستطيع أن تبتعد في حياتك عن الحاشية التي تُبقيك في سياج وتتبعك أينما حللت.

٨ – ٣ هذه عبودية الجلال الأسمى: لا يمكن تقليصها، وهذه[٦٦] الضرورة تشارك بها الأرباب المحبوسين في السماء أيضًا، وغير مسموح لهم أن يهبطوا[٦٧] من فوق بأكثر من أن يُأمنوك لتفعل كذلك: لقد زرعت مؤقتًا على سيادتك.

٨ – ٤ قليلون مَن هم على وعي بتحركات الرجال مثلي، يُسمح لنا بأن نغدو ونروح ونُغير ملابسنا دون أن يلاحظنا الناس في جمعهم، ولا يمكنك أن تختبئ إلا من الشمس[٦٨] ويحيط بك ضوء عظيم يوجه نظرات الجميع، هل تفكر أنك تغدو للتو؟ إنك تُشرق.

٨ – ٥ لا يمكن أن تتحدث دون أن تستمع أمم العالم لما تقول، ولا ينتابك الغضب دون أن يرتعد العالم، ولا تُلقي بأحد على الأرض دون أن ترج المنطقة المجاورة، مثل ضربات البرق تُعرض قلة للخطر وتُخيف الكل، فالعقوبات التي يفرضها الرعب المنتشر على مدى واسع يَزيد على الضرر، ليس دون سبب؛ فعندما يتمتع المرء بقوة كاملة لا ينصب الاهتمام في مقدار ما فعله، بل في مقدار ما يمكن أن يفعله.

---

(٦٦) انظر ترجمة إيراسموس Erasmus لكلمة ista و ipsa.

(٦٧) يشير سينيكا إلى التصور الشائع بأن الآلهة باعتبارها موجودات تمنع عادة الاتصال بالبشر وجهًا لوجه، واللاهوت الرواقي الذي اعتبر الإله مبدأ العناية العقلاني الذي ينتشر ويحكم العالم فسر وحدة الوجود التقليدية باعتبارها تجليات عدة لهذا المبدأ.

(٦٨) توقع سينيكا تأليه نيرون مع الإله أبوللو في صفته كالشمس؛ ليكون باعثًا لعهده، محتفيًا به في النصوص الأدبية وبصك العملة في أرجاء الإمبراطورية، حيث حضرتْ صورته بتاج مشع، انظر Champlin 2003:112ff.

٨ – ٦ وأضف إلى هذا الاعتبار: حيث تعبأ بالسخافات[٦٩] التي يتلقوها تجعل الناس البسطاء أكثر عرضة لتلقي مزيدٍ من السخافات، فالملوك يستمدون الأمن بموثقية من اللطف؛ لأن العقاب يقمع كراهية القلة ولكنه يحفز كراهية الكل.

٨ – ٧ وينبغي للرغبة في الغضب أن تتوقف قبل أن يصير الكف علة للغضب، وإلا تُصبح مثل الأشجار التي تُقلم فتطلق فروعها عاليًا، وكثير من النباتات التي تُقطف فتتبرعم بكثافة، وكذلك تضخم قسوة الملك صفوف أعدائه بتدميرها: فكل مَن يُقتل آباؤه وأطفاله وأقرباؤه وأصدقاؤه سوف يحل محلهم.

٩ – ١ وأود أن أقنعك بهذه الحقيقة بمثال من عائلتك، فقد كان أوغسطوس الإلهي أميرًا[٧٠] معتدلًا، وإذا شرع المرء في تقدير حكمه وكذلك فعل ليوقن، وحمل السلاح في محنة الجمهورية التي شارك فيها الجميع[٧١]، وكان في عمرك أي بلغ الثامنة عشرة، وطعن أصدقاء في القلب، ونصب بالفعل مؤامرة لمارك أنطوني حين كان قنصلًا، وصار طرفًا حقًّا في المحظورات[٧٢].

٩ – ٢ وبلغ الأربعين بمرور الزمن، وهو يقضي الوقت في الغال، ووصله بيانٌ بأن

---

(٦٩) انظر On Anger 2.11.1.

(٧٠) عن صبر أوغسطوس انظر On Anger 3.23.4–8.

(٧١) قراءة في مبدأ عام للإمبراطورية communi quidem rei publicae

(72) The only reasonable construction of the passage treats the clauses “By the time he was your age. . . .” and “by the time he was forty . . .” as parallel and requires a full stop before the first (Grifffin 1976:408–11). Augustus had not in fact done all the things mentioned by the age of 18 (the proscriptions, for example, postdated his twentieth birthday), but S. does not let chronological precision stand in the way of making a point (cf. Griffin ibid. with, e.g., On Anger 1.20.4n.). The passage dates the treatise to Nero’s nineteenth year (15 December 55 to 14 December 56).

لوكيوس سينا *Lucius Cinna* رجل ليس على قدر من الذكاء، حيث كان يتآمر عليه(٧٣)، فأين ومتى وكيف سوف يهجم عليه عن طريق أحد المتآمرين؟

٩ – ٣ وقرر أن ينتقم من سينا، وأمر باجتماع حاشية القنصل، وقضى ليلة مزعجة وهو يفكر في أنه أدان شابًّا من أسرة عريقة كان كريمًا للغاية باستثناء هذه الحادثة، وهو حفيد جنايوس بومبي، الرجل الذي كان يُملي على مارك أنطوني فرمان المحظورات على العشاء لا يستطيع أن يقتل رجلًا واحدًا وحيدًا.

٩ – ٤ وبدأ يئن بصوت عالٍ، وكلماته تتصارع مع نفسها: " ماذا عليَّ أن أفعل إذنْ؟ هل أدع قاتلي يتجول دون أن أحرص أن أقتله حين يدمرني القلق؟ ألم يُعاقب حين يجرؤ ليس على قتلي بل ليقدم لي أضحية دموية؟" – لأن سينا قرر أن يهاجم أوغسطوس وهو يُضحي– "أبعد أن نجوت من أغوار حروب أهلية عدة، ومناوشات برية وبحرية، وجلبت السلام على الأرض والبحر؟".

٩ – ٥ وعاد مرة أخرى بعد أن وقع في الصمت للكلام بصوت عالٍ وغضب يتحدث عن نفسه أكثر مما يتحدث عن سينا: " لماذا تعيش إذا كان يهتم بموتك كثيرون؟ أي نهاية سوف يرسمها العقاب وإراقة الدماء؟ صار رأسي هدفًا لشباب شرفاء المولد، والذين يسنون سيوفهم للمباغتة: إن الحياة لا تستحق ثمنًا باهظًا إذا كان منع تدميري يتطلب تدميرًا أعظم".

---

(٧٣) الرجل الذي يُدعى "لوكيوس سينا **Lucius Cinna**" كان جنايوس كورنيلوس سينا ماجنوس **Gnaeus Cornelius Cinna Magnus** ابن لوكيوس كورنيلوس سينا– حماه يوليوس قيصر وافق لاحقًا على قتله– وحفيد بومبي العظيم، ويوصف في ٨ باعتباره "وُلِدَ عدوًّا لأوغسطوس ولم يصنع" أصبح قنصلاً عام ٥م، وتأريخ سينيكا للحادث إلى وقت كان فيه أوغسطوس في الغال في الأربعينيات من العمر، ومن المرجح أنه كان في عام ١٦–١٤ ق.م، ومكانته التاريخية محل شك، وهناك طبعة متوسعة ربما أسندت إلى سينيكا بشكل مباشر أو غير مباشر موجودة في **Cassius Dio** ١٤ , ٥٥–٢ , ٢٢ يرجع تاريخها إلى ٤م.

٩ – ٦ وقاطعته زوجته ليفيا[٧٤] وقالت: "هل تأخذ بنصيحة امرأة؟ هل تفعل ما يصنعه الطبيب عندما لا تكون الوصفات المعتادة غير مجدية: فجرب علاجات مضادة، فالصرامة لن تصل بك إلى مكانٍ، فقد قلد ليبيدوس *Lepidus* سالفيدينوس *Salvidienus*، وقلد مورينا *Murena* ليبدوس، وقلد كايبوي *Caepio* مورينا، وقلد إجناتيوس *Egnatius* كايبوي – ولن أقول شيئًا عن آخرين أستقبح ذكرهم[٧٥]، جرب الآن وانظر كيف سوف يصل بك العفو: وتجاهل لوكيوس سينا، لقد قُبض عليه ولن يُلحق بك أذى، مع ذلك يمكن أن يُسدي لسمعتك بعض الخير".

٩ – ٧ وابتهج أوغسطوس لأنه وجد ناصحًا وشكر زوجته بحرارة، وأمر بإلغاء اجتماع حاشية القنصل، واستدعى سينا نفسه، وبغض النظر عن ما كان في ديوانه أمر بتوفير كرسي آخر لسينا، وقال: "أطلب منك أولًا وقبل كل شيء ألا تقاطعني وأن أتحدث أو تتفوه خلال تعليقاتي، وسوف أعطيك ما تحب من الوقت لتتحدث.

---

(٧٤) ليفيا دورسيلا (Livia Drusilla (58 BCE–29 ce زوجة أوغسطوس وأم تيبيريوس، طُلقت من والد الأخير تيبيريوس كلاوديوس نيرون، وأُمرت عام ٣٩ بالزواج من أوغسطوس، ولكن نجت منه خمسة عشر عامًا، ثم ألهت حفيدها كلاوديوس.

(٧٥) عُين كوينتوس سالفيدينوس روفوس سالفوس Quintus Salvidienus Rufus Salvius قنصلًا عم ٣٩ق.م حين اتهم في ولائه لأوكتفيان وأُدين من السوناتو (Cassius Dio 48.33.1–3)، والأسماء الأخرى المذكورة هنا ماركوس إيميلوس لبيدوس Marcus Aemilius Lepidus ابن تريومفير triumvir مؤامرة بتاريخ ٢٩، وفارو مورينا Varro Murena وفانيوس كايبيو Fannius Caepio اللذان عملا معًا عام ٢٣–٢٢، وماركوس إجناتوس روفوس Marcus Egnatius Rufus الذي أُعدم عام ١٩ بسبب أعمال عنف لا تستهدف أوغسطوس مباشرة، وانظر Suetonius Augustus 19.1 الذي ذكر عديداً من المتآمرين بما فيهم الحر أسينيوس إبيكادوس Asinius Epicadus والعبد تيليفيوس Telephus، ويضع سينيكا هذا الأخير في الاعتبار فعندما يذكر ليفيا فهو يشير إلى مَن يعتبر أن أفعالهم مصدر للخجل، أما الأشخاص ذوو المكانة المتردية فكانوا بالنسبة للعقل اليوناني مشينين في حد ذاتهم.

٩ – ٨ «يا سينا رغم أني عثرت عليك في معسكر أعدائي- مولود عدوًّا ولست مصنوعًا- سوف أتركك تعيش وتحتفظ بممتلكات عائلتك، اليوم تزهو وتغني حتى يحسد المنتصرون المهزمين، لقد مررت على كثير من الآباء الذين قاتلوا بجواري لأعطيك التبجيل الذي تسعى إليه، ورغم أنني أستحق تقديرك، فقد تعهدت بقتلي".

٩ – ٩ في هذه اللحظة صرخ سينا كما لو كان مجنونًا، وقال أوغسطوس:" لم تحفظْ وعدك يا سينا: لقد اتفقنا ألا تقاطع، وكما قلت إنك تستعد لقتلي"، وحدد المكان ورفاقه في المؤامرة، واليوم، وترتيب الشَّرَك، والشخص المنوط به السلاح.

٩ – ١٠ وعندما رأى سينا مشدوهًا وصامتًا لا بسبب اتفاقهم، بل لأنه على وعي تام بما فعله، قال أوغسطوس: "ما هدفك بهذا الصنيع؟ هل تعني أن تقيم نفسك أميرًا؟ يا إلهي، إن الرومان في شر درب إن كنت أنا الشيء الوحيد بينك وبين السلطان الأسمى ! إنك لا تستطيع أن تحمي أسرتك! لقد هُزمت الآن في ردائك، وأسقطه أثر رجل حر[٧٦]، حقًّا لن يكون شيئًا يسيرًا كما تظن[٧٧] من أن ترفع العويل والبكاء للقيصر! انظر: إن كنت أنا العقبة الوحيدة لأمانيك فهل تتحمل معك باولوس وفابيوس ماكسيموس ورجال مثل كورسوس وسيرفيليوس *Servilius*[٧٨] – نعم، والجحافل الكبيرة من النبلاء، لا الذين لا يقدمون شيئًا سوى

(٧٦) كما كان من المخجل أن تتعرض للهجوم الجسدي من مثل هذا الشخص (§6n.)، ومن المشين أن يُظهر أنه أقل نفوذًا.

(77) The translation reflects Haase's putas, for potes.

(٧٨) من المفترض أن سينيكا يفكر في الأرستقراطيين الذين تقلدوا لقب القنصل في عهد أوغسطوس Cossus Cornelius Lentulus (in 1 BCE), Lucius Aemilius Paulus (1 CE),— Marcus Servilius (3 CE), Paullus Fabius Maximus (11 CE)- مع أن ظهورهم كان شاذًّا قبل التاريخ الذي يحدده سينيكا.

الاسم بل الذين يجلبون الشرف لأسلافهم؟"[٧٩].

٩ – ١١ ولن نأخذ نصيب الأسد في هذا الكتاب بتكرار ما كل ما قاله (لأنه تحدث ما يربو عن ساعتين، وهو يضع الطريقة التي سيقر بها العقوبة الوحيدة التي سينالها سينا): وقال أوغسطوس: "سأمنحك حياتك، كنت سابقًا عدوي بالسلاح والآن متآمر وقاتل، ومن هذا اليوم نبدأ صداقتنا، ودعنا نتنافس لنرى مَن الذي سيتصرف بحسن النية– أنا كمنقذ لك أو أنت كمدين لي".

٩ – ١٢ وبعد ذلك منحه أوغسطوس بالفعل قنصلية، ووبخه لأنه لم يجرؤ على الطلب، واتخذ سينا خليلًا وصديقًا مخلصًا ووريثه الوحيد[٨٠]، ولم يصرْ أوغسطوس هدفًا للتآمر مرة أخرى.

١٠ – ١ إن جدك العظيم الأكبر[٨١] عفا عن الذين غزوه، وإن لم يفعل فمَن الذي سيحكم؟ فإنه جنَّد من معسكر أعدائه سالوست *Sallust* ورجالًا مثل ككيوس *Cocceius* وديلليوس *Dellius* وحاشية من أقرب المقربين له[٨٢]، وسرعان ما أدخل في عفوه رجالاً مثل دوميتيوس *Domitius* وميسالا *Messala* وأسينيوس *Asinius* وشيشرون *Cicero* – في

(٧٩) – حرفيًا "الذين هم زينة لأقنعة لأسلافهم **imaginibus suis decori sint**"، إشارة إلى أقنعة الشمع لأسلافهم، حيث إن الرومانيين كانوا يشرفون بعمل فتحة في بهو منازلهم، ويقصد سينيكا أن الناس لا يُسمون بمعايير أسلافهم بل يضيفون بريقهم إليهم.

(٨٠) – كان إدخال شخص في إرادة آخر من الوسائل السائدة التي استعملها الرومان للدلالة على الألفة الاجتماعية والاحترام (**Champlin 1991**)

(٨١) – يتحدث سينيكا عن أصل نيرون الحميم من أوغسطوس باعتباره نجل أجربيانا الصغرى وحفيد أجربيانا الكبرى ابنه جوليا وأغسطوس ابنها الوحيد،

(٨٢) – حرفيًا " العصبة برمتها (الذين لهم حق) الدخول أولًا انظر **On Favors 6.34.1–2 S. traces to Gaius Sempronius Gracchus (d. 121 BCE) and Marcus Livius Drusus (d. 109 BCE)** ممارسة النبل الروماني لتقسيم أصدقائهم إلى درجات محاكاة للملوك الهيللينستيين، وقد اتخذ كلاوديوس أصدقاء بعينهم للدخول في حضرته (**Pliny Natural History 33.41**).

الحقيقة كل نخب المجتمع[٨٣]، أما بالنسبة لمَن مثل ليبيدوس- تركه يصون موته[٨٤]! ترك ليبيدوس بشرف يناسب مواطنًا رائدًا في المجتمع، ولم يسمحْ بنقل وظيفة رئيس الكهنة له حتى مات الآخر؛ أراد أن تكون شرفًا وليس غنيمة.

١٠ - ٢ جلب له عفوه أمنه وسلامة باله، فرأى الناس فضله بامتنان، لذلك ملك بقبضته رقبة الشعب الروماني الذي لم يخضع بعد لسلطان الحاكم، فصنع عفوُهُ شهرتَهُ إلى يومنا هذا، وهو شيء يتمتع به قلة من الأمراء الأحياء[٨٥].

١٠ - ٣ نحن نعتقد أنه رب، لكن لم نتلقَّ أمرًا لنقوم بذلك[٨٦]، ونقبل أن

---

(٨٣) قائمة الجمهوريين الذين اختارهم أوغسطوس ومنهم جايوس سالوستيوس كريسبوس **Gaius Sallustius Crispus** حفيد الابن وابن بالتبني للمؤرخ سالوست **Sallust**، وماركوس كوشيوس نيرفا **Marcus Cocceius Nerva** كان قنصلًا عام ٣٦ ق.م بعد عفو أوكتافيان عنه، وكيونتوس ديلوس **Quintus Dellius** الذي أطلق عليه 'المتسابق البهلوان' في زمن الملوك الثلاثة لارتباطه برجال السياسة على التوالي وانفصاله عنهم حتى استقر على أوكتافيا بعد معركة أكتيوم، وجنايوس دوميتيوس أهنوباربوس **Gnaeus Domitius Ahenobarbus** مشايع لقتل يوليوس قيصر وبروتوس ثم مارك أنطوني، والذي تحول في الوقت المناسب إلى أوكتافيان قبل أكتيوم، وماركوس فاليريوس ميسالا كورفينوس **Marcus Valerius Messala Corvinus** قنصل عام ٣١ ق.م الذي يشبه في وظيفته أهنوباربوس، وجايوس أسينيوس بولليو **Gaius Asinius Pollio** (انظر **On Anger 3.23.5n.**) الذي حافظ على مزيد من استقلال أوغسطوس عن الآخرين الذين سماهم، وماركوس تيليوس شيشرون **Marcus Tullius Cicero** قنصل عام ٣٠ق.م، وهو الابن الفاسق للخطيب وهو الرجل الوحيد الذي نجا من عائلته من الإبعاد.

(٨٤) أقدم وأعظم الأرستقراطيين في حكومة الثلاثة ماركوس إيميليوس ليبيدوس **(Marcus Aemilius Lepidus (ca. 89–ca. 13** الذي همشه أنطوني وأوكتفيان ونفاه الأخير عام ٣٦، وسمح له بالعودة إلى روما واحتفظ بوظيفة **pontifex maximus** حتى وفاته والتي خلفه فيها يوليوس قيصر عام ٤٤.

(٨٥) وهذا طبيعة سينيكا، فهو على استعداد بالتضحية بالاتساق من أجل سطر حسن: على النقيض في الفقرة ٨, ١ حول شهرة الأمراء التي لا مفر منها.

(٨٦) على النقيض (بالتضامن) مع كلاوديوس الذي يسخر سينيكا من تأليهه في كتاب تأليه كلاوديوس **Apocolocyntosis**.

أغسطوس كان أميرًا خيرًا يستحق اسم أبيه لمجرد أنه لم يرد الإهانات التي يعانيها بقسوة (وإن حساسية الأمراء للإهانات أعلى من الأضرار)، إنه ضحك من التعليقات الخشنة التي حيكت عليه(٨٧)، وعندما كان يفرض عقوبة كان يجربها على نفسه، ونأى بنفسه عن قتل الرجال الذين أدانهم بتهمة الزنا مع ابنته، فقد منحهم رسائل عبور يكونون بها آمنين عندما يرسلهم بعيدًا(٨٨).

١٠ – ٤ هذا هو جوهر المغفرة: وهو أن تعطي ضمانة للأمان لا أن تمنحنه فحسب، وعندما يعلم كثير من الناس هذا، فالغاضبون لحاجتك على استعداد لإسعادك بسفك دماء أناس آخرين.

١١ – ١ هذا هو سلوك أوغسطوس في الشيخوخة أو مقتبل كبر سنه، فعندما كانت تشتد أموره وتهتاج غضبًا فإنه يقوم بأشياء عدة يعيد فيها النظر مليًّا فيما بعد على مضض، ولا يجرؤ أحد أن يقارن أوغسطوس الإلهي بلطفك، حتى لو وضع تقدم سن أوغسطوس مقابل شبابك، نعم، كان لاجمًا ورحيمًا– وكان ذلك بالطبع بعد تلطيخ بحر أكتيوم بالدم الروماني، وبعد أن دمر أسطوله وعدوه في صقلية، وبعد حرب البيريسين *the Perusine War* والتحريمات *proscriptions*(٨٩).

---

(٨٧) راجع **On Anger 3.23.4–8**.

(٨٨) الجوانب المخيلة في سلسلة زيجات السلالة الملكية والأخيرة لإمبراطور المستقبل تيبيريوس وابنة أوغسطوس جوليا المزمع ارتباطها بعلاقات زنا عدة انظر **a partial catalog: Velleius Paterculus 2.100.4–5** والتي نفاها والدها عام ٢ق.م، ولا يذكر سينيكا هذا الحدث، واختار كلمات هنا "أبعدهم **sent them away**" وهو تعبير لطيف: وعلى الأقل نفي أحد عشاقها، انظر **Tacitus Annals 1.53.3–4** والآخر أمر بإعدامه (**ibid. 1.10.4, Cassius Dio 55.10.15**).

(٨٩) يشير سينيكا إلى نظام الترتيب الزمني العكسي لهزيمة أوغسطوس لأنطوني وكليوباترا في ٣١ ق.م، والحرب ضد سيكتوس بومبيوس عام ٣٦ ولوكيوس أنطونيوس عام ٤١ والقتل في بداية الملوك الثلاثة عام ٤٣ (**cf. On Anger 2.2.3n.**).

١١ – ٢ أنا لا أُسمي القسوة المضنية «عفوًا»، وهذا القيصر هو العفو الحق – لأنه بلا عيب ولم يسفك دماء مواطنيه– والنوع الذي لا يبدأ من ندم لماضٍ وحشي(٩٠)، في موقف السلطان الأسمى في ضبط النفس الحق، والتائق لربط البشر جميعهم بالذات(٩١)، فأقبلْ لهذا: لتتخلص من حافة سلطة الفرد ولا تتطلع لكيف يمكن للمرء أن يفلت من مواجهة أحد مواطنيه بعيدًا عن انفعال متحمس أو حماقة متهورة أو بسبب أحد قد أفسد بما وضعه الأمراء السالفون والمتقدمون.

١١ – ٣ أنت يا قيصر، حفظت المجتمع من إراقة الدماء، وهذا إنجاز –وهذا موضع للفخار أنك لم تدع قطرة دم واحدة تُنزف في العالم–. وهذا أمر جلل معجب؛ لأنه لم يعهد بسيف السلطة من قبل لأي أحد في المرحلة الأولى من حياته.

١١ – ٤ العفو إذَنْ لا يريح البشر فحسب بل يجعلهم آمنين، وهو زينة للسلطة الأسمى وضمانة للأمن، فلماذا يصل الملوك إلى الشيخوخة ويورثون ممالكهم لأبنائهم وأحفادهم في حين أن سلطان الطغاة بغيض وقصير الأجل؟ ما الفرق بين الطاغية والملك (حيث تتساوى ثرواتهم ولديهم الرخصة ذاتها)؟ إن الطغاة ينغمسون في العنف على سبيل المتعة(٩٢) بينما يفعل الملوك، كذلك فحسب لبعض الأسباب الضرورية.

١٢ – ١ «وماذا إذَنْ» ربما قد تعترض «وهل لا يقتل الملوك الناس عادة؟»، نعم، ولكن بقدر ما يستحثهم الصالح العام، والوحشية أقرب إلى قلوب

---

(٩٠) حتى لو لم تكن الحقيقة معروفة على نطاق واسع، فإن سينيكا على وعي بمسؤولية نيرون عن وفاة بريتانيكوس.

(91) The translation starts from Mazzoli's comprendendi item sibi amor to provide a stopgap for the archetype's deeply corrupt conpraenditte sibi mor.

(٩٢) هذه علامة الرجل 'الهمجي' في **On Anger 2.5**.

الطغاة، فالطاغية يختلف عن الملك في سلوكه وليس في لقبه(٩٣)، فقد كان ديونيسوس الأكبر مثالًا جديرًا لملوك عدة وكذلك لوكيوس سوللا، فما الذي منع أن يُطلق عليه اسم طاغية، هل لأنه توقف عن قتله فحسب حين نفد من الأعداء(٩٤)؟

١٢ – ٢ نعم، قلص حكمه المطلق ولبس رداء المواطن البسيط، وأي طاغية شرب من دم الإنسان بشراهة كما فعل هو؟ لقد أمر بذبح سبعة آلاف مواطن روماني، وهو يجلس بالقرب من معبد بيلونا *temple of Bellona* (٩٥) يسمع بكاء وعويل آلاف عدة يندفعون تحت السيف، وقال لمجلس الشيوخ المرعوب: "هيا بنا إلى العمل الذي أمامنا أيها الآباء المجندون! نقتل حفنة من الخونة بأمري".

١٢ – ٣ لم تكن هذه كذبة، قد بدا هؤلاء لسوللا حفنة، وسوف نرتد لسوللا

---

(٩٣) الحكام الملكيون الذين اكتسبوا لقب الطاغية في اليونان في القرن السابع والسادس قبل الميلاد يختلفون عن الملوك أوليًّا بحقيقة أنهم حققوا سلطانهم الفريد بالاغتصاب بدلًا من الوسائل التي أقرها المجتمع مثل (الميراث)، كما وضعها أرسطو (**Politics 3.9.3 1285a15ff.**). ويكمن الاختلاف بين الذين حكموا بالقانون وبالتوافق مع رعاياهم والذين لم يفعلوا كذلك، ويقيم سينيكا في كتاب العفو تمييزًا مختلفًا يستثمر فيه كل شيء في الشخصية ويتجنب مسألة القانون التي يرتبط بها حاكم مثل نيرون نظريًّا (**§n٤ , ١ .**).

(٩٤) سيطر ديونيسوس الأكبر السيراكوزي على شرق صقلية بحق شرعي أو اخر من نهاية القرن الخامس حتى ٣٦٧، رغم تعليق سينيكا هنا بأن هناك حكايات عدة تحضره لنمطية القاضي، وقد أنهى لوكيوس كورنيلوس سوللا فيليكس **Lucius Cornelius Sulla Felix (ca. 138–79 BCE)** – وهو رجل لا يرحم ومؤيد لحكم السوناتو الأرستقراطي – ما يقرب من عقد في الحرب الأهلية في روما بتقلده منصب الديكتاتور الدستوري، وصوره شيشرون بالطاغية **(Against Verres 2.3.81–82)** وأصبح سوللا مثالًا رومانيًّا لهذا النوع في هذا الكتاب وفي كتاب عن الغضب **On Anger 1.20.4, 2.2.3, 34.3, 3.18.1–2**.

(٩٥) عادة ما يجتمع السوناتو في المعابد – بما في ذلك معبد بيلونا إلهة اشتعال المعارك، الذي يقع في الطرف الجنوبي من حرم مارتيوس، خارج حدود المقدسة للمدينة، وقد تبع هذا الحادث هزيمة سوللا لأعدائه في معركة بوابة كولين في نوفمبر ٨٢ ق.م.

عاجلا[٩٦]، وحين نتناول مسألة كيف ينبغي للمرء أن يتعامل مع غضب الأعداء على الأقل يفصل مواطنيه عن الجسد السياسي ويتجاوز هذا التصنيف، وأعود إلى الأمر الذي أثرته: هناك بون شاسع بين الملك والطاغية يخلقه العفو، فكلاهما تحيطه الأسلحة، فأحدهما تحمى أسلحته السلام، والآخر يستعملها للتخويف لكبح الكراهية البغيضة، وهو ليس بمقدوره النظر برباطة جأش إلى الأيادي التي عهد إليها بالأسلحة.

١٢ – ٤ يدور الطاغية في دائرة مفرغة؛ فهو يكره لأنه يخاف، ويُخوف لأنه يكره، لذا يلجأ إلى هذا النَّظْم البغيض[٩٧] الذي يدمر به كثيرين – " دعهم يكرهوا شريطة أن يخافوا"– وهو لا يعي ضراوة الغضب الذي ينشأ عن نمو الكراهية؛ لأن الخوف حين يعتدل[٩٨] يُبقي أفكارنا في الضبط، وحين يستقر الخوف ويشحذ ويهدد بشدة يفسد العقول فتطيش ويحثها على الجرأة فتصنع كل شيء.

١٢ – ٥ والخيط الذي يعلق بالريش يحجم الحيوانات البرية، ولكن حين بتقدم الفارس المدجج عليهم من خلفهم سيحاولون الفرار[٩٩]، ويطئون الخوف الذي قد فروا منه، فالشجاعة تحد عندما تُزيف بالضرورة القصوى، ويترك الخوف بعض الشعور بالأمن، ويقدم احتمالًا للأمل أكثر من الخطر، وبصورة أخرى، إذا كان الذي يرضخ للمخاوف مرادفًا

(٩٦) وعد لم يتحقق في كتابه.

(٩٧) هذا السطر من الشاعر أكسيوس أتريوس **Accius Atreus** انظر **On Anger 1.20.4n., and cf. 2.2.2 below**

(٩٨) يتحدث سينيكا باصطلاحات مشتركة هنا وعلى النقيض من كتاب الغضب **Anger 1.10.4**؛ لأن الرواقية الأصيلة ترى أن الانفعال الحق لا يمكن ضبطه.

(٩٩) الأداة التي يُطلق عليها "الخوف **formido**" انظر **On Anger 2.11.5n**.

للعقوبات، فمن الغوث بالفعل أن يسرع إلى الخطر، ويتخلص من حياة المرء كما لو كانت حياة الآخرين.

١٣ – ١ وعندما يكون الملك رزينًا ساكنًا تتبعه قواته التي تعينه، وبمجرد أن يستعملهم لأمر عام أو عسكري يتوقون للمجد، ويتحملون بسرور كل مهمة كما لو كان أحدهم يحمي أحد والديه؛ لأنه يعتقد أنه يساهم في راحة بال الناس، ولكن عندما يكون الملك قاسيًا ومتعطشًا للدماء ليس بمقدور حارسه أن يعينه بل يشعر بالاضطهاد.

١٣ – ٢ ليس بمقدور أحد أن يتخذ خدمًا صالحين بنوايا صالحة خالصة في حين يستعملهم كأدواتٍ للتعذيب مثل مخلعة أو أدوات مصممة للقتل أو يعاملهم كوحوش يُلقي إليهم البشر، فما من مُخاصم أشد شقاء وقلقًا من هذا الرجل، يخشى الأرباب والبشر لأنهم شاهدون وناقمون لأفعاله، ومن ثم يصل إلى النقطة التي يستطيع فيها تحويل سلوكه، ومن المؤكد أن الأسوأ من بين الصفات الرديئة لقسوة الآخرين: هو أنك لا تستطيع أن تستعيد خطواتك للأفضل بل تستديم عليها، وتستعمل جرائم جديدة لدرء عواقب قديمة، فمن أشد تعاسة من رجل عليه أن يكون شريرًا؟

١٣ – ٣ يا له من أمر بيئس– في عينيه، على أي حال! فمن غير المفهوم لأي أحد أن يشفق على رجل يستعمل القتل والسرقة كأدواتٍ لسلطانه، وينظر إلى كل شيء بارتياب في الداخل والخارج، ويلجأ إلى السلاح لأنه يخاف منه، ولا يثق في ولاء الأصدقاء ولا تفاني الأبناء، وعندما ينظر حوله فيما فعله وما ينوي فعله وما يُكنه صدره المشحون بالجرائم والتعذيب غالبًا ما يخشى الموت ويأمل فيه على الغالب؛ لأنه أعظم كرهًا في عينيه من الذين يخدمونه.

١٣ – ٤ وعلى العكس تمامًا، فإن الإنسان الذي يجعل كل شيء موضوع اهتمامه

يراقب بعض الأشياء أكثر وبعضها أقل، بل يرعى كل عنصر للدولة كما لو كان جزءًا من نفسه (١٠٠)، يميل إلى مسار ألطف وهو يُظهر عندما يُنْادي بالعقوبة عدم رغبته في اللجوء للمداوة القاسية، ولا يعرف أفكارًا وحشية أو عدائية بل يمارس سلطانه بروية ومن أجل الخير، وهو يرغب في أن يستحسن مواطنيه أوامره. إنه يعتقد أنه محظوظٌ إلى أقصى مدى إن نجح في أن يجعل حظه الحسن ملكًا للجميع: حسن العشرة وودود ولين في تعبيره (وهذا ما ترتقي به الأمم) ويميل إيجابًا إلى المطلب المعقول، ولا يعارض بشدة غير المعقول، يحبه المجتمع كله ويدافع عنه ويعتز به.

١٣ – ٥ يتحدث الناس عنه فيما بينهم كما في وجهه، ويرغبون في تربية الأطفال، ويسحبون القساوة التي أصابتنا من مشكلات المجتمع (١٠١). فكل إنسان متيقن بأن أبناءه سوف يمتنون له لإظهارهم في مثل هذا السن، وإن صنع الأمير الأمان بلطفه فلن يحتاج إلى حراس، وسوف تبسط أسلحته.

١٤ – ١ فما إذَنْ واجبه؟ مثلما يفعل الآباء الصالحون، الذين قد اعتادوا أن يوجهوا أبناءهم بلطف أحيانًا ويشدوا عليهم أحيانًا وينصحوهم مرارًا وتكرارًا حتى بالضرب، ولا يُجرِّم الرجلُ الرشيدُ الابنَ من أول مخالفة له، أليس كذلك؟ لا، إنه لا يجر القلم ليقر هذا الأمر إلا عندما تتغلب الأضرار بتكرارها ورعونتها على صبره، أو عندما يكون الذي

(١٠٠) ينطبق الموقف الخاص بالتوقع المعياري للحاكم عند الرواقية وهو أن كل الناس وهم يتطورون فكريًّا يعتبرون الآخرين موضوعات تكافئ اهتمامهم، ويكمن هذا التناسب في هذا التوقع. انظر مقدمة كتاب عن الغضب القسم الثاني **On Anger introduction, section 2, 2.31.7n**.

(101) I translate reducitur in place of the manuscripts' nonsensical recluditur (cf.. Watt 1994, 230, suggesting repudiatur).

يخشاه[١٠٢] أسوأ من السلوك الذي يدينه، وحينما يُقبل على هذا يحاول بطرق عدة أن ينتشل الصفة المعوجة من حالتها الأنية وحالها المؤسف، وتتخذ الإجراءات الأخيرة عندما يُفقد الأمل، ولا أحد يصل إلى محك العقوبة المُضنية إلا بعد محاولات من المداوات الممكنة[١٠٣].

١٤ – ٢ فالأشياء التي يفعلها الأب ينبغي أن يفعلها الأمير والذي نطلق عليه 'أبو الوطن'[١٠٤] لأسباب لا علاقة لها بمداهنة خاوية، هذه الألقاب تُمنح بشرف. لقد أطلقنا على الرجال 'العظيم' و'المحظوظ' و'أغسطوس'[١٠٥]، وكومنا كل التسميات الممكنة لاستعراض العظمة[١٠٦]، ولقد أطلقنا على الرجل 'أبو الوطن' لنعرف أنه مُنح سلطان الأب[١٠٧] الذي يضع خير ما هو متوازن للأبناء ويضع مصالحهم بعد مصالحه.

---

(١٠٢) من المفترض أن السلوك السيئ يخشى المستقبل– ولا يتخفى السلوك السيئ في الحاضر.

(١٠٣) وهكذا رؤية العقاب في كتاب الغضب **On Anger 1.16.2–3, 19.5–7, and cf. §22 below**.

(١٠٤) عبارة مشرفة تنطبق بشكل غير رسمي على الوطنيين الرومان، وأصدر السوناتو مرسومًا لاحقًا ليوليوس قيصر في ٤٥ ق.م ولأغسطوس في عام ٢ ق.م، ورفض تيبيريوس قبولها ولكنها صارت اصطلاحًا إمبراطوريًّا فيما بعد، حيث يمكن القول " إن الأمير هو والد الوطن" (**Digest 48.22.18.1**).

(١٠٥) يشير سينيكا على التوالي إلى جنايوس بومبيوس ماجنوس " العظيم **the Great**" وليوكيوس كورنيلوس سوللا فيليكس "المحظوظ **the Fortunate**"، وبالطبع لقب أوغسطوس الذي منحه السوناتو لجايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس في ٢٧ يناير ق.م، وأفترض رسميًّا كجزء من ألقابهم عن طريق الأباطرة اللاحقين ما عدا تيبريوس.

(106) The translation follows Kruczkiewcz in deleting the otiose phrase hoc illis tribuentes ("ascribing this to them") at the end of this sentence.

(١٠٧) كان الأطفال الرومان يخضعون لسلطة الأب **patria potestas** بغض النظر عن أعمارهم طالما أن الأب على قيد الحياة، وفي حالات الانحراف يمارس الأب سلطته – بما فيها الحياة والموت– في إقامة محاكمة محلية من النوع الموصوف في الفقرة ١٥.

١٤ – ٣ فدع الأب أن يكون بطيئًا في بتر أطرافه(١٠٨)، دعه حتى يفعلها مرة ويضعهم في مكانهم، وعندما يتأخر فعله دعه يئن، فحين يتسرع المرء في الإدانة يكون كما لو كان سعيدًا بالإدانة، فالعقاب السريع عقاب ظالم على الغالب(١٠٩).

١٥ – ١ وأستدعي حالة تريكو *Tricho* الفارس الروماني الذي هاجمه الناس بالإبر *styluses* (١١٠) في المنتدى لأنه جلد ابنه حتى الموت، وأنقذه سلطان أوغسطوس بالكاد من إساءة الآباء والأبناء على حد سواء.

١٥ – ٢ وعندما اكتشف تاريوس(١١١) أن ابنه يُخطط لقتله وأدانه في المحكمة واحتجز في منزله، رضي الجميع بحكم النفي على الشاب – ونُفي هذا المدلَّل في ماسيليا(١١٢)، وقدم له الأب الإجازة السنوية نفسها التي اعتاد أن يقدمها له قبل وصمه بالعار، وبسبب هذه الإيماءة السخية، اعتقد كل امرئٍ في روما – حيث لا يفتقر الأوغاد إلى محامٍ– أن الشاب قد أُدين بالفعل ورأوا أن الأب عاجز عن كرهه، بل ليس قادرًا على إدانته.

١٥ – ٣ وتقدم هذه الواقعة لك أيضًا نموذجًا للأمير الصالح لتقارنه بالأب الصالح، وعندما كان تاريوس ماضيًا إلى مجرى المحكمة، طلب من

---

(١٠٨) يتحدث سينيكا مجازًا بالطبع مستغلًّا فكرة أن الأطفال قريبون من والديهم كما الآباء قريبون من أطرافهم، وما يصح في العلاقة بين الآباء والأطفال فهو صحيح، وفقًا للرواقيين الذين يرون أن كل العلاقات الإنسانية مفهومة على نحو صحيح **On Anger 1.15.2n**.

(١٠٩) الكفاءة "تقريبًا" اختيار عليل فالمعاقبة المفرطة هي أن تعطي بأكثر مما يستحق، وهذا أمر غير منصف (**cf. 2.7.1**).

(١١٠) الأدوات المدببة تُستعمل للكتابة على المناضد الخشبية المشمعة.

(١١١) خدم لوكيوس تاريوس روفوس أوغسطوس في سلسلة من الأوامر العسكرية أثناء الحرب الأهلية وبعدها، وكان يُكافئ بالثروة والقنصلية في ١٦ ق.م.

(١١٢) مرسليا الحديثة تأسست كمستعمرة يونانية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وكانت مركزًا للثروة والثقافة، ووجهة عامة لنفي الرومانيين.

القيصر أوغسطوس الجلوس في مجلسه الاستشاري، وجاء أوغسطوس إلى منزله الخاص وجلس بجوار تاريوس كمستشار - لم يقل " لا، لا تدعه، يأتي إلى بيتي"، لأن في هذه الحالة ستكون المحاكمة للقيصر وليس للأب.

١٥ - ٤ وعندما استُمع إلى القضية وفُحصت الأدلة بدقة -تلك الأمور التي أثارها الشاب وتلك التي تدينه- طلب أوغسطوس كل رجل بتدوين حكمه خشية أن يُطلق الجميع حكم قيصر على نفسه[١١٣]، وقبل أن تُفتح الألواح، أقسم اليمين بأنه لا ينوي قبول ميراث تاريوس الذي كان ثريًّا[١١٤].

١٥ - ٥ سيقول امرؤٌ ما: " هذا أمر تافه، ولا يستحق أن تفسح له غرفة بالتصويت لإدانة الابن"، وأعتقد أنه على العكس من ذلك تمامًا. كان ينبغي لأي أحد من قومنا أن يكون عنده ثقة كافية في ضميره الحي لتحمل الكلام الخبيث ولكن يجب على الأمراء أن يقدموا تنازلات كثيرة حتى للنميمة، فهو أقسم بأنه لن يقبل الميراث.

١٥ - ٦ والحقيقة أن تاريوس فَقَدَ في اليوم نفسه اثنين من ورثته[١١٥]، ولكن قيصر أمّن حريته في الحكم، وبعد أن أكد أن صرامته لم تكن محل اهتمام بذاته -أمر قائم عند الأمراء- قال إنه ينبغي إبعاد الابن من المكان تقديرًا للأب.

١٥ - ٧ لم ينتبه لعبء الحكم الذي أقامه بل للرجل الذي نصحه، ولم يُحتم

(١١٣) في قضايا الاستماع، طلب نيرون من أعضاء مجلسه الاستشاري وضع آرائهم مدونة كتابة دون علمه (Suetonius Nero 15.1).

(١١٤) حول ممارسة جعل قيصر وريثًا انظر cf. §9.12n. above.

(١١٥) يُفترض أن الابن قد حُرم من الميراث (cf. §14.1) رغم ما أظهره له والده في المنفى.

السلب ولا الثعابين[١١٦] ولا زنزانة السجن، بل خطط ليرضي الأب بعقوبة خفيفة على الابن الشاب الذي اقتيد إلى جريمة اعترف بها على نفسه بسلوكه المخجل وهو على مقربة خطوة واحدة من البراءة، وأُبعد عن المدينة وعن وجه أبيه.

١٦ - ١ والحكيم الذي يستشيره آباؤه ويورثونه بجانب أبنائهم الأبرياء! وهذا نوع العفو الذي يستحقه الأمير: أينما حل يصنع اللطف، أما بالنسبة للملك فلا أحد -مهما قل شأنه- فإن موته سوف يكشفه: مهما كان الشخص ومهما كان طرفه من السلطان.

١٦ - ٢ دعنا ننظر إلى أقل صور السلطة، لنجد نمطًا للسلطة العظمى، فليس هناك نوع بعينه للقيادة: حيث يقود الأمير مواطنيه، والأب أبناءه، والمعلم تلاميذه، وقائد المائة جنوده المشتركين.

١٦ - ٣ إن الرجل الذي يهذب أبناءه بالضرب المتواصل حتى في أقل خطأ يرتكبونه سيبدو أسوأ نوع من الآباء، أليس كذلك؟ فمَن المعلم الجدير بالدراسات التي تليق بالرجال الأحرار[١١٧] هل الذي ينقد طلابه إذا فشلت ذواكرهم أو زاغت أبصارهم عند القراءة، أم الذي يفضل أن يصوب ويعلم بلوم يبدأ بحمرة الخد من الخجل؟ أرني قائدًا *tribune* وحشيًّا، وسوف أُريك امرأً يفر منه الجنود في الصحراء عفوًا.

١٦ - ٤ أليس من غير المعقول، أليس كذلك، أن تكون قاسيًا متعجرفًا في أن تعطي أمرًا لامرئٍ عاجز عن الكلام مثل حيوان أبكم؟ ومن ثم فإن المدرب المتمرس لا يُخيف الخيل بالضربات المتكررة، وإلا فإنه يعند

(١١٦) لمعرفة دور الثعابين والطرود في معاقبة قاتل أبيه انظر **On Anger 1.16.5n**.

(١١٧) وهكذا المعنى الحرفي لعبارة سينيكا **liberalia studia** – الذي استمد منه المفهوم المعاصر "الدراسات الليبرالية **liberal studies** أو الآداب الليبرالية **liberal arts**".

ويتقلب، ما لم يهدئه بالمداعبة.

١٦ – ٥ ويصدق الشيء نفسه على الصياد الذي يستعمل كلابًا مدربة لتتبع فريسته وتطاردها: فهو لا يُرهبها (فهذا يُبطئ همتها، وبترويعها يحط من تربيتها)، ولا يمنحها رخصة للتجول حول هنا وهناك، ويمكنك أن تضيف لهذه الأمثلة معالجات لتحمل الوحوش البطيئة – التي وُلدت للبلية والتعسف– التي تُقاد بقسوة مفرطة لرفض النير.

١٧ – ١ ولا يوجد حيوان أسوأ طبعًا ويحتاج إلى مهارة في معالجته أكثر من الإنسان، حيث لا يتوقف في حاجته الكبيرة للحلم، فما الذي يزيد عليه في الحماقة حين يحمر وجهه عند الغضب سوى البغال والكلاب، بل إن أسوأ المعاني الممكنة أن تُخضع إنسانًا لإنسان آخر؟ ونحن نعالج الأمراض ولا نغضب، وهذا مرض عقلي، لا يحتاج إلى مداواة لطيفة فحسب بل يحتاج معالجًا لا يعادي المريض بأي حال[١١٨].

١٧ – ٢ إن دلالة الطبيب الرديء أن ييأس من العثور على دواء: فالمرء المكلف برفاهية الكل قد يأخذ النهج ذاته من الذين أُصيبت عقولهم، فلا يتخلى على عجل عن الأمل ويعلن أن الأعراض قاتلة، والأحرى أن يناضل ضد العيوب ويقاومها، ومواجهة بعض الناس بأمراضهم وخداع الآخرين باستعمال حمية لطيفة هادف في مداواتهم وسريع وفعال بالأدوية التي تعمل دون الكشف عنها، وينبغي للأمير ألا يقلق من استعادة الصحة فحسب، بل ألا يترك ندوبًا تشوه.

---

(١١٨) أمراض العقل هي صفة سيئة **morositas**، ولا يؤكد استعمال كلمة ’مرض‘ مستوى الاستعمال الرواقي؛ لأن كلمة مرض اعتقاد تقييمي معتنق، ولكنه خاطئ ويؤدي بنا إلى الانفعال (**Graver 2002a:150–53**) ولكن على المرء أن يتخيل كيف أن كلمة مرض بالمعنى السينيكي تؤدي بنا إلى تجربة المرض بالمعنى المعيار الرواقي، وللاطلاع على مجاز ’الشفاء‘ قارن على سبيل المثال **On Anger 1.6.2, 2.10.7**.

١٧ – ٣ ولا يكتسب الملك مجدًا من معاقبة وحشية (وهل من أحد يشك في هذا؟)، ولكنه يحصل على عظيم المجد إن أبقى سلطانه قيد التحقق، يحفظ كثيرين من غضب آخرين، ولا يقدم أحدًا ضحية له.

١٨ – ١ إن إعطاء أوامر للعبيد بأسلوب معتدل يستحق الثناء[(١١٩)]، حتى في حالة الرقيق، فلا تغمضْ عينيك عن معاناتهم بقدر سجية الخلق والصفاء اللتين مُنحتا لك، والتي ادخرتها حتى للأسرى والذين اشتريتهم، فعندما يكون الناس أحرارًا وشريفي المولد ومبجلين فلا تتجنبهم – لا تعاملهم رقيقًا ولا تُسئْ إليهم، بل عاملهم كأناس من رتبه دنيا وصلوا إليك هدايا وليسوا عبيدًا.

١٨ – ٢ ويُسمح للعبيد باللجوء للتشريع[(١٢٠)]، فيجوز لهم القيام بأى شيء وكل شيء للعبد، فالحقوق المشتركة للكائنات الحية تقول إن بعض الأشياء لا يمكن القيام للإنسان[(١٢١)]. فمَن الذي لا يكره فيديوس بولليو *Vedius Pollio* أشد من كره عبيده له، لأنه سمن ثعابينه بدم البشر، وأمر أن يُلقى مَن ارتكبوا بعضًا من الجرم في بركة مملؤة بثعابين السمك *eels*؟[(١٢٢)]، لقد استحق هذا الرجل أن يموت ألف مرة، سواء لتغذيته للعبيد بالموريس *morays* وهو ينوي إطعام الموريس بهم أو لتربية ثعابين السمك بهدف إطعامهم بالطريقة نفسها.

---

(١١٩) يتبع سينيكا رأي الرواقية الرشيد بأن العبودية مجرد حالة مشروطة للنفس المادية: حيث إن الأشخاص المستعبدين لهم نفس الطبيعة العقلية للأحرار، فهم رفقاؤنا بقدرة مكافئة للفضيلة **Moral Epistles 47, On Favors 3.18–28**.

(١٢٠) هذا للإله أو للأمير ذاته، لممارسة العبيد والآخرين الذين يبتغون اللجوء أو القرب من تمثال الإمبراطور **Pliny Epistles 10.74, Tacitus Annals 3.36.1, Suetonius Augustus 17.5, Tiberius 58**.

(121) ough a slave qua “animate tool” (cf. Aristotle Politics 1 ,253b27ff.

(١٢٢) للاطلاع على القصة انظر **On Anger 3.40.2n**.

١٨ – ٣ وقد يُشار إلى السادة القساة كأهداف بغيضة ومكروهة في المجتمع بأسره، فأخطاء الملوك ولوثاتهم يتسع نطاقها، وتنتقل الكراهية لهم عبر الأجيال، فكم كان من الأفضل ألا يُولد بدلًا من أن يُحسب ممن يولدون لقارعة الناس!

١٩ – ١ وليس بمقدور أحد أن يتخيل أي شيء يصدر من حاكم إلا العفو، مهما كان نوع الحاكم، ومهما كانت المحاذير التي وضعها في مشاركة الآخرين، ومن المؤكد أننا نقبل أن العفو أبدع وأعظم قوة تتفوق فيه– ولا يمكن أن تكون هذه القوة مضرة إذا طُلبت وفقًا لقانون الطبيعة(١٢٣).

١٩ – ٢ فالملك وسيلة الطبيعة: ويُدرك هذا الأمر من الحيوانات الأخرى خاصة عند النحل(١٢٤)، فغرفة ملكهم متسعة للغاية، وفي مكان آمن من الخلية، في المركز، ولا يرهق نفسه أثناء عمل الآخرين، وإذا فُقد الملك ينهار المجتمع بأسره، حيث لا ينصِّبون أكثر من حاكم(١٢٥)، ويسعون للعثور على أحد في المعركة هو الأسمى، وزد على ذلك أن الملك بارز في صورة جسمه ويختلف عن الآخرين في الحجم والروعة.

١٩ – ٣ ومن ثم فإنه يتفرد بالسمة عاليه، في حين أن النحل سريع الغضب للغاية (نظرًا لقدراته الجسمية) وعنيف للغاية، يخلف وراءه شوكته في لدغته، والملك ليس له شوكة(١٢٦)؛ لأن الطبيعة لا تريده مفترسًا

---

(١٢٣) 'قانون الطبيعة' نظام عقلاني للعالم، وهو كامن، وبالتالي لا يكون خبيثًا.

(١٢٤) وصف شبيه النحل في الأدب اللاتيني بفرجيل **Vergil ,Georgics 4.149ff ., esp. 210ff** في تكريسهم لحاكمهم، حيث اقتبس سينيكا هذه العلاقة بالفعل (**§4.1**)، وأخطأ اليونانيون والرومانيون فكريًّا حين اعتقدوا أن ملكة النحل ملكٌ.

(١٢٥) اختلف عن أرسطو الذي يقول إن كل خلية لها حكام عدة، وتنهار إذا قلوا أو زادوا (**History of Animals 5.22 553b14–19**).

(١٢٦) يختلف عن أرسطو الذي يرى أن ملك النحل له شوكة (حمة) ولكن لا يستعملها (**History of Animals 5.21 553b5–7**).

ويسعى للعقاب الذي يُكلف كثيرًا، وطرحت أسلحته جانبًا، ونزعت أسلحة غضبه، وهذا درس هائل للملوك العظماء؛ لأن الطريقة الطبيعية لتحمل الآلام في مخلوقاته الصغيرة(١٢٧) ويقدم بالعمل على أصغر تدرج مثالات رائعة(١٢٨).

١٩ – ٤ وعلينا أن نخجل بعدم محاكاة سلوك هذه المخلوقات الصغيرة، حيث ينبغي لعقل البشر أن يكون أكثر اعتدالًا لقدرته الكبرى على إحداث الضرر، والحق أنني أتمنى أن ينطبق المبدأ نفسه لجنس البشر كما هو في النحل، فسوف تتعطل قوة غضبه بجانب أسلحته، ولن يتمكن أن يصيب بألم أكثر من مرة، أو يعتمد على آخر ليقضي كراهيتنا! لأنه يسهل كثيرًا استنفاد الغضب إذا سعت إلى الرضى فحسب خلال جهودها وجازفت بالموت في إنفاق قوتها.

١٩ – ٥ حتى لو كانت الأمور كذلك، فمسار الغضب ليس آمنًا، فلا يسعها إلا الشعور بالخوف بنفس قدر سعيها إلى تخويف الآخرين(١٢٩) ولا يسعها إلا أن تُبقي العين متيقظة حول كل يد، وتتحفز للهجوم حتى لو لم تتعرض للمطاردة، فليس لديهم خلاص آخر من الفزع، فهل يتحمل أحدٌ أن يعيش هذه الحياة حين يكون بمقدوره أن يمارس القوة القانونية بلا ضرر وهو آمن بطريقة تجلب العافية والمرح على كل جانب؟ من الخطأ أن تعتقد أن الملك آمن حيث لا يوجد شيء بجانب الملك آمن، وكي يُرتب الأمان يجب أن يتعهد كل جانب ويصنع الطرف الآخر من الأمن.

---

(١٢٧) للاطلاع على هذه القضية **Pliny Natural History 11.1–4**.

(128) The translation reflects Hosius's documenta in minima parere, for the archetype's corrupt documentam minima argere; the point is anyway clear.

(١٢٩) 'الحلقة المفرغة' للكراهية والخوف المشار إليها في **§12.4**.

١٩ – ٦ فما من حاجة لبناء القلاع الرصينة أو تحصين التلال المنحدرة أو تسوير جوانب الجبال لحماية النفس بسلسلة من الحصون والأبراج؛ فالعفو يضمن للملك أن يكون آمنًا في العراء، وحب مواطنيه هو حصنه الحصين الوحيد.

١٩ – ٧ فما أجمل أن تعيش مع كل مَن يتمنون لك الحياة ويتعهدونك لأجل حريتهم، أو لأجل أناس يحفزهم الخوف لا الأمل إن توعكت عافيتك، أو لا يتعلق أحد بأي شيء ثمين لا يساوم به طوعًا لأجل سعادة حاميه.

١٩ – ٨ ويقينًا الرجل المعني بكلامنا ظاهر[١٣٠] والأمارات الراسخة لخيريته أن الأمة لا تنتسب إليه بل ينتسب إلى الأمة، فمَن يجرؤ على تدبير بعض المهالك لمثل هذا الرجل؟ ومَن إذا كان بمقدوره أن يرغب عن أن يثني ضربة الحظ الرديء عن رجل يزدهر في كنفه العدل والسلام والاحتشام الجنسي والأمن واحترام الذات؟ ويتمتع المجتمع المزدهر بإمداد وفير بكل السلع، ويتطلع إلى حاكمه بنفس فكر ملكته عقولنا؛ فإن الأرباب الخالدة تمكننا من رؤيتها بالنظر إليها بمهابة وإجلال.

١٩ – ٩ وماذا بعد؟ ألا يشغل مكانًا بقرب الأرباب الذين يسلكون وفق طبائعهم مستعملين قدرتهم اللطيفة والكريمة لإصلاحنا؟ هذه هي الغاية المناسبة والمثال الأنسب: حيث تُعتبر الأعظم لأنك الأفضل.

(130) This is the most textually troubled passage in the treatise. Most editors read some version of "o ne ille cui contingit <ut> sibi quoque vivere debeat" (with Baehren's suppletion of ut and various choices in punctuation), but I can find in those words no thought appropriate to the context, nor does any suggested alternative seem convincing. The possibility of a more extensive lacuna after contingit cannot be ruled out.

٢٠ – ١ وهناك سببان للأمير حتى يُعاقب، إذا انتقم لنفسه أو إذا انتقم لغيره، وسوف أتناول الحالة الأولى أولا[١٣١]، إن من الصعب ضبط النفس حين يرضى العقاب مظلمة شخصية أكبر من مسألة تهذيبية.

٢٠ – ٢ ومن النافلة هنا أن نحذر الأمير من أن يكون مخلصًا ونحثه للبحث عن الحق[١٣٢] ليدعم الصلاح بقوة ووضوح، ويعي شؤون المدعى عليه التي لا يقل وتدها عن ركازة القاضي[١٣٣]؛ لأن هذه النصيحة لصيقة بالعدل وليس العفو، وأحثه الآن أن تبقى قبضته قوية على أفكاره حين يُهان صراحة، ولا يعاقب إلا إذا كان بمقدوره هذا بحصافة وإلا عليه أن يكبح نفسه، ويتحرر من أن ينخرط حيث يتعلق الأمر به لا بآخر قد أخطأ.

٢٠ – ٣ فمثال هذا الرجل العظيم[١٣٤] ليس كرمًا في كلفة الآخر بل يُعطي ما يعطي لنفسه بعض الكلفة، ولذا سوف أطبق اصطلاح 'العفو' ليس لرجل متساهل حيث مصيبة الآخر محل خلاف بل لرجل لا ينقلب حين ينكدر، والذي يعلم أن الروح العظيمة تستلزم التسامح من مكانة السلطة الأسمى، ولا شيء يسمو على الأمير الذي أُهين وأفلت من أن يُعاقب.

٢١ – ١ ويقدم القصاص عادة الراحة للمصاب جزئيًا أو الأمن للمستقبل[١٣٥]،

---

(١٣١) تناول هذا بداية من الفقرة ٢٢.

(١٣٢) الحاجة إلى الحكم على تصرفات الآخرين بإنصاف وعدم القفز للاستنتاجات أو الثقة في الإشاعات موضوع رئيس في كتاب الغضب On Anger: 2.22.2–27.4, 29–31.5, 3.12.1–4, 26.1, 26.3–5, 28.4–30.2, 32.2–34.2.

(133) The translation reflects Lipsius's transposition of ut ("ut innocentiae faveat et [ut] appareat, <ut> non minorem agi rem periclitantis quam iudicis sciat").

(134) Cf. §5.3n. above.

(١٣٥) حول الأهداف المناسبة للعقاب انظر On Anger 1.15–16 حيث البعد الفعال المشار إليه هنا – "راحة المظلوم"– فهمه غائب، ويتضمن "أمان المستقبل" إعادة تأهيل أو ردع أو زوال مصدر الضرر §22.1 below.

وقدرة الأمير في الحياة تعلو أيضًا على طلب الراحة، وقدرته الواضحة أيضًا على توكيد ألم غيره، ويخص هذا التعليق المداهمات والغارات التي يشنها الأسافل؛ لأنه يرى أن الذين كانوا قرناءه صاروا اليوم أدنى منه، وهذا تبرير كافٍ، وحتى العبد يمكن أن يقتل الملك، وكذلك الثعبان والسهم، ولتحافظ على حياة – لا يُقام هذا إلا برجل أعظم من الذي آمنه.

٢١ – ٢ وكذلك المرء الذي لديه قدرة وهب الحياة وسلبها يستعمل هبة الأرباب العظمى بسمو، ويصح هذا في حالة الرجال الذين يُعرف أنهم يتمتعون بمكانة عالية مساوية له[١٣٦] بمجرد الحكم عليهم، وقد تمتع بانتقام كامل وحقق كل ما يتطلبه العقاب الحق، فأن تدين بحياتك لامرئ ما بمثابة ضياعها، فعندما يُلقى أحد من العُلى لينبطح عند قدم عدوه وينتظر حكم الآخر على حياته ومملكته تجلب حياته المجد لمخلصه، حيث يكتسب شهرة عريضة بتركه الآخر دون أن يصيبه بدلًا من أن يمسحه من على وجه البسيطة، وهو يبقى أنموذجًا أبديًّا لفضيلة الآخر، في حين أنه كان سيمر بلحظة قد تؤدي للانتصار.

٢١ – ٣ والحقيقة إذا كانت مملكة الآخر تأمن بترك مسؤوليته، وإذا كان بإمكانه السيادة التي سقطت منه، فإن الرجل الذي يقنع بأنه لن يأخذ شيئًا سوى المجد من ملك مهزوم يجني ثمارًا هائلة من الثناء، ويساوي هذا انتصارًا على انتصاره وشهادة بأن المرء عثر على المنتصر ليمتلك لا شيء جدير بالنصر.

٢١ – ٤ وينبغي على الأمير أن يتعامل باعتدال مع مواطنيه سواء الحقير منهم أو الوضيع، ولا يكترث إن كانت مسألتهم تافهة: فينبغي أن تدخر البعض

(١٣٦) كما سيتضح أن سينيكا يفكر في الأمراء والملوك الأجانب.

بسرور، وتثير غضب آخرين بالعفة – عليك أن تسحب يدك كما تفعل في المخلوقات الصغيرة التي تؤذيك إذا سحقتها. وأما في حالة الذين يعتبرون عقاب المجتمع بأسره وحمايته بالمصالح، فعليك أن تتحين الفرصة لعمل بارز للعفو.

٢٢ – ١ دعونا ننتقل إلى أضرار أناس آخرين بغية لما يسعى إليه القانون في تحقيق هذه الأهداف الثلاثة التي ينبغي للأمير أن يسعى إليها: سواء تقويم الشخص المعاقب أو إصلاح أي شخص بمعاقبته أم السماح لأي منهم أن يعيش بأمان بمجرد أن ينزع الفاسدين من بينهم. وسوف يسهل عليك أن تُقوِّم المخطئ نفسه بعقوبة أقل: فالمرء يدبر حياته بعناية حين يتخلى عن شيء ما بأكمله ودون شائبة، في حين لا يخجل أحدٌ لاحترام الذات الذي فقده تمامًا، وعدم وجود ما تؤثر عليه العقوبة نوع من الإفلات منها.

٢٢ – ٢ ويعمل الاستعمال العفوي للعقاب على تقويم عادات المجتمع؛ لأن عديدًا من المخالفين يجعلون من مسألة الخطأ عادة، والإدانات التي تأتي مغلظة وسريعة تُخفف من وصمة العقاب وصرامته، وإن كانت غير مخففة تفقد سلطتها الأخلاقية وهي أكبر قوة مداوية.

٢٢ – ٣ يُرسي الأمير ممارسات صالحة للمجتمع ويستأصل الرذائل إذا كان صبورًا عليها – ليس بموافقتها بل بتولي تعقبها دن قصد وبتفجيعها[١٣٧]، إن عفو الحاكم يجعل الناس يستحون من ارتكاب الخطأ. فإن عُين العقاب من رجل لطيف فهو مؤلم.

٢٣ – ١ وسوف ترى –علاوة على ذلك– أن الجرائم التي يُعاقب عليها تلك

(١٣٧) إظهار سينيكا للنفور الذي سوف يحتفي به في ١, ٢–٢.

التي ارتكبت، فقد خاط والدك[١٣٨] رجالًا كثيرين في أجولة على مدار خمس سنوات يفوق ما سمعناه في كل الأزمنة السالفة مجمعة. كان الأطفال أقل جرأة في انتهاك الحرمات كما لو كان لا يوجد قانون يستر الجريمة[١٣٩]، وفضل الناس في الماضي البعيد الذين كانوا بعيدي النظر وعلى دراية بطبيعة الأشياء أن يتغافلوا الجريمة كما لو كان لا يمكن تصورها أو لم يتوقعوا تلك الجرأة، والأحرى كان معاقبتها ويروا من ثم أنها يمكن أن تُرتكب. وهكذا جاءت مذابح القتل على طول الخط مع القانون، كما لفتت العقوبة انتباههم للفعل، ووصل تفاني الأبناء إلى حضيضه بمجرد أن رأينا الأجولة تزيد على الصلب[١٤٠].

٢٣ – ٢ وفي المجتمع الذي نادرًا ما يُعاقب فيه الناس تُقبل الطهارة لتتمتع بالدعم العام، ويُفضل اعتبارها خيرًا عامًّا، شريطة أن يكون المجتمع نفسه طاهرًا، وسيكون الأمر أشد نقمة للذين يمرقون عن المعيار العام للصلاح إذا وجدوا أنفسهم قلة، وصدقني من المخاطرة أن تدع المجتمع يعرف كم عدد الخبثاء فيه.

٢٤ – ١ وفي فترة من الزمن اقترح مجلس الشيوخ تمييز العبيد عن الأحرار بملابسهم[١٤١]، وصار من البين مدى الخطر المهدد إذا وضعنا عبيدنا في اعتبارهم، وعلينا أن نخشى النتيجة نفسها إن لم يُغفر لك: سرعان ما تكون الغلبة للشريحة الأسوأ في المجتمع، وتعدد فرص العقاب لا يقل

---

(١٣٨) الإمبراطور كلاوديوس والد نيرون بالتبني، حول عقاب قاتل أبيه انظر **On Anger 1.16.5n**.، وحول ولع كلاوديوس بالعقاب وهو دلالة على الوحشية والدموية **Suetonius Claudius 34.1**.

(139) Cicero On Behalf of Sextus Roscius 70 (a case of parricide.

(١٤٠) كثير من أبناء الرومان قد عُوقبوا أكثر من العبيد وغير المواطنين (**cf. §26.1**).

(١٤١) لا يوجد دليل على حدوث هذه الحركة في السوناتو في زمن سينيكا، وهنا استعمل سينيكا خياله، وكان قلق الرومان تجاه عبيدهم حقيقيًّا على أي حال.

في العار للأمير عن تعدد الوفيات للطبيب، والأفاضل من الناس يطيعون امرأً يعطي أوامره باعتدال.

٢٤ – ٢ إن العقل الإنساني عنيد بطبيعته، يناضل ضد أي شيء يضاده أو يضع عقبة في دربه، فيلاحقه ولا يقوده، مثلما توجه الخيول الأصيلة النبيلة بكبح الجماح، وهكذا تتبع الطهارة الطوعية العفو بدافع من باطنها، ويعتقد المجتمع أنها تستحق الحماية لأجل خيريتها، وهذا هو الدرب الذي نحرز فيه تقدمًا.

٢٥ – ١ القسوة هي أقل نوع من شرور الإنسان، ولا تُستحق بالعقل اللطيف للإنسان[١٤٢]، هي نوع من البهيمية للجنون يبتهج بالجروح الدموية، يتخلص فيها المرء من إنسانيته، يستجمع فيها بعض صفات مخلوقات الغابة، فأخبرني أيها الإسكندر ما الفرق بين أن ترمي ليسيماخوس للأسد أو تقرضه بأسنانك[١٤٣]؟ فالوحشية من سماتك، آه، كم تتمنى أن تقرضه بفكيك اللذين منحتهما لتلتهم بهما الرجال وليس الأسد بمخالبه! نحن لا نرغب في يدك البغيضة- المعروف عنها المصدر اليقين لتدميرهم[١٤٤] – كن منقذًا لأي امرئٍ أو أن أفكارك الوحشية – المعروفة لدى الأمم أنها شر مستطير- تريح هذا الجانب من الذبح الدموي: ونسميه الآن 'العفو' إذا منحت جلاد البشر مهمة قتل صديقك.

٢٥ – ٢ ولهذا السبب ينبغي أن نكره الوحشية؛ إنها تتخطى حدود العرف أولًا، وتتعدى حدود البشر ثانيًا في البحث عن صور جديدة من العقاب

(١٤٢) هذا وثيق الصلة بالحجة القائلة بأن الغضب على النقيض من طبيعتنا كبشر (**On Anger 1.5.2–3**)، رغم أن ملاحظات سينيكا التالية توضح أن القسوة التي يفكر فيها تتجاوز نوع الوحشية التي يمارسها فالاريس وكاليجولا (**On Anger 2.5 and 2.19.1n.**).

(١٤٣) للاطلاع على هذه الحادثة انظر **On Anger 3.17.1n**.

(١٤٤) يلمح سينيكا إلى قتل الإسكندر لصديقه كليتوس في حالة سكر **On Anger 3.17.1n**.

وفي استدعاء مواهب خاصة لتحلم بوسائل لمضاعفة الألم وإطالته، في إحلال البؤس محل الشرور. وفي النهاية تُختزل أفكارها المريضة والكريهة إلى جنون مطلق: وقد تتحول القسوة إلى متعة، ويصبح ارتكاب القتل بهجة فعلية(١٤٥).

٢٥ – ٣ ومن المسالك المكروهة(١٤٦) لمثل هذا الرجل: السم وكلب السيف. كما أن هناك مصادر عدة تتعقبه مثل الأشخاص الذين عرضهم للخطر، وهو يعاني من مؤامرات خاصة واضطرابات عامة، ولن يُلقي المصدر البسيط الطفيف للدمار مدنًا برمتها إلى الفورة، وتتسع رقعة الجنون والغضب، ولن تحد أهدافه التي تسقط من كل جانب.

٢٥ – ٤ وتهرب الثعابين الصغيرة عن أنظارنا، ولا تلملمها قوى المجتمع، وعندما يتجاوز حجمها المعتاد تنمو وتصبح وحشًا- تسمم الآبار برضابها، وتُحمص أي شيء تنفس فيه، وتسحق كل شيء في طريقها. ويمكن للشرور التافهة أن تخدعنا وتمنحنا الزلة، بل نمضي مباشرة لمواجهتها إذا كانت ضخمة.

٢٥ – ٥ وبالطريقة نفسها لا يزعج مرض شخص بعينه حتى الأسرة، ولكن حين يسبب الطاعون وفيات عدة يثير المجتمع ويقاتل، كما يرفع الناس أكفهم للأرباب الحقة. وإذا اشتعلت النيران في أحد المنازل أخمدتها الأسرة والجيران بالماء، ولكن إذا ابتلعت النيران منازل عدة فلا يمكن إخمادها إلا بجانب كبير من المدينة.

٢٦ – ١ وعندما يقسو البسطاء حتى العبيد ينتقمون، فإنهم يواجهون موتًا محققًا

---

(١٤٥) يفكر سينيكا في ’المرض‘ الحالة الكامنة خلف الغضب، وهو ما يشخصه ’بالهيمية ’On Anger 2.5; cf. 2.4.2 below.

(146) Reading aversio, odia in place of eversio, †odiae† printed by Malaspina.

بالصلب، فكل الأمم والشعوب قد تعهدت بتدمير الحكام الطغاة سواء عندما يُعانون أو يتعرضون للتهديد، وأحيانًا يستنهض حراس الطغاة فيعاملونهم بغدر وشراسة ووحشية أو بأي طريقة شريرة دربهم عليها الطغاة، فماذا يتوقع المرء من شخص علمه أن يكون شريرًا؟ فلا يظل الشر قابعًا لفترة من الزمن أو يمضي سوء التصرف إلى مأربه الذي ينشده.

٢٦ – ٢ وإن افترضنا أن القسوة آمنة، فأي صنف من الممالك تتمتع بها؟ مدينة تشبه المدينة التي استولى عليها بالحرب، حيث تُرى الرهبة المضنية على كل وجه: فأينما حللت ترى الحزن والارتباك والرجفة، وأينما نظرت تدرك السعادة بالخوف، ويتجه الناس للمآدب بصعوبة، وحتى الثملون يقبضون على ألسنتهم، والواشون يفتشون عن أسباب لتوجيه التهم[١٤٧]، وأُعدت الألعاب بنفقة كبيرة وفخامة ملكية ومجموعة منتقاة من العارضين المهرة، الذين يمكنهم الاستمتاع بها في السجن؟

٢٦ – ٣ أيتها الأرباب الخيرة، أي نوع من الشر البائس هذا – القتل والغضب والبهجة في صليل القيود وتطاير رؤوس المواطنين وإراقة الدماء أينما حللت ووضع الآخرين في رحلة مخيفة في مرأى منكم[١٤٨]؟ كيف يختلف نوع الحياة التي نعيشها لو كانت الدببة والأسود هم حكامنا، وإن كانت الثعابين وكل الحيوانات المؤذية قد مُنحت الهيمنة علينا؟

٢٦ – ٤ هذه المخلوقات مجردة من العقل، وإدانتنا واتهامنا بكوننا وحوشًا *monsters* يحرمها من إيذائها[١٤٩]، ووجود النوع نفسه حتى بين الحيوانات يجلب الأمن، بينما جنون وحشية الإنسان لا يكبح من

---

(١٤٧) حرفيًا" تطلب فيها الحيثيات المادية للتهمة والمحاكمة".

(١٤٨) على نقيض الاستجابة التي أثارها الرجل الهادئ الموصوفة في §٣,٣.

(١٤٩) للاطلاع على الحجة انظر **On Anger 2.8.3**.

مداهمة حتى أقرب الروابط، إنه يتعامل مع ما له وغربائه على نحو مختلف – يُصبح أشد إثارةً كلما طال أمده[١٥٠]– ومن ثم ينتقل من قتل الأفراد إلى تدمير قبائل بأكملها، يُحاسبها بإظهار قوة إشعال النار في المساكن وتجريف المدن القديمة، يعتقد أنه لم ينجز مهمة القائد بأمر قتل واحد أو اثنين، بل يحكم بأن ينزل إلى رتبة جندي عام إذا لم تنتظر جماعة بائسة بأكملها ضربة الجلاد في آن[١٥١].

٢٦ – ٥ وتكمن السعادة الحقة في منح الوجود الحسن لكثيرين، واستدعائهم للحياة من الموت، وفي كسب التاج المدني بالعفو[١٥٢]، وليس من زخرفة أرقى تجدر بسمو الأمير من ذلك التاج المكتسب لحماية حيوات المواطنين- ليس الأسلحة التي تُجرد من الأعداء الغزاة وليست العربات الملطخة بدماء البرابرة وليست الغنائم المكتسبة في الحرب، هذا يشبه قدرة الرب: فإما أن تؤمِّن الناس وقطعان بأكملها في آن مثل خدمتك العامة، وإما أن تقتل أعدادًا غفيرة دون تمييز في قوة حريق أو مبنى منهار.

(150) The text is defective, and Gertz's correction, translated here—"quo plus se exercitat, <eo incitat>ior"—has the advantage of readily explaining the error (it presumes that the scribe's eye jumped from the end of exercitat to the middle of incitatior, thus omitting the intervening text). But "more aroused" does not directly respond to the preceding thought, which concerns savagery's failure to draw a relevant distinction. Did S. perhaps write "<eo caec>ior" ("becoming more random the longer it keeps at it")?

(151) Malaspina, following Mazzoli, posits a lacuna at this point, perhaps correctly. He also suggests, less securely, that the lost material would have included the treatment of Sulla promised at §12.3.

(١٥٢) منح أكليل من أوراق البلوط لجندي أنقذ رفيقه في المعركة، وذبح العدو، وقبض على الأرض المتنازع عليها، ومنح السوناتو مثل هذا الطوق لأوغسطوس ليمضي بالدرع الذهبية التي قد يحتفي به في عفوه والفضائل الأخرى (Res Gestae 34.2).

الكتاب الثاني

١ - ١ لقد انتقلت للكتابة عن العفو للقيصر نيرون عاليه بتعليقى لك، واسترقت السمع باندهاش عندما قلت هذا، ورويت بتعجب للآخرين كلامًا نفيسًا ومفعمًا بالحيوية ولطيفًا للغاية والذي تفجر على نحو مفاجئ وعفوي بلا كلفة، يجعلك تفكر في كيف تتصارع خيريتك مع حظك الحسن.

١ - ٢ إن حاكمك البريتوري بوروس *Burrus*[١٥٣] رجل بارز، وُلد ليخدمك كأمير، واعتزم معاقبة قاطعي طريق، وطلب منك أن تكتب ما ينوي معاقبتهما به وكيف، وبعد مماطلتك في أداء هذا الواجب مرات عدة ضغط عليك للقيام به أخيرًا، وعندما أصدر مسوغ الاتهام وسلمه لك -كلاكما تردد- وصرخت: "أتمنى لو كنت أميًّا!".

٢ - ٣ هذه العبارة التي يجدر أن تكون مسموعة لكل الناس الذين يقيمون في سلطاننا وكل الذين يعيشون خارج حدودنا، ويرون حريتهم مهددة، وكل الذين يقفون ضدها بشجاعة وقوة! العبارة التي ينبغي أن تُنشر أمام كل المجالس الإنسانية وتطلب حلف يمين الولاء للملوك والأمراء الأجانب! والعبارة التي تجدر بطهارة فطرة جنس البشر، والتي يمكن بها استعادة العصر الذهبي الأسطوري[١٥٤]!

١ - ٤ ويقينًا أن نقرر الآن الخير والحق ونطرد شهوة خيرات الآخرين -مصدر كل كرب-، ومن المناسب استعادة الكمال الأخلاقي مع النية الخالصة

---

(١٥٣) سكتوس أفرينيوس بوروس **Sextus Afranius Burrus** من جنوب الغال، أصبح حاكمًا للحرس البرايتوري في عهد كلاوديوس ٥١م وظل في المنصب حتى وفاته، وكان مسؤولًا عن توجيه نيرون في السنوات الأولى من حكمه مع سينيكا، وكان الشخص الوحيد المسموح له بحمل السيف في حضور الإمبراطور، وكان الحاكم الرايتوري امتدادًا مسلحًا لسلطة الإمبراطور **(Millar 1977:123)**

(١٥٤) "العصر الذهبي" هو زمن عدن عندما عاش البشر في سلام ووئام مدعومين بالطبيعة المثمرة تلقائيًّا، ويرجع تخيل العصر الذهبي في الأدب اللاتيني إلى **Vergil Eclogue 4**، وكون نيرون ضمانة لعصر ذهبي جديد فهو 'تنبأ' بألوهية كلاوديوس **Apocolocyntosis 4.1.8–9**.

والاعتدال جنبًا بجنب؛ لأن الرذائل استطالت بجور وأثمرت في النهاية عصرًا سعيدًا وضَّاء.

٢ – ١ ونأمل أن يتحقق هذا يا قيصر بإيمان جزل، وسوف يصل لطف روحك وينتشر في ربوع سلطاننا[١٥٥]، وسوف يُحبك كل شيء على شاكلتك، وسوف تبدأ العافية من الرأس، وسوف يُملأ العقل بالحياة أو تُفعم بالحيوية كل الأشياء المرهقة، وسيكون هناك مواطنون، وسوف يكونوا موالين جديرين بهذه الخيرية، وسوف يُستعاد السلوك القويم لكل ربوع العالم، وسوف ترفع يدك لتجازى في أي مكان تملكه.

٢ – ٢ اسمح لى أن أستطرد قليلًا في عبارة لك ليس تملقًا لأذنيك (هذا ليس طريقى، وأُفضل أن أخبرك الحقيقة بدلًا من أن أمنحك متعة وأنا متزلف)، ولكن ما غايتي إذَنْ؟ أن أوقفك على أن تكون على دراية بأعمالك الخيرة وأقوالك بقدر الممكن، لذا ربما قد تُقبل على ما تفعله الآن بدافع الاندفاع الفطري، إنني أفكر في الأمر: كلمات كثيرة تبدو عظيمة بل مقيتة وقد شقت طريقها بين الرجال وصارت مشهورة بكونها على شفاه الجميع، مثل قول "دعهم يكرهوا شريطة أن يخافوا"، وهناك نظم يوناني يشبه هذا يتحدث به امرؤٌ قائلًا: "بعد موتي قد تُلعن الأرض بالنار"، وأشياء من هذا القبيل[١٥٦].

(١٥٥) – رجع المترجم من اللاتينية إلى Hosius's omne imperii corpus (for the archetype's corrupt omne imne imperii corpus), against Rossbach's per omne immane imperii corpus, printed by Malaspina. S. uses immane only with deeply negative connotations (e.g., §2.3 below, "monstrous [immani] and hateful [invisa]"), and .it is hardly likely to be used here

(١٥٦) سبق ذكر أن الشطرة الأولى من أكيوس أتريوس at 1.12.4. والثانية من تراجيديا يونانية مجهولة (TGrF 2, frag. 513)، وقد كشف عنها (Cassius Dio 58.23.4) عندما استعملها شخص ما في محادثة، وأولها نيرون بتعديلها بقول "لا، بينما أنا حيٌّ" Suetonius Nero 38.1

٢ – ٣ وقد عبرت فطنة البشر بطريقة ما أو بأخرى عن المشاعر القوية والعاطفية حين يكون الموضوع وحشيًّا وبغيضًا: فلم يصل إلى سمعي أن نفسًا خيرة ولطيفة تحض بقول متقد(١٥٧)، فما النتيجة إذَنْ؟ عليك في بعض الأمور– وإن كان هذا نادرًا وقسرًا وترددًا للغاية– أن تكتب شيئًا ما يجعلك تكره أنه بمقدورك أن تكتب، حيث يجب أن تفعلها كما تفعلها بتوانٍ شديد وإرجاء كثير.

٣ – ١ وقد يصير اسم العفو الظاهر خادعًا لنا أحيانًا، ويقودنا إلى اتجاه معاكس، فدعنا نرى ما العفو وما صفاته وأين نحدد التمايزات المتعلقة به. إن العفو «اعتدال العقل عندما يملك القدرة على الانتقام» أو "اعتدال الأسمى نحو الأدنى في ردع العقاب"، ومن المطمئن تقديم تعريفات عدة خشية ألا يغطي التعريف الواحد الأمر، وإن جاز القول ضياع القضية(١٥٨) وبالتالي يمكن أن نعرفه بأنه «ميل العقل نحو الاعتدال في فرض العقاب»

٣ – ٢ ولن يغطي التعريف التالي كل حالة، ولكنه يقترب من الحقيقة تقريبًا وهو أن "العفو اعتدال يقلص الفعل والعقاب المستحق إلى حد ما"، ونتوقع اعتراضًا: "لا توجد فضيلة لأي أحد تقل عمَّا يفعل!"(١٥٩)، ومن ثم يفهم الكل أن العفو يعوق ذاته باختزال ما يمكن تعيينه باستحقاق.

٤ – ١ ويعتقد الجاهل أن الصرامة مضادة للعفو، ولكن لا توجد فضيلة عكس

---

(١٥٧) يبدو أن ملاحظة نيرون محل الثناء عاليه تفي بالمعيار؛ لذلك يضحي سينيكا بالاتساق أو الدقة لأجل عبارة ملفتة للانتباه On Anger 2.8.3n.

(١٥٨) يستعمل سينيكا المجاز وأسلوب الإسقاط formula excidere، ويشير إلى قضية مفقودة في القانون بإدخال خاطئ أو سوء صياغة (cf. OLD s.v. formula 6c).

(١٥٩) هذا الأمر عصيب لسينيكا وقد تناوله في الفقرة ٧ أدناه قبل بدء النص مباشرة، وانظر أيضًا see also 6.3n حول تضمين هذه المؤهلات باعتبارها درجات 'أو نسبًا مستحقًّا due proportion'.

أي شيء آخر، إذَنْ ما الذي يضاد العفو؟ القسوة، وما هي إلا فظاظة العقل في فرض العقاب، وقد يعترض أحدهم " بل بعض الناس لا يفرضون عقابًا وهم قساة – على سبيل المثال الذين يقتلون الغرباء الذين يتخطون دروبهم لا لأجل الاكتساب بل لأجل القتل، والحقيقة أنهم لا يكتفون بالقتل بل يعذبونهم مثل بوسيريس *Busiris* وبروكوستيس *Procustes*[١٦٠] والقراصنة الذين ضربوا أسراهم وحرقوهم أحياء".

٤ – ٢ حقًّا يبدو هذا قسوة، بل ليس سعيًا للانتقام (لأنه لا يتكبد ضررًا) وليس غضبًا لأفعال خاطئة (لأنه لا تسبقه جريمة) إنه يقع خارج تعريفنا الذي حُدد بإفراط العقل في فرض العقاب، ويمكننا القول: إن السلوك الآخر ليس قسوة بل بهيمية[١٦١] تنهل المتعة في الوحشية أو يمكن أن نطلق عليه حماقة، فهناك أنواع عدة للقسوة، وما من توثيق أشد في تشخيصه من ذاك الذي يصل إلى غاية قتل الناس وتمزيقهم إلى أجزاء.

٤ – ٣ سوف أطلق على الذين لديهم أسباب للعقاب أنهم 'قساة'، ولكن لم يضعوا حدًّا للعقاب كما في حالة فالاريس *Phalaris*[١٦٢] الذي ورد أنه مارس وحشيته ليس ضد الأبرياء فحسب بل ضد أي إنسان وأي شيء يستحسنه المرء، ويمكننا تحاشي الخلط ونستعمل هذا التعريف: وهو أن القسوة هي ميل العقل نحو الفظاظة القصوى، ويرفض العفو هذه الصفة ويجبرها أن تبقى بعيدة عنه؛ لأنه بصرامته يأتلف العفو.

---

(١٦٠) نموذجان للقسوة يقترنان هنا بالأدب اللاتيني: وهما بوروس ملك مصر الذي ضحى بالغرباء لزيوس حتى قتله هيروكليس، وبروكروستيس **Procrustes** (المعروف أيضًا بداماستيس **Damastes** أو بوليبيمون **Polypemon**) قتله ثيسيوس بعد أن قبض عليه قاطع طريق في أتيكا وعذبه ومدده على سرير وقطع أطرافه.

(١٦١) حول البهيمية **feritas** انظر **see 1.25.2n**.

(١٦٢) على نقيض **On Anger 2.5.1** حيث إن فالاريس ليس مثالًا للقسوة بل للبهيمية التي نقاشناها للتو.

٤ - ٤ ومن المناسب أن نسأل ما الشفقة ونحن بصدد هذا الأمر؛ لأن معظم الناس يثنون عليها بوصفها فضيلة، ويدَّعون أن كل امرئٍ ميال للشفقة إنسان خير. وهذه أيضًا رذيلة للعقل[١٦٣]. وتقترب كلتا الرذيلتين -القسوة والشفقة- من العفو والصرامة، وعلينا أن نتحاشاهما، فنحن ننزلق إلى القسوة لأنها تشبه الصرامة[١٦٤]، بينما ننزلق إلى الشفقة لأنها تشبه العفو، والخلط في اتجاه الشفقة ينطوي على مخاطرة أقل، والذين يرتدون عن الحق يخطئون في كلتا الحالتين بالتساوي[١٦٥].

٥ - ١ وكما أن الدين يعتز بالأرباب في حين تجرحهم الخرافات، ولذا كل الصالحين يُظهرون العفو واللطف ويتحاشون الشفقة؛ لأنها زلة لروح بائسة تنهار بالانفعال بمتاعب الناس[١٦٦]، وبالتالي هو أكثر ألفة عند الأشرار: النساء العجائز والحمقاوات اللواتي يتحركن بالدموع، فالشفقة تنظر إلى حالة المرء فحسب وليس علتها والعفو يتوافق مع السبب.

٥ - ٢ إني أعلم أن الرواقيين يتمتعون بسوء السمعة بين الجهال لكونهم قساة للغاية، ولذا من غير المرجح أن يقدموا للملوك والأمراء نصيحة، ويُنحى إليهم اللائمة في توكيدهم على أن الحكيم لا يشعر بالشفقة

---

(١٦٣) هذا كانفعال وهو من وجهة نظر الرواقية رذيلة في حد ذاته انظر On Anger, introduction, section 2.

(164) - Gertz's supplement—"<per speciem enim severitatis in crudelitatem incidimus>, per speciem clementiae in misericordiam"—is necessary, and the sense is clear.

(١٦٥) هذا مختلف في الفكر الرواقي، حيث إن كل الرذائل مثل كل الفضائل هي وحدة مطلقة ودون درجات cf. 1.5.3n.

(١٦٦) يستعمل سينيكا اصطلاحًا فنيًّا وهو كلمة species بمعنى صورة ذهنية أو انطباع impression وهو يشير إلى إدراك تقييمي ينطلق من الانفعال عندما نقبل الانطباع باعتباره صوابًا (cf. On Anger introduction, section 2 and 1.2.5n.). وعن الانطباعات وعلاقتها بالشفقة cf. 1.1.4n. and §4 below.

ولا يغفر(١٦٧)، وهذا التوكيد في حد ذاته ليس منصفًا؛ لأن الرواقيين لا يفسحون أملًا للخطأ الإنساني ويحيلون أوجه القصور جميعها إلى العقاب مباشرة.

٥ – ٣ وإن كان الحال كذلك، فما الحكمة من ذلك؟ وهو أن يندفع الناس نحو التخلي عن إنسانيتهم وتحرمهم من تقديم العون المتبادل وهو الملاذ الآمن من المصيبة – لماذا لا ينبغي أن تكون مذمومة؟ لا، فليست من مدرسة أرق وألطف من الرواقية، ولا تزيد عنها في حبها لجنس البشر وانجذابها للخير العام، لدرجة أن غايتها أن تكون نافعًا وخدومًا، ولا تنظر إلى اهتماماتها ذاتها كمدرسة بل في اهتمامات الناس على المستوى الفردي والجمعي.

٥ – ٤ الشفقة محنة ناتجة عن انطباع بعدم سعادة الآخرين أو حزن ينشأ بمتاعب الآخرين الذين يعتقد المرء أنهم يعانون وهم لا يستحقون هذا، ولكن لا يصيب الحكيم محنة(١٦٨) وعقله مبتهج، ولا يحدث له شيء يضعه في محنة، وزد على ذلك، ولا شيء يجذب الإنسان بقدر الروح العظيمة، والروح ذاتها لا تكون عظيمة وموحشة في آن واحد.

٥ – ٥ فالكآبة تفسد عقولنا وتعزلها وتُقبضها: وهذا لا يصيب الحكيم حتى في ظل خسائره، ويقاوم أي غضب في مصيبته فيرديه ويحطمه أمامه، وهو يُبقي على تعبيره هادئًا ثابتًا(١٦٩)، وهو ما لا يستطيع فعله إذا أفسح المجال للحزن.

---

(١٦٧) تنسب وجهة النظر هذه إلى الرواقيين at SVF 3.640–41; cf. Cicero On Behalf of Murena .62

(١٦٨) للاطلاع على المبدأ الرواقي الأصيل انظر cf., e.g., Cicero Tusculan Disputations 3.7f.

(١٦٩) هذه الصورة المتقدة لسقراط في On Anger 2.7.1، ولم يحافظ كل الرواقيين على وجهة النظر الضارة للامبالاة في المظهر والزينة انظر the fragment of Epictetus preserved at Gellius 19.1.

٦ – ١ وأضف إلى ذلك حقيقة أن الحكيم بعيد النظر ولديه خطة للفعل جاهزة، ولا شيء جلي وضَّاء يأتي من شيء ما غامض، فالحزن غير مناسب لرؤية جوهر الأشياء ومعرفة ما هو مفيد وتجنب المخاطر والاعتداد بما هو عدل، ولذلك لا يأسى الحكيم؛ لأن هذا يستلزم بؤس العقل.

٦ – ٢ ويفعل الحكيم كل الأشياء الأخرى التي يرغبها مَن يشعرون بالشفقة(١٧٠) ببهجة وعقل مطمئن، ينجذب لدموع الآخرين ولا ينضم إليهم، يمد يده للسفينة الغارقة، وهو الملاذ للمنفي، والعملة للمحتاج- ليس نوعًا من الإهانة يقدمه الذين يريدون أن يُظهروا التعاطف مع بعضهم والذين يشمئزون ممن يساعدونهم ويخافون أن يلمسوهم، ولكن عملة يقيمها إنسان لآخر من مصدر يتشاركون فيه(١٧١)، سيحرر الابن من الجواب لدموع الأم ويتراجع عن قيوده، ويعفي المجالد من تدريباته(١٧٢)، ويدفن جثة المجرم، ولكن يفعل كل هذه الأشياء بسكينة عقل وملمح ثابت.

٦ – ٣ ولا يشعر الحكيم بالشفقة بل يقدم العون ويكون نافعًا، حيث ولد لعون رفقائه وإضافة الخير العام الذي يمنحه لكل امرئ يتشارك معه، ويجعل صلاحه متاحًا حتى للبؤساء الذين في حاجة للتقويم (١٧٣)، ويعين بابتهاج المنكوبين ومَن تعسروا بالصدفة، ويقف في درب المصيبة بقدر

---

(١٧٠) ترجمت كلمة **volunt** بكلمة يريدون بدلًا من كلمة أريد في المتن الذي أترجم منه.

(171) On Favors 2.13.2.

(١٧٢) كان الرجل الذي يُدرب في مدرسة المجالدين (**ludus**) عادة عبدًا، ويؤدي به التدريب غالبًا إلى الموت في الحلبة.

(١٧٣) عبارة "في تناسب الواجب" عبارة تتناول مسألة أساسية تتعلق بالعفو، وإن كان العفو يسلتزم مغفرة " إلى حد ما" انظر عاليه ٢ ,٣ بأي مبدأ عقلاني نقرر درجة المغفرة؟ انظر أدناه ٣,٧ المقولة المذكورة تتوازن مع هذه الجملة –" المتألمون بالحظ"- وهي لا علاقة لها بالعفو.

استطاعته، فمتى يفضل استعمال قوته ومصادره في استعادة ما أطاح به سوء الحظ؟ من المؤكد أن تعبيره غير منبوذ، ولا عقله أيضًا، وإن كان على مرأى من امرئ كُسرت ساقه أو سُحقت عظامه، فإنه يدعم عجزه بعكاز، إنه يفعل الخير لكل مَن يستحق، وينظر بعطف لمَن أصابتهم المحنة مثل الأرباب.

٦ – ٤ فالمواساة جار بؤس حيث تتجذر عن بعض الصفات من النوعية نفسها، فالعين تلتهب حين يلتهب الآخر ويضعف، ولك أن تتيقن– مثل الرب أنه مرض وليس مرحًا حين يجعل دومًا ابتسامة واحدة حين يبتسم الآخرون أو يفغرون أفواههم حين يتثاءبون كل مرة[١٧٤]، والمواساة رذيلة عقول خائفة من البؤس. فحين يطلبها المرء للحكيم، فإنه يطلب منه أن يئن وينحب لموت الغرباء[١٧٥].

٧ – ١ والسؤال: "لماذا لا يمنح المغفرة؟". حسنًا[١٧٦]، ولنحدد أولًا ماهية 'الغفران' وسوف نفهم لماذا لا ينبغي أن يمنحه، فالغفران تخفيف لعقاب مستحق[١٧٧]، ولماذا ما ينبغي للحكيم أن يمنحه يمكن تفسيره بالتفصيل من قِبَل الذين لديهم هدفًا رئيسًا، وحتى نتعامل مع السؤال باختصار نتخطى (إن جاز التعبير) على صلاحية الآخر. وسوف أقول

(١٧٤) على نقيض On Anger 2.2.5, 4.2 حيث الابتسام والتثاؤب اللا إرادي ليسا أمراضًا، بل استجابات طبيعية، ويستعملها سينيكا قياسات مماثلة لتوضيح الهزة العقلية الأولى كمقدمة للانفعال.

(١٧٥) هذا التماثل يتسم بالضعف؛ لأنه يشير إلى أن الحكيم ينظر إلى موت الغرباء بلا اكتراث أو يعتبر سوء حظ الغرباء غريبًا عليه أو على أصدقائه.

(176) The translation reflects Hosius's agedum, adopted as a stopgap where the archetype read vacuam. (Malaspina obelizes vacuam and posits a lacuna, probably correctly.).

(١٧٧) الصفح يعفي أو يتابع تقييم التخلي الذي أُجري في حين أن العفو –في مثال سينيكا– يشكل فعل التقييم ذاته.،

هذا: إن المغفرة تُمنح لمَن ينبغي أن يُعاقب، ولا يفعل الحكيم شيئًا ينبغي ألا يفعله ولا ينسى شيئًا ينبغي أن يفعله، وبالتالي هو لا يحول عقابًا ينبغي أن يُفرض.

٧ – ٢ إن ما تريد أن تكسبه من المغفرة قد يمنحه لك الحكيم بطريق أكثر شرفًا؛ لأنه سوف يدخرك ويفكر في اهتماماتك الحقيقية ويضبطك، وسوف يفعل ما سيفعله كما لو كان يغفر لك ولكنه لن يغفر لك؛ لأن مَن يغفر يعترف بأنه قد يتجاهل فعل شيء يجب القيام به، إنه يمنح امرأً بعينه عتابًا وليس عقابًا، ويرى أنه مرحلة من الحياة لا سبيل لتقويمه. وهناك امرؤ آخر مصاب تمامًا بسوء الإرادة، فهذا يتحمل جريمته(١٧٨)، وسوف يرحل سالمًا لأنه قد ضُلل أو لأنه انزلق وهو ثمل، وسوف يطلق صراح الأعداء دون أذى، وأحيانًا بكلمات تقدير إذا استدعوا للحرب لداعٍ مشرف، أي لأجل ولاء أو دفاعة معاهدة أو حريتهم.

٧ – ٣ وتناسب هذه الأفعال العفو لا المغفرة، ويمارس العفو حرية الحكم: حيث لا يجعل الأحكام لصيغة بعينها بل وفق ما هو عدل وخير، وبعيدًا عن الإفراط، ويُقيم القيمة القضية بالقدر الذي تبتغيه، وتضع الأشياء كلها ليس كما لو كانت تقل عما هو عدل، بل كما لو كانت ما وصلت إليه الأحكام أعظم عدلا(١٧٩)، ولكن أن تغفر فإنك تتخلى عن عقاب امرئ تقضي بأنه ينبغي عقابه. والمغفرة هي تقليص لعقاب مستحق. وينجز العقل هذا في المقام الأول: حيث يؤكد أن الذين يتخلون عنه لا يُعانون شيئًا آخر، فهو أكمل من المغفرة وأعظم تشريفًا.

---

(١٧٨) ذلك المرء الذي يظهر أن لديه إحساسًا مناسبًا بالخجل.

(١٧٩) على النقيض ٢ ,٢ ,١ «أيًّا كان الإجراء الذي سيكون مجرد إنصاف **aequo plus** يجب أن يقلب المقياس في اتجاه إنساني».

٤ – ٧ وفى رأيي، أن محك الجدل ينطوي على مسألة الاصطلاحات في حين أن الجوهر مسألة اتفاق بالتوكيد، وسوف يخفف الحكيم العقاب بحالات عدة، وسوف يقي كثيرين ليست صفاتهم سليمة ولكنهم قادرون على التقويم، إنه يحاكي الفلاحين الأخيار الذين لا يعتنون بالأشجار التي تنمو مستقيمة فحسب، بل يدعمون تلك التي اعوجت لسبب ما ليقيموها، ويقلمون فروعًا أخرى خشية أن تتوقف عن النمو، ويخصبون التي أضعفتها التربة الفقيرة، ويمنحون أشعة الشمس للتي حُجبت عنها، لذلك يدرك الحكيم الشخصية التي يتعامل معها ونظامها وكيف يُقوِّم ويقيم تشوهها.

❊ ❊ ❊

تأليف كلاوديوس المقدَّس

مناسبة الكتاب وغرضه

تُوفي الإمبراطور كلاوديوس في ١٣ أكتوبر عام ٥٤ م عن عمر يناهز أربعة وستين عامًا، والسبب المحتمل للوفاة هو السم، رغم أن الكتَّاب القدامى اختلفوا في هوية المُسمِّم، ابتهج كثير من الناس بموت كلاوديوس مع أنه لم يكن مهووسًا مثل سلفه كاليجولا، فقد كان صعب المراس قاسيًا، وغير متوقَّع الفعل، وبجانب هذا أُحيط بحاشية كانت لها أغراضٌ لتعجيل زواله. وبغض النظر عن الطريقة التي تُوفي بها، فإن المسؤولية المطلقة في موته تقع على عاتق أجربيانا *Agrippina* آخر زوجاته الأربع، وهي امرأة تتمتع بسلطة إجرامية بائنة، حيث أشارت على كلاوديوس بتبني نيرون، ابنها من زيجة سابقة،، وقد عضد هذا التبني من سلطة بريتانيكوس *Britannicus* ابن كلاوديوس وزواجه من ميسالينا *Messalina* سيئة السمعة عام ٤١م، وأعطى للشاب والكهل رفقة التعاقب، ولكن مسيرة نيرون مضت قدمًا سريعًا وحانت وفاة كلاوديوس بشكل مثير للريبة، في آن حُرم فيه بريتانيكوس من منح توجا الشجاعة *toga of manhood*، وحرصت أجربيانا بمجرد خروج كلاوديوس من الطريق بمعاونة مستشارين موثوق بهم على تولي نيرون –وليس بريتانيكوس– زمام الأمور (وسُمم عام ٥٥، ولم يدم بريتانيكوس التعيس مع والده طويلًا)، وقد أُعلن كلاوديوس إلهًا من السوناتو بعد وفاته بفترة قصيرة – وهذه الخطوة عززت مكانة الشاب نيرون.

لم تكن علاقة سينيكا بكلاوديوس حميدة: حيث كان مسؤولًا عن نفيه، وحتى بعد أن عاد من النفي بقي بعيدًا، وعلى النقيض فقد كان معلمًا لنيرون الشاب، وكانت أجربيانا حليفةً له، وقد أعانها سينيكا على ضمانة خلافة نيرون، وسرعان ما صار حاكمًا للإمبراطورية، ويتقاسم السلطان مع بوروس *Burrus* ويوالي الحرس البرايتوري (كتب خطاب موت كلاوديوس لنيرون)، لذا مكَّن وضع سينيكا من أن يجد يوم ١٣ أكتوبر يومًا سعيدًا بالفعل.

لقد كُتب كتاب التأليه *Apocolocyntosis*، ونُشر بعد موت كلاوديوس بفترة قصيرة، ومن المقبول أنه كُتب للقراء العوام في ساتورناليا *Saturnalia* في ديسمبر عام ٥٤ – عطلة احتفالية ماتعة كان كلاوديوس يحب فيها المآدب والاستمتاع، وكان نيرون سيد المحتفلين.

العنوان والمؤلف

ذكر معلق قديم واحد فقط –هو كاسيوس ديو بعد مضي أكثر من قرن– كتاب سينيكا عن موت كلاوديوس وتأليهه، وليس لدينا سببٌ للتشكيك في المؤلف، فالمخطوط المعروف ينسب العمل له، مع أن أقدم مخطوطة للكتاب ترجع إلى القرن التاسع الميلادي، وتأيد الاعتبارات الأسلوبية إجماع الآراء، لأن الشِّعر في القسم السابع والثاني عشر يكشف العلاقة الوطيدة بالبيان والاستعمال الموزون في تراجيديا سينيكا، والحجة الوحيدة التي تنفي أن العمل من أعمال سينيكا هي الرأى القائل بأن الفيلسوف الحاذق لا يبتهج أو يحقد، ومع ذلك كان سينيكا رجلًا معقدًا للغاية، ومن الصعب أن تتساير معتقداته الفلسفية مع حياته.

إن ديو هو مَن أعطانا عنوان الكتاب ومحتواه: «ألَّف سينيكا كتابًا أطلق عليه

التأليه، وإنه كما لو كان لبعض ملوك مؤلهين»، ومن بين المخطوطات القديمة عنوان «تأليه كلاوديوس الإله بالهجائية»، والذي يبدو أنه وصف للفهرسة أكثر من العنوان، وعنونته مخطوطات أخرى «العزف على موت كلاوديوس»، وهو استعمال سائد في العصر الوسيط، ولذلك من الأصوب أن نتبع ديو.

إن كلمة *A kolokynte* اليونانية هي *cucurbita* في اللاتينية، وتعني القرع *gourd*، وهو قريب النسبة من اليقطين *pumpkin*، وقد ناقش إيدن *P. T. Eden* -أفضل المعلقين على الكتاب- بإقناع أن الاستعارة تعبر عن الفراغ، حيث إن القرع المجفف أجوف و"الرأس مثل القرع" وتعني 'مخادع' أو 'رأس فارغ'، وافترض بعض الكتاب أن هناك قسمًا مفقودًا من العمل والذي يتحول فيه كلوديوس حرفيًّا إلى يقطين، ولكن هذا مزحة بحرفية مكتئبة، وكما أن السوناتو جعل كلاوديوس إلهًا (أدى إلى تأليهه)، فإن كتاب سينيكا صنع منه ما كان عليه دومًا وهو مخادع، وقد استبدلت كلمة مخادع *fool* في اليونانية مرتين إلى كلمة إله *god* في الحديث عن كلاوديوس (*sections 7 and 8; see notes*)، ويتضمن العنوان استبدال المزحة نفسها.

هجائية مينيبين *Menippean Satire*

هي هجائية رومانية تبدأ من لوكيلوس (١٨٠-١٠٣ق.م)، وهي شخصية غامضة تحظى بالإعجاب في القدم خاصة بعض الشعراء الأُول، بما فيهم الشاعر الملحمي أنيوس *Ennius 239–169 BCE* والذي أَلَّف قصائد تُدعى هجاء *saturate*، والكلمة تعني 'مزيج من الأدب *miscellanies*'، وهي تخبرنا القليل عن وجهة القصائد أو ما تهتم به، وهذا النوع إن كان نوعًا قد قيل من خلال المنظر الأدبي كوينتيليان *Quintilian* في القرن الأول الميلادي ليكون ابتكارًا رومانيًّا، إلا أن الشاعر هوراس أكثر معقولية حين يرى أن لوكيلوس قد استعاره من الكوميديا

اليونانية القديمة. ومن الظاهر أن لوكليلوس هو الشاعر الروماني الأول الذي طور الهجائية كوسيلة للإساءة الشخصية والنقد الاجتماعي، ولم يبقَ شيءٌ من عمله، ولكن يُنظر إلى الشعراء اللاحقين في هذا النوع من هوراس (*65–8 BCE*) إلى بريسوس (*34–62 CE*) وجوفينال (*c. 60–140 CE*) على أنهم استمرار لتراث قد بدأه، حيث تنطوي أعمالهم على الشجب الاجتماعي والحماقة والفساد الشخصي، وأحيانًا ما تكون النبرة سوداوية للغاية كما هي عند جوفينال، وأحيانًا لطيفة نسبيًّا كما هي عند هوراس الذي يرفض الشاعر الإنجليزي دريدن *Dryden* موقفه الإنساني من حيث كونه ’عبد محكمة متكلف تمامًا *a well-mannered court slave*‘.

ومع ذلك لا نعول على هذا التراث في كتابنا الذي يرتبط بهجائية مختلفة ترتبط بالكاتب الروماني مينيبوس *Menippus* في القرن الثالث والكاتب الروماني فارو *Varro (116– 27 BCE)* ذلك النوع الذي كان شائعًا، ولم يبقَ من عمل مينيبوس شيءٌ، ولم يُنشر من عمل فارو إلا جزء ضئيل – مع أن شيشرون قال إنَّ فارو واحدًا من الكتَّاب الموسوعيين حيث نشر ٤٩٠ كتابًا منها ١٥٠ هجائية، وقُلدت أعماله على نطاق واسع، وظل هذا النوع منتجًا على الأقل حتى زمن الكاتب اليوناني لوكان *Lucian* في القرن الثاني الميلادي.

إننا نعلم أن هجائية مينيبوس تحتوي على مزيج من الشِّعر والنثر وأسلوب خافت وعالٍ، إنه يضفي للأدب محاكاة ساخرة، وينطوي على أخلاقيات جادة وكوميديا لطيفة، ومع هذا لا نعلم شيئًا مفيداً يعيننا على فهم كيف استعمل سينيكا هذا النوع بطريقة مميزة، وبمقدورنا إعادة بناء النوع فحسب من النص الذي أمامنا.

ولذلك فحصنا نقاط ضعف مركزية الأخلاق في عمل مينيبوس وجوفينال وهجائية هورس، حيث ثبات مشاعر الشعراء، وحيث يتهاوى متحدثونا من

الرسمي إلى المبتذل، ومن الغضب إلى الفرح، بطريقة توحي بانفكاك الاحتفالية بدلًا من الملاحظة الأخلاقية.

وربما الملمح الملحوظ في نصنا هو أيضًا ملمح في هجائية مينيبوس عمومًا، وهو استعمال متحرر عادة في الاقتباسات الأدبية اليونانية إلى جانب اللاتينية خاصة في العبارة التي تقتضي ضرب المثل، والدارسون الرومان (الذين ينهون دراستهم في أثينا) يقرؤون الأدب والفلسفة بطلاقة في لغتها الأصلية، فرسائل شيشرون لمجموعة المراسلين تخللتها عبارات يونانية بحرية، ويشير حضور اليونانية بجانب المزح إلى كتابة التاريخ والمذاهب الفلسفية، ويتعامل مع الجمهور المستهدف للعمل على أنهم مثقفون، ولكن ربما تكون ثقافتهم ليست عالية. ويتوقع شيشرون أن زوجته تيرينتيا *Terentia* -غير المثقفة (مثل النساء عمومًا) وغير المتعلمة في أثينا- تفهم عبارات اليونانية. وتسعى نحو مُزَحٍ لطيفة ذات طبيعة فلسفية.

كلاوديوس ونيرون :

وقد تركض تقييمات عهد كلاوديوس حول سلسلة من الإدانات القاسية لسينيكا ومعاصريه للاستحسان العاطفي لربورت جريفز، وشعبية كتاب جريفز الأول «كلاوديوس وكلاوديوس الإله» - ناهيك عن الإصدار المتلفز الذي يلعب فيه الممثل ديريك جاكوبي دور الإمبراطور- جعل معظم المفكرين غير المتخصصين يفكرون في كلاوديوس: إنه رجل لامع حاذق وطيب القلب، وهذه الفضائل تستتر بعجزه الجسدي، رغم أن روايتينا الأوليتين التاريخيتين القديمتين عن كلاوديوس وهما حوليات تاكيتوس *Annals of Tacitus* والسيرة الذاتية التي وضعها سويتونيوس *Suetonius* مستمدة من مصادر معادية للإمبراطور، والرؤية الهادئة بكليتها للأدلة توضح لنا أن جريفز جانبه الصواب، وكذلك سينيكا في بعض النواحي.

الشيء الوحيد الصواب الذي ذهب إليه المصدران عن كلاوديوس هو الإعاقة الجسدية والعرج، حيث كان له رجفة أثَّرت على يده ورأسه، وكان لديه عيب في الكلام، مع أنه قيل إنه حين يتحدث من نص مُعدٍّ ولم يكن متعصبًا يمكن فهمه على نحو حسن. وقد ذكر بوليو *Polio* الشلل الدماغى ومتلازمة توريت *Tourette's syndrome* ومتلازمة أسبرجر *Asperger's syndrome*، وربما ما يتناسب مع هذه الأعراض هو الشلل الدماغي، وقد وصفته أمه بأنه «مسخ إنسان بدأته الطبيعة ولم تنتهِ»، وقد كان جريفز محقًّا في أن حالته الجسدية قد نجته من الخطر حتى اعتلاء العرش.

كان كلاوديوس في سن المراهقة يُرى على ما يرام عندما كان يجلس أو لا يزال قائمًا، ولكن كان له صفات مثيرة للاشمئزاز، ومنها الضحكة البغيضة، وحب الضرط العالي، والسيلان الدائم للأنف، وكان يحشر نفسه على مآدب الولائم، وحبه للمضاربة. وكان سينيكا أفضل من جريفز لأنه أهمل تركيز كلاوديوس على مسألة الجنس، حيث سخر كلاوديوس من الكتاب القدامى لتقويضهم الجنس على الرجل والمرأة، في حين أن الشذوذ كان هو السائد في روما في هذه الفترة مع بعض القيود في بعض الطبقات الاجتماعية السياسية.

والأمر الذي يتمتع فيه جريفز بأفضلية عن سينيكا هو أن كلاوديوس لم يكن غبيًّا، وغالبًا ما يحملق في الفضاء، وبدا وكأنه يتغافل عن كثير من الإعدامات التي أمر بها، وأمر أن يزور الناس نفسهم المحكمة في اليوم التالي. لقد كتب كتبًا عدة ومنها عشرون كتابًا عن تاريخ الأترورية باليونانية، وعن الحروب الأهلية الأولى باللاتينية.

كان كلاوديوس قائدًا كفؤًا، غزت روما في عهده بريطانيا، وأدار شؤونًا عسكرية أخرى على نحو حسن، وعُرف عنه اهتمامه بالأعمال العامة، شيد

مجريين للماء وطرقًا وقنوات عدة، نظَّم عروضًا وألعابًا شعبية – منها جانب من مسرح غريب يتصارع فيه هو مع حوت قاتل محاصر في ميناء أوستيا. وبجانب البناء أعاد ترميم وتزيين المباني التي لها مكانة، واهتم بشؤون المقاطعات، ووسع من المواطنة. ولكن سينيكا تغافل عن هذا أو تعامل معه بتجاهل، وركز فحسب على الحماقة.

أحب كلاوديوس الأمور القانونية، ومدد جلسات المحاكمة، وغالبًا ما كان يترأسها، وقدم إصلاحات مفيدة، ولكن مصادرنا جميعها تتفق على أنه كان متدخلًا ومتقلبًا وغير مكترث بالشاهد وانتقاميًّا بشكل ملحوظ (ابتكر مزيدًا من الأشغال للمحاميين وهمَّش دور الباحثين القانونيين، وحول سينيكا هذا الأمر إلى مزح)، كان شغوفًا بإصدار مراسيم لا حدود لها؛ ففي إحدى المناسبات المعروفة صك مرسومًا يعلن فيه أن الضرط مفيد للصحة العامة. كان يحب مشاهدة العقوبات القاسية، حيث كان يبتكر في التعذيب بما يفوق المعيار الروماني.

لم يُنصَّبْ كلاوديوس على العرش من السوناتو، بل من الحرس البرايتوري *praetorian guard*. ولذلك واجهه عداء وخطر مجلس السوناتو طوال جلوسه على العرش، وواجه في ظل القلق السيناتوري انتقادات عدة لاعتماده على غير الأرستقراطيين، وتعبيره عن التحيز الطبقي. وما يسقطه جريفز الفساد الأخلاقي الذي أحدثه الخطر والرفض المستمر. وتصور مصادرنا كلاوديوس بأنه مريض بجنون العظمة ومتصلب – بمقدوره أن يخلق التهديدات في كل وقتٍ، ويعقد العزم على اقتلاع مصدرها المتخيل دون محاكمة عادلة. إن تصوير سينيكا لجرائمه النفعية وشخصيته الانتقامية صحيح، ومثال لشخصيته المشوهة التي عبر عنها سينيكا حقًّا هي تلك الحادثة التي تقشعر لها الأبدان التي أعدم فيها زوجته ميسالينا، ثم يسأل بعد ذلك لماذا لم تأتِ إلى مائدة العشاء؟

لقد كان سينيكا على صواب فيما رآه في شخصية كلاوديوس، فهو يقلل من قدرته العقلية ومهارته السياسية.

وأما عن بطل الرواية الآخر في العمل وهو نيرون – في سن السابعة عشرة– فقد بدا وسيمًا للغاية وواعدًا. وقد كان جليًّا شغفه بالتمثيل والغناء، وهذا ساقه لاحقًا لمسائل وخيمة، ومقارنة سينيكا لأبوللو هي واحدة من الأمور التي راعاها نيرون في العملة المعدنية والرموز العامة. وقد كان له نصيب من الشر الأخلاقى مع أم مثل أجربيانا وزوج أم مثل كلاوديوس، وربما كان يتآمر لقتل منافسه بريتانيكوس، وسوف تكون أمه واحدة من أهدافه العديدة اللاحقة، والتي سوف يجد صعوبة في التخلص منها، والتي سبحت شوطًا طويلًا لتعود إلى الشاطئ وهو يعتقد أنها غرقت في الخليج.

وربما قد شهد سينيكا الصديق والمعلم والفيلسوف الأخلاقي بوادر هذه الكارثة على نيرون، وطالما بقي سينيكا وبوروس على رأس الحكم فقد عرفت روما الحكم الرشيد، وقد عُرفت فترة خمس سنوات هذه 'الرفاهية النيرونية *quinquennium Neronis* ' بأنها أعظم فترات الإمبراطورية، لذلك كان سينيكا محقًّا بالترحيب بالعصر الجديد– شريطة أن يكون شريكًا فيه. ولكن بعد أن رأى في وقت لاحق أنه ليس بمقدوره كبح تجاوزات نيرون تقاعد عن السياسة، وهي محاولة تصدى لها نيرون ببراعة، ويبدو في هذه الفترة وهي فترة المأزق السياسي أنه قد تآمر على حياة نيرون، فقضى نيرون عليه بالانتحار، وتُوفي عام ٦٥م بطريقة تحاكي موت سقراط، وقد لاحت هذه الأحداث الكئيبة في الطريق منذ عام ٥٤م، وليس من العبث ولا المكر أن يدَّعي المتحدث في الكتاب أن هناك حقبة جديدة أفضل قد بدأت.

مختصر

رغم أن كتابنا موجز إلا أنه مركب، لذا فإننا في حاجة إلى العمل قبل السؤال عن كل ما يعنيه.

يقدم المتحدث المجهول الموضوع واصفًا نفسه بالمؤرِّخ، وهو يناقش دليله(١) بعد أن أعطى وصفًا شعريًّا بيانيًّا للتاريخ والزمن يقر هذه الحقائق في النثر – ثم يعود للشِّعر مرة أخرى وهو يقترب من موضوعه موت كلاوديوس(٢) يتحدث ماركوري *Mercury* رسول الأرباب إلى الأقدار ويتوسل إليهم ليمنحوا كلاوديوس وروما فرصة بأن يسمحوا له بالموت، وتتذمر كلوثو *Clotho* لأنها أرادت أن تمنح كلاوديوس وقتًا لتمديد المواطنة الرومانية في أنحاء العالم كله، ولكنها تتنازل، ومنحته الموت في المستقبل القريب(٣). ويتبع المقطع الشِّعري الرصين وصف التغزل في الأقدار: حيث قطعت خيط كلاوديوس وتتفجر حياة جديدة رائعة: خيط من الذهب الثمين، ويدشن عصراً ذهبيًّا جديداً، ويغيث أبوللو العمل وهو يلاحظ أن الشخص المقصود يتشابه مع نفسه في الملامح والنعمة، لقد بدأ عصره بالرخاء والالتزام بالقانون، وتضاهى بالنجوم والشمس، ولُقِّب بالقيصر نيرون، ومنحت لاكيسيس *Lachesis* وهي نوع من الأقدار سنوات إضافية عدة، وحكمت على كلاوديوس بالموت، وكان هذا بينما يستمع لبعض الممثلين الهزليين، وكانت كلماته الأخيرة بعد الضجيج العالي: «من هذا الجانب

الذي يجده أيسر للتواصل»، والعبارة الخالدة «أعتقد أيتها السماوات الخيرة أنني دمرت نفسي»، ويعلق المتحدث «حسنًا، لا أعلم هذا، ولكنه من المؤكد أنه حطم كل شيء آخر»(٤). يقول المتحدث إنه ليس بحاجة لمزيد من الحديث عما سيحدث في الأرض، حيث لا أحد يغفل السعادة، ويتلقى جوبتر في السماء رسالة مفادها بأن شخصًا أعرج قد وصل، فيهز رأسه ويتكلم بطريقة غير مفهومة، ويرسل هيروكليس ليتعامل مع المسخ الجديد، ويتراجع هيروكليس، فهذا الوحش لا مثيل له على الإطلاق، ويستحضر هوميروس في اليونانية ويسأل عن أصل الزائر، وكلاوديوس سعيد، فالحديث سيطول أنشطته العلمية والتاريخية، ويجيب، ويستشهد بهوميروس مرة أخرى ليوطد أصوله الطروادية(٥). وتظهر الآلهة حماسًا بالغًا الآن، وتقول لهيروكليس إن الحكاية كلها أكاذيب، فالرجل ولد حقًّا في ليون في الغال، ويشعر كلاوديوس بالغضب، حيث أُسيء فهم إشارته اللطيفة إلى قصة إينياس *Aeneas*، فقد كان يغمز ويهز يده بالطريقة التي اعتاد أن يقوم بها عندما يأمر بضرب العنق، ولا أحد يكترث له(٦)، استعمل هيروكليس لهجة صارمة وأمر كلاوديوس بأن يقص أصوله، وهذه المرة بالنظم اللاتيني، ويدرك كلاوديوس بأنه لا يحتفظ بسلطانه الأسمى في هذا المكان الجديد، ويتحدث الآن بأدب جم، ويسأل هيروكليس ليكون كفيله أمام الأرباب الأخرى.

وبعد فجوة في النص المنقول التي قد يتضح خلالها أن هيروكليس وكلاوديوس قد اقتحما مجلس سوناتو الآلهة، ويطرح رب غير معروف الاسم بعض الأسئلة، أي نوع من الآلهة يكون كلاوديوس؟ من المؤكد ليس إلهًا أبيقوريًّا لأن هذا الإله «لا يزعج نفسه، ولا يزعج الآخرين»، هل هو إله رواقي؟ لكنه ليس كرويًّا، وينبغي أن يكون جوبتر أحد الذين قدموه؟ ولكن كلاوديوس قتل صهره لزنا المحارم، وجوبتر لا يحب هذا، حيث إنه هو في علاقة زنا المحارم، أضف إلى هذا هل بمقدور رجل مثل كلاوديوس فعل أي خير لأي أحد؟ إنه لا يعرف

حتى ماذا يفعل في غرفة نومه(٨). ومن ثم يدرك جوبتر أن هذا النقاش عن الاقتراح لا ينبغي أن يدور مع الزائرين الحاضرين، مما جعل هيروكليس وكلاوديوس يغادران، ويتحدث جانوس *Janus* بوضوح بما يتناسب طبيعته المزدوجة، على أي حال ينتهي هذا اليوم إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يكون إلهًا، ويتحدث ديسبيتر *Diespiter* لصالح كلاوديوس، وهيروكليس يعد الغرفة والطبل يدق(٩).

ومن ثم ينهض الإمبراطور أوغسطس الإلهي ليتحدث، ويوجه لائحة اتهام لكلاوديوس لأنه قتل الناس ظلمًا وبقسوة، ويتحول من الشرور العامة إلى معاناة عائلته: حيث قتل كلاوديوس جولياس الثاني *the two Julias* حفيدة أوغسطس العظيم، وقتل سيلانوس *L. Silanus* حفيده، ولم يفحص القضية أو يستمع إلى الشاهد، ولم يسلك الآلهة مسلكه، وأسوأ ما فعله جوبتر على الإطلاق هو كسر ساق فولكان *Vulcan* وشنق زوجته، وعلى النقيض قتل كلاوديوس زوجته ميسالينا، ثم يسخر أوغسطس من جسد كلاوديوس قائلًا ربما يأخذه جسده على محمل الجد كإله، ويفترض حلًّا بأن يرحل كلاوديوس عن السماء ويُعاقب بشدة.

وينتزع ماركوري كلاوديوس من رقبته ويجره للعالم السفلي (١٠-١١)، وفي طريقهم للأسفل يمرون بجنازة كلاوديوس، وأدرك كلاوديوس أنه تُوفي، والجميع سعيد للغاية – الجميع باستثناء محامي المحكمة، وتُغني ترنيمة جنائزية تُشيد بكلاوديوس، وهو سعيد بالثناء عليه ويعمي بالسخرية فيها، وعند وصوله للعالم السفلى حيَّاه نارسيوس *Narcissus* الطليق (وهو سكرتير كلاوديوس الذي أجربته أجربيانا أم نيرون على الانتحار بعد مقتل كلاوديوس بوقت قصير، وذهب للعالم السفلي قبل كلاوديوس بسبب جولة كلاوديوس في السماء)، ويشعر ناسيوس بقلق بسيط في سيربيريوس *Cerberus*؛ لأن الكلب الذي يحرس أبواب هاديس *Hades* لا يشبه كلبه الأبيض الصغير في المنزل، ويستقبل سكان الجحيم كلاوديوس بهتافات من عبادة إيزيس، وعلى رأسهم الممثل الراقص منيستر

Mnester الذي قتله كلاوديوس ليُسعد ميسالينا، وتجمَّع حشد كبير، ويسعد كلاوديوس لرؤية أصدقاء عدة، ويلفت أحد الأصدقاء الانتباه بأنهم وصلوا إلى العالم السفلي لأن كلاوديوس قتلهم جميعًا، ويقترح بأنهم يذهبوا إلى المحكمة (١٢-١٣).

ويُأخذ كلاوديوس إلى قاضي الجحيم أيكوس *Aeacus*؛ لأنه متهم بجرائم قتل لا تُحصى، ولم يجد محاميًا يدافع عنه، ليفسد الادعاءات عليه، ونجح الادعاء وتناقش العقوبة: فهل يحل كلاوديوس مكان سيزيف *Sisyphus* وتانتالوس *Tantalus* أو إكسون *Ixion*؟ لا، يجب أن تُستنبط بعض المهام العقيمة التي ناسبت حياته، فقد أمر بلعب النرد، وصندوق النرد مثقوب، وقررت العقوبة بشكل شاعري، ثم يظهر جايوس قيصر(كاليجولا)، ويطلب من كلاوديوس أن يكون عبده، ولُبيت رغبته، وعُين كلاوديوس موظفًا قانونيًّا لتقديم الالتماسات لجايوس *Gaius's freedman Menander (14-15)*.

* * *

التأليه وآراء سينيكا الفلسفية

كيف يرتبط النص الذي نحن بصدده بالرواقية؟ وفقًا لآراء سينيكا الفلسفية التي عُبر عنها باتساق في بقية أعماله النثرية، ينبغي للأخيار أن يولوا أهمية فحسب لإرادتهم وأغراضهم الأخلاقية، وأما الأحداث الخارجية التي تكمن في مجال الصدفة فليست موضوعًا لتعلقنا المتحمس، ولهذا السبب فإن الرواقي الذي يعيش حقًّا ليس لديه أسبابٌ للحزن والغضب والخوف أو حتى الأمل؛ فكل هذه الأشياء تضلل العقل وهي تكمن في التعلق بعوارض الحياة. ويعترف سينيكا مرارًا بأن تطوره الأخلاقي غير مكتمل، ولكن يقدم نفسه في كل مكان مناضلًا لتحقيق المعايير الرواقية، وهذه القواعد رخصة للسخرية – ولكنها نوع مستقل تنظر في الحمقى الذين يتعلقون عبثًا بالأشياء الخارجية (كما في الهجائية العاشرة لجوفينال)، وما الروح التي تحفز نصنا؟

كيف يقدم المتحدث نفسه؟ وما نوع الجمهور الذي يخاطبه؟ إنه ضليعٌ في السياسة، والاستعمال الساخر للمعاني التي تصادف جمهوره الضالع أيضًا بالسياسة، ويتطور الانطباع حين يخبرنا أنه تلقى القصة خفية من امرئٍ له تجربته مع غموض مجلس الشيوخ. فهو يتوقع أن يعرف جمهوره قصة صعود دروسيلا *Drusilla* المزعومة، وهي عينة من النَّمِّ في عصر كاليجولا، ويضع كل هذا المتحدث وجمهوره مباشرة داخل العالم السياسي في ذلك الوقت بدلًا من أن يبتعدوا عنه، ويسخر المتحدث في الوقت نفسه من لغة التأريخ واحتجاجها على الحقيقة خالية التحيز، ويتوقع أن جمهوره على دراية بهذا النوع من الكتابة أيضًا

حتى لو ذهبوا للمزاح (والمزاح ما تجعله عاطفة وانحياز لكلاوديوس ويُقدم على أنه حقيقة واضحة بسيطة، أو يحتمل أن تكون كذلك).

وهذا الحضور للذات لا يتعارض مع الرواقية، ولكن السخرية مما هو رسمي وتاريخي بهذه الطريقة المفعمة بالمرارة غير معروفة في المنهجية الرواقية، وزد على ذلك الاتجاه المتعالي تجاه جمهوره واستعماله للابتذال بجانب الأسلوب الرفيع الحاضر لا يوحي بالرزانة، ويمنح الخليط الهيولى للأساليب انطباع برش فوران من زجاجة عندما يسحب منها الفلين: حيث قد انبعث من الحرية خليط عشوائي من المشاعر.

والملحوظ من بين هذه المشاعر الجموح، الجموح تجاه ماذا؟ تجاه أي قيود على الصديق السياسي قبل كل شيء، ويقدم المتحدث نفسه محتفلًا بنهاية الطغيان الذي منعه من الحديث بحرية – مثل شخص يهتم بالسياسة والتغيرات التي تجلبها، ولا تقول الرواقية الرشيدة «أعلم أنني قد عتقت من اليوم..........» كما تصر الرواية على أن الحكيم حرٌّ دومًا، وإمكان الحرية في أي شخص بغض النظر إلى الظروف، وتعلمنا الرواقية أن حريتنا الحقة عقلية، ولا تعتمد على موت أحمق بأي حال.

ثم نأتي لمسألة تاريخ «١٣ أكتوبر عام جديد لعصر السعادة العظمى»، وهذا تقسيم زمني للرواقية، فالسعادة بملكنا في كل زمن، ليس لها بداية ولا نهاية، لا تبدأ بموت أحمق ومجيء القيصر نيرون، كما تعبر الأجزاء الجريئة في المفتتح عن بعض الانفعالات غير الرواقية في جو من الغضب والحقد والاحتفال، لذا تعبر هذه العبارة عن شعور لا يمكن أن يطلق سوى الأمل. وترفض الرواقية الاعتراف بالانفعالات؛ لأنها رفيقة الخوف، فتجرع الأمل من التوق لعوارض الحياة.

والعمل كما لاحظنا قد تداول بعد فترة وجيزة من موت كلاوديوس، وما من

دليل على الإطلاق على أن العصر الذي دشنه هو حقًّا عصر سعادة (وبالطبع لم يكن)، فلتسميه التعلق بأشياء غير يقينية، كما قلنا: هناك بعض أسباب للتفاؤل وأيضًا أسباب عدة للخوف، ربما يعبر المتحدث عن أمل سينيكا ورفيقه بوروس من إمكان السيطرة على نيرون وأمه.

إن كتاب العفو الذي كُتب في فترة كتابة هذا العمل يفترض الاتجاه الرواقي موقفًا تجاه مستقبل نيرون، حيث يعطيه نصيحة أخلاقية ويخول له الأمر لاتباعها، وهي ألَّا تدع رفاهيتك تعتمد على اختياراتك. وفي هذا الكتاب على النقيض لم نسمع نصيحة تُعطى من موقف الثبات، ولكن تكهن غير حصيف عن مستقبل كل الرومانيين بما فيهم المتحدث ذاته، وطابع من الاحتفال عن هذا الاحتمال، وهذه ليست مشاعر رواقية، والحقيقة أن الرواقية تحث على التأمل المستمر للأشياء الرديئة التي قد تحدث، حتى لا نقع في فخ الأمل بالتحديد.

إن مفتتح العمل يشير بالفعل إلى سيكولوجيا غير رواقية، ونجد بالانتقال إلى جسد النص قراءة رواقية أصيلة ساخرة: حيث معاملة كلاوديوس الساخرة، ومعاقبة إسقاطاته الخلقية والجسدية، وطرد الأرباب له، ومحاكمته ومعاقبته، لذلك أعتقد أنه بعد أن خاطب العمل في مفتتحه نيرون والتزامه بالمشاعر العامة، تحول إلى سجل رواقي حقيقي، ودعنا نتساءل ما الاختلاف لو كان العمل رواقيًّا قُحًّا؟

أولاً: إن الهجوم على كلاوديوس مقتضب، وكان لدينا شعور حسن من سوء كلاوديوس كمثال، كما استعمل سينيكا جايوس قيصر (كاليجولا مثالًا في كتاب عن الغضب)، ولكن بعد ذلك نبتعد عن المشاعر الأخلاقية العامة، وكان كلاوديوس هو محرك العمل على طوله، وقصة العمل هي مفاجأة رفضه، وانتباه المتحدث لكلاوديوس مفتون ومسحور ومشمئز– وهي مواقف مفهومة للمتحدث

والجمهور اللذين عاشا مع هذا الرجل سنوات عدة بائسة، ومشاريعهم النادرة التي أعاقتها حماقته، وقتل أقاربهم لنزواته الظالمة، وضياع حياتهم لقسوته وغبائه. وبمقدورنا أن نتخيل هذه المشاعر في وقت يتغير فيه النظام، وعندما يرحل قائد لا يحظى بشعبية. والحقيقة أن معرفة هذه المشاعر هي طرف كبير لجعل النص لا يزال مضحكًا الآن بعيدًا عن لحظته التي كُتب فيها.

وما هو واضح أن المتعة التي يمنحها العمل لهذا التركيز المفتون هي غير رواقية بالمرة، وجمهورها مركَّب من أشخاص يهتمون بالسياسة – الذين يشعرون بالكراهية والاشمئزاز والحزن على القتلى، ويأملون في زمن أفضل قادم، ويصور سينيكا نفسه في أعماله الفلسفية على أنه رجل لديه ميل قوي للغضب، وهو ما يجب عليه أن يكافحه ليسيطر عليه، ويصور نفسه في كتاب الغضب -المكتوب ٤٣م حتى العظات الأخلاقية المكتوبة ٦٣-٦٤م- بأنه يواجه صعوبة في السيطرة على انفعاله نحو الإهانات والعمر وهلم جرا، ولا يشفيه تفحصه لذاته، ويستمر في النضال ضد الانفعال الأساسي، ونرى في كتاب التأليه انفجارًا مبهجًا للغضب غير المقيد بأي تأمل رواقي، ويغرس العمل ويلبي انفعالات الغضب المتشابهة في جمهوره.

ثانيًا: إن صورة الأرباب في العمل ليست رواقية تمامًا، وتصرف هيروكليس وفيفير *Fever* مثير للسخرية- ولكن جوبتر ذاته منسي ومرتبك وقائد وحاكم رديء، وهذا غير مقبول، وأقرب للكفر بما هو ممكن في العالم الرواقي، حيث يمثل زيوس (جوبتر) العقلانية الكاملة وأخلاق الكمال.

ثالثًا: إن المركز الأخلاقي هو كلام أغسطوس، إنه جاد وإلهي ومعجب، ولكن أي حالة من الذهنية كان عليها أوغسطوس كما صُورت؟ إنه غاضب حتى لا يستطيع أن يحتوي ذاته، ويشعر بالخجل أيضًا: ويقول إنه يشعر بالخجل

أمام المنصب الذي صنعه بذاته عندما يرى أنه شغل منصب كلاوديوس، ويُصور الغضب والخجل كردود فعل مناسبة تمامًا لقتل كلاوديوس أقارب أوغسطوس، وسينيكا متورط أيضًا؛ لأن أحد قتلة يوليوس الاثنين هو يوليا الذي اتهم باقتراف جريمة الزنا، والذي من أجله فقد حياته، وسواء أكانت هي الحقيقة في القصة أم لا، فإن القراء يفترضون أن المؤلف غير مكترث لمصيرها.

وليس عزو الغضب لأغسطوس بأي حال أمرًا يحتاج إلى صحة تاريخية، فقد عُرف أوغسطوس بالعفو وضبط النفس، ويُقدَّم في كتاب عن الغضب مرارًا على أنه مثال حسن لعدم الغضب. وكذلك كاليجولا مثال سيئ لعدم ضبط الغضب رغم طبيعته المعتدلة، وكيف للمرء ألا يغضب ممن قتل كثيرًا من أقاربه وتجاهل القانون بمزيج من الوقاحة والغلظة في الحكم برمته؟ وقد يُقدم سخطه على أنه إنصاف وعقلانية، ويقبل العمل التقييم البسيط لهذه الأحداث الخارجية، ويؤيد الغضب باعتباره استجابة عقلانية لأهميتها.

رابعًا: ليس هناك عفو في الكتاب، بل نبذ فيه العفو بالفعل، والعمل تالٍ لكتاب عن الغضب بدفاعه البليغ عن إدراك العفو للإخفاقات الإنسانية، وقد كُتب أيضًا متزامنًا بفترة وجيزة أو تزيد مع كتاب عن العفو الموجَّه إلى نيرون الذي يتضمن مذهب سينيكا برمته عن العفو، حيث يعد العفو طرفًا هامًّا عند الرواقية الرومانية تمشيًا مع القيمة التي يوليها الرومان لفضيلة العفو، ولا يُظهر كتابنا أي عفو على الإطلاق لتشوهات كلاوديوس، وليس من محاولة لتوضيح أنه ناتج عن ظروف قاهرة لحياة الإنسان أو عن حماقات ثقافة فاسدة بعينها، وزد على ذلك عندما تُفرض العقوبة من قبل إيكوس ينجلي عدم العفو، فروح العمل لا تعفو كما يليق بالخيال السياسي المتشبع بالغضب بل لا تليق برواقية سينيكا.

خامسًا: هناك تركيز لنوع من السعادة يركن إلى الصدفة، وقد رأينا هذا التوكيد في

المفتتح، ولكن توضح صورة جنازة كلاوديوس «أن الجميع مبتهجون وسعداء، وأن الرومانيين كانوا يتجولون كالأحرار»، بالطبع يمكن أن يحتوي النص الرواقي على مثل هذا السرد، ولكن قد أُتبع بتفكير عن خيلاء الآمال الدنيوية، وإنكار أن ما كان يختبره هؤلاء الناس كان هو الحرية والسعادة الحقة (وهذه هي الطريقة التي تعمل بها هجائية جوفينال السعادة الدنيوية، فالهجائية العاشرة ثابتة في العمل الرواقي).

وأخيرًا: في قلب العمل تعبير مربك عن الأمل، وثناء شعري ليس فكاهيًّا لنيرون، ومحاولة فهمه بهذه الطريقة تتعارض مع جمال الشِّعر (الذي يعكس صدى فرجيل في أنشودة الرعاة الرابعة، ونبوءتها بالعصر الذهبي)، والدليل السياقي المسهب بأن الأمل في مستقبل عظيم قد عُبر عنه بفيض ومشاعر متقدة في زمن تنصيب نيرون على العرش، فمن بمقدوره أن يتحدث عن الحالة الذهنية لحياة المؤلف الواقعية بما هي وهو يؤلف هذه السطور والتي يعلن فيها أبوللو أن نيرون يساويه في الموهبة والجمال؟ وأيًّا كانت حالة الوصي الجديد على العرش، فإن النص ذاته يُعبر بجرأة عن أمل في حقبة سعادة وثقة في رجل قد ملكها في سلطانه ليحققها، في الوقت نفسه قد يُنظر إلى الأمل في جمهوره المقصود على أنه هش، ويجب أن يكون الأمل الهش ونيرون ذاته طرفًا من هدف النص الرواقي الأصيل، بدلًا من الأمل الحقيقي والصورة المستقيمة كلية لفضائل نيرون.

العمل إذَنْ ليس رواقيًّا في تركيزه على الاشمئزاز، إنه يتضمن النزعة الأولى للرواقية، والمتحدث يلفت الانتباه بالاشمئزاز المتدفق لجسد كلاوديوس، ثم يبني توازنًا بين خلل جسده والجسد السياسي: فكلاهما قد يُحطم بسبب أمور خارجة عن كلاوديوس، ومن ثم فإن المشهد السياسي كريه ومقزز.

ويعبر الاشمئزاز عن كراهية ورفض للمادة أو الشخص باعتباره كراهية ممكنة للذات، وقد عثر البحث التجريبي عبر الثقافات – خاصة العمل الهام لعالم النفس

بول روزين *Paul Rozin*– على اتساقٍ ملحوظٍ في المحتوى المعرفي للانفعال عبر المجتمعات. ويرى روزين بأدلته التجريبية أن الاشمئزاز ليس مجرد نفور، لأن الجوهر ذاته أو الرائحة ذاتها تثير رد فعل مباين للاشمئزاز يعتمد على تصور موضوعي للموجود: على سبيل المثال سواء أكان يعتقد أن الرائحة من براز أم من جبن، ويختلف الاشمئزاز عن الخوف من الخطر؛ لأن الحيوانات المثيرة للاشمئزاز تظل كذلك حتى بعد زوال خطرها المحتمل. وأضف إلى ذلك قد يتفشى الاشمئزاز عادة من 'الموضوعات الأولية'– المخلفات الجسدية والأجسام المتحللة– للناس والفئات التي تُرى على أنها غير مكترثة، ويلوثون صفاء النفس حتى لو كان هؤلاء لا يشكلون أي خطر للنفس.

ومن ثم فإن للاشمئزاز ديناميكية مختلفة عن الغضب، فميل الغضب يسجل الألم الحاضر ويخطط لخير المستقبل، ولكن خير المستقبل انفصال ونبذ وليس تقويمًا (هدف الغضب كما وُصف من التحليلات الرواقية وغير الرواقية). ويرغب الشخص المشمئز في أن يبتعد عن الشخص المثير للاشمئزاز أو الشيء، سواء بإبعاد نفسه أو إبعاد الشيء ذاته.

ولنفرض أننا الآن نفكر في الغضب والاشمئزاز في السياسة، فغالبًا ما سنغضب من سياسيينا، وغالبًا ما سنشعر بالاشمئزاز أو ننفر مما هو سياسي أو مجموعة السياسيين، ونحن نقول «مشمئز» و نرغب في القيء، وهذان ردا فعل متمايزان في الأهمية، ونركز في الغضب على الفعل أو الأفعال الخاطئة، ونقول «ينبغي ألا يحدث، ويستحق المرء العقاب» ونعتزم التقويم أو تصويب التوازن، وفي اشمئزازنا نقول: «يخ *Yuck* أخرجني من هنا»، ونعتبر سياسيينا ملوثات قذرة ونرغب في الابتعاد عنهم، سواء بقذفهم على كومة قمامة أو – إن لم يمكن هذا– إخراج أنفسنا من السياسة. والاشمئزاز في عالم السياسة يؤدي إلى النقاء، وهذا ما لا يُقدِّمه عالم السياسة.

وليس للاشمئزاز أصل نظري في الفكر اليوناني والروماني، ولكن دراسة روبرت كاستر *Robert Kaster* الهامة عن الاشمئزاز *fastidium* تمكننا من فهم السمات المميزة للاشمئزاز الروماني، حيث درس كاستر كل تكرارات المصطلح وارتباطاته في اللاتينية الإمبراطورية والجمهورية، ويرى كاستر أن المصطلح انتُفِي من مقولتين للتجربة الانفعالية مختلفتين تمامًا، أحد نوعي الاشمئزاز قد وصفته للتو: حيث نفور قوي من فكر الملوث كما يشير كاستر والذي تدعم مادته حجج علم النفس الحديث، فالاشمئزاز لموضوعات أولية بعينها ولكن الاستجابة نفسها تمتد غالبًا إلى الناس الذين يُنظر إليهم على أنهم غير مكترثين.

ما هو مميز في الترتيب الروماني هو أن المصطلح نفسه *fastidium* يُعيَّن لتجربة مختلفة أخرى أيضًا يجعله أقرب إلى تجربة الاشمئزاز أكثر من أي ثقافات أخرى، وهذا ما يُطلق عليه كاستر 'التصنيف التداولي'. فمصطلح *fastidium* يتضمن التفكير في شيء أو شخص وهو دون شيء آخر، إنه قريب من الازدراء لكنه ليس بحاجة إلى احتقار، ويخلق ارتباطات هامة للغاية بين نوعي الازدراء *fastidium*، وفي بعض الأحيان تقود التجربة الأولية الجسدية لامرئ إلى تصنيف الشيء أو الشخص بأنه متدنٍّ، وفي أحيان أخرى يقود التصنيف الأولى للتدني إلى إلصاقه بالشخص أو بشيء له خصائص مشمئزة معروفة.

إن نظرية الاشمئزاز تضيء ديناميات نصنا، أولًا: التصنيف المتدني لكلاوديوس يقود إلى إلصاق الرائحة الكريهة الناتجة عن بوله به، فكل البشر يغيطون ولكن عنده الأمر مختلف، ويمكن أن يقال بسبب تغوطه وقسوته إنه أفسد كل شيء. ومع ذلك يوضح نصنا في هذا الصدد على الأقل بداية لنقلة أخرى؛ حيث إن حقيقة الخيرات السياسية قد طغت على كل شيء تؤدي إلى اتجاه التقليل من هذه الخيرات على الأقل، والاشمئزاز منها نوع من الترتيب التداولي، وبالطبع التصنيف المتدني لخيرات الحظ هو بالضبط ما تُوصي به الرواقية، والتصنيف

المتدني ليس ثابتًا في النص باعتباره ظاهرًا للعيان. وقد يُعرض خيال النقاء على جسد نيرون الآن، ويصير نيرون موضعًا لأمل مستحيل لوجود سياسي غير ملوث، ولكن المتحدث التقط نفسًا قصيرًا متخذًا الخطوة الأولى خارج العالم بقوله: "ما الذي يحطم كل هذه السياسة"، وقد أخذ الخطوة الأولى نحو تقليل هذه التقييمات بطريقة فعليه ومنهجية- ليس فقط لكلاوديوس بل لروما والإمبراطور والتحول السياسي ذاته. ويمكن للمرء في معايير العالم الرواقي أن يعيش بلا اشمئزاز كما هو الحال دون غضب وخوف، ولكن الاشمئزاز يعين المرء على أن يبدأ ليتحرك في اتجاه هذا العالم.

ومن ثم هذا الهجاء هو عمل لسينيكا يظهر فيه لنا التاريخ: حيث يقود التعقيد والغموض والغمر والنفور السياسي المغالي المرء الذي أحب الفلسفة الرواقية وصارع طوال حياته بولاء مزدوج، وبالنظر إلى بذور التحيز الرواقي في العمل، فإن سينيكا طلب لاحقًا أن يُعفى من واجباته ولم يكن ذلك مفاجأة، وكذلك الطريقة الكريمة والسقراطية لانتحاره في نهاية المطاف، فلا يزال الهجاء غارقًا في عالم 'الخيرات الخارجية' وهي تتحرك في هذا الاتجاه.

* * *

شكر وتقدير

إنني مدين بالفضل إلى كاتلين كولمان ومارجريت جريفر، وزملائي المحررين على التعليقات المفصلة، وكذلك جيفري جارلاند وكاترين كيرن لمساعدتهما البحثية القيمة وأفكار جيدة عدة.

مزيد من القراءة

Eden, P. T. Seneca: Apocolocyntosis. Cambridge: Cambridge University Press, 1984 (with fuller bibliography).

Weinreich, Otto. Senecas Apocolocyntosis. Berlin: Weidmannsche Buchhandlung, 1923.

Braund, S. and James, P., "Quasi Homo: Distortion and Contortion in Seneca's Apocolocyntosis," in Braund, S. and Gold, B. eds., Vile Bodies: Roman Satire and Corporeal Discourse, Arethusa 31 (1998), 285–311.

Coffey, Michael. Roman Satire. London: Methuen, 1976. Champlin, Edward. Nero. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003.

Freudenberg, Kirk, ed. The Cambridge Companion to Roman Satire. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

Griffin, Miriam T. Seneca: A Philosopher in Politics. Oxford: Clarendon Press, 1975.

———. Nero: The End of a Dynasty. London: Duckworth, 1974.

Kaster, Robert A. "The Dynamics of Fastidium." Transactions of the American Philological Association 131 (2001), 143–89.

———. Emotion, Restraint, and Community in Ancient Rome. New York: Oxford University Press, 2007.

Leach, Elinor Winsor. "The Implied Reader and the Political Argument in Seneca's Apocolocyntosis and De Clementia," Arethusa22 (1989), 197–230.

Levick, Barbara. Claudius. New Haven and London: Yale University Press, 1990. Momigliano, Arnaldo D. Claudius, the Emperor and his Achievement, tr. G. W. D. Hogarth. Oxford: Clarendon Press, 1934; reprinted with added material, Cambridge: Cambridge University Press, 1961.

Nussbaum, Martha. "Equity and Mercy." Philosophy and Public Affairs 22 (1993), 83–125; revised version in Nussbaum, Sex and Social Justice. New York: Oxford University Press, 154–83.

———. The Therapy of Desire: Theory and Practice in Hellenistic Ethics. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1994; updated edition 2009.

———. Hiding From Humanity: Disgust, Shame, and the Law.

Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004.

———. "Stoic Laughter: A Reading of Seneca's Apocolocyntosis," in Bartsch, S. and Wray, D., eds., Seneca and the Self. Cambridge: Cambridge University Press, 2009, 84–112.

———. "Philosophical Norms and Political Attachments: Cicero and Seneca," in D. Frede, ed., Body and Soul in Ancient Philosophy. Berlin: De Gruyter, 2009, 425–44.

O'Gorman, Ellen. "Citation and Authority in Seneca's Apocolocyntosis," in Freudenberg, 95–108. Eden, P. T. Seneca: Apocolocyntosis. Cambridge: Cambridge University Press, 1984 (with fuller bibliography).

تأليه كلاوديوس المقدَّس

أود أن أسجل الإشارات التي صدرت في السماء عن الثالث عشر من أكتوبر[١٨٠] في العام الجديد الذي بدأ فيه عصر للسعادة القصوى، ولم أحمل بغيضة لمحاباة أو حقد: بل الحقيقة الموضوعية فحسب، وإن سألني امرؤ ومن أين تحصلت على معلوماتي- قبل كل شيء، إن لم أشعر بها فلن أجيب، فمن سيجبرني؟ أعلم أنني قد أُعتقت من اللحظة التي قابل فيها نهايته- ذلك الرجل الذي كان دليلًا حيًّا على القول المأثور «فالمرء قد يولد إما ملكًا وإما حقيرًا»، وإن كنت أشعر بالرغبة في الرد، فسوف أقول ما أرتضيه[١٨١]، فمَن طلب مؤرِّخًا ليكشف مصادره؟ ولكن لا يزال، وإن كنت مضطرًّا لتحديد مصدرى فاسأل الرجل الذي شاهد دروسيلا *Drusilla*[١٨٢] وهو يصعد للسماء، وسوف يقول الرجل نفسه إن كلاوديوس سلك الطريق ذاته 'بخطوات غير متكافئة'[١٨٣]. وسواء أكان يريد ذلك أم لا، فعليه أن يرى كل شيء يصعد للسماء، حيث إنه مسؤول عن طريق أبيان *Appian* الذي صعد فيه كل من أوغسطوس الإلهي والقيصر تيبيريوس إلى

---

(١٨٠) لغة مجلس الشيوخ الرسمية.

(١٨١) حرفيًّا " كل ما يأتي على فمي"، ولكن الكلمة للفم **buccam** مبتذلة تمامًا، وهي شائعة في الاستعمال العامي، ولكنها غير مقبولة في الاستعمال الأدبي والصحفي.

(١٨٢) جوليا دروسيلا (**Julia Drusilla17–38 CE**) كانت لها بأخيها السفاح جايوس (كاليجولا) لسنوات عدة، وعند وفاتها رثاها بحرقة، وصُوِّت على ألوهيتها، وأقسم سيناتور يُدعى لوكيوس جيمينوس **Lucius Geminus** اليمين أنه رآها تصعد إلى السماء، وأنها استقرت مثل بانثيا **Panthea** .

(١٨٣) وردت كلمة غير متعادلة **Non passibus aequis** في إنيادة فرجيل **Virgil Aeneid** ٢,٧٢٣ حيث استعملها ليصف خطوات آنيوس الابن الأصغر ليوليوس، أي خطواته «غير متكافئة لوالده البالغ»، وسينيكا يحول العبارة إلى مزحة على عرج كلاوديوس، حيث خطواته غير المتكافئة لبعضها.

الألهة كما تعلمون. وإذا سألته، فسوف يخبرك سرًّا، ولن ينطق بكلمة والناس حوله؛ لأنه بعد أن أقسم في السوناتو أنه رأى دروسيلا يصعد إلى السماء- ورغم هذه المعلومات المفيدة لم يصدقه أحد- فأقسم أنه لن يقول شيئًا مطلقًا حتى لو رأى.

الرجل الذي قُتل في وسط المنتدى، ماذا سمعت منه في هذا اليوم؟ سوف أروي بمصداقية ووضوح - ويقينًا أتمنى له المعافاة والسعادة.

رسم فوبيوس *Phoebus* القوس من نوره

وسلك مسارًا أقصر نحو العمق

وطالت ساعات الظل النائمة

وادعت ثينثيا النصر

وقد زاد إمبراطوريتها الشتاء القبيح

وقطف الخريف اليانع الأمجاد السعيدة

وصاحب الكرم يخبر باخوس بالعمر

فمضى يقطف حبات العنب المتبقية[١٨٤].

أعتقد أنك سوف تفهمني إذا قلت: إنه يوم الثالث عشر من أكتوبر، ولا أستطيع أن أخبرك الساعة الدقيقة (فمن الأيسر أن يقبل الفلاسفة بما هو أكبر من الساعات!) ولكن كانت لا تزال الساعة ما بين الظهيرة والواحدة بعد الظهر «وهذا وقت فج للغاية، وفكر في الأسلوب الأدبي: حيث لا تروق قناعة الشعراء في وصف شروق الشمس وغروبها، وهم يتطفلون في هذا الوقت على مآدب غدائنا،

---

(١٨٤) تفعيلة سداسية، وهي تقريبًا فيرجيلية الإملاء.

فهل سيتفقدون هذه الساعة الجذابة؟».

وقد تجاوزت عربة فيبيوس

منتصف فلكه نحو الليل

وهز خصره المنهك وحنَّى نوره

وانحنى منحدرًا على طول مساء مائل.

وتنفس كلاوديوس، ولكنه لم يجد مخرجًا.

ومن ثم نحا ماركوري الذي كان سعيدا دوما بكلاوديوس أحد الأقدار الثلاثة جانبًا وقال: «أنتِ امرأة قاسية قح! لماذا تسمحين بتعذيب الرجل الفقير؟ ألا تمنحيه راحة من معاناته؟ لقد قضى الآن أربعة وستين عامًا يناضل فيها مع حياته، لماذا تحقدين عليه وعلى الجمهورية؟ دعي للمنجمين حق التغيير، لقد كانوا يتوقعون وفاته كل عام– بل كل شهر، منذ أن أصبح إمبراطورًا، وليس من عجب أن يخطئوا، وألَّا يبين أحدهم ساعته الأخيرة، فلا أحد حتى يدرك أنه على قيد الحياة، فافعلي ما يجب القيام به:

امنحيه الموت، دعي الملك الأفضل يحكم في الردهة الفارغة[١٨٥].

وأجابت كلوثو: «عن طريق هيروكليس! أود أن أمنحه برهة زمن حتى يمنح المواطنة لآخر المتشردين الباقين»– لأنه قرر أن يرى كل اليونانيين والغاليين والإسبانيين والبريطانيين يلبسون التوجا *toga*[١٨٦] «وحيث إنك تحب الإبقاء

(١٨٥) انظر **virgil Georgics 4.90**، واستشهد به في كتاب عن العفو **On Clemency 1.19.2**: حيث تعليمات للنحال حول ما يفعله ذكر النحل الذي فقد السباق لقيادة الخلية (وكذلك يشكر فيرجيل الملوك وليس الملكات الذين يحكمون مملكة النحل)

(١٨٦) كان كلاوديوس مثيرًا للجدل في تمديده للمواطنة سواء منحه إياها لمجموعة مقاطعات أو لأفراد، وقد يُدفع بهذه السياسة من أسس عسكرية: حيث يمكن للمواطنين أن يخدموا في الفيالق.

على بعض الأجانب لتربية الماشية، وهذا ما تصر عليه، فليكن ذلك»، ومن ثم فتحت صندوقًا صغيرًا وأخرجت ثلاثة مغازل «الأول لأوجرينوس *Augurinus* والثاني لبابا *Baba* والثالث لكلاوديوس[١٨٧]، وقالت هؤلاء الرجال الثلاثة قررت أن يموتوا في العام نفسه، متوالين بدقائق معدودة، فلن أرسله بعيدًا دون رفاق، فليس من الصواب أن الرجل الذي اعتاد رؤية الآلاف يتابعونه ويسبقونه ويلتفون حوله أن يغادر خلسة بمفرده، إنه سيكون راضيًا عن هذه الرفقة في هذه اللحظة».

«ولذا هي تتكلم وينسج الغزلَ القدرُ على مغزل قذر، وينهشه واضعًا النهاية لحياته الملكية البليدة، ولكن لاخيس تشد شَعرها الطويل لأعلى في عقدة عجيبة، وتتوج جبينها بأكليل موسى والذي تملكه، وتسحب من خصلة الثلج الأبيض خيطًا لامعًا، من الصوف الأبيض يوجهها بيد سعيدة، كلما دارت به يتحول اللون بشكل ساحر، وقفت أختها مندهشة: تحول الصوف الشائع فجأة إلى معدن ثمين، وعلى هذا الخيط الجميل يدور العصر الذهبي، وبلا نهاية، يغزل جزة الصوف السعيدة، وتملؤها أيديهم بفرح، والعمل جميل، والمهمة تسير بعجل دون جهد، ويلف الخيط الدقيق المغزل الدوار بيسر، تجاوزت سنواته نيستور *Nestor* وتيثونوس *Tithonus*، وكان فويبوس هناك أيضًا، يعينهم ويغني ويسعد بالأوقات المقبلة، وينتزع القيثارة الآن، ويساعد في الغزل، ويسحرهم بصوته ويُسهِّل عملهم، وفي حين يكيلون الثناء على قيثارة أخيهم وغنائه، يدورون أكثر مما اعتادوا، فثناؤهم جعل عملهم يتجاوز فترة حياة الإنسان الطبيعية، ويقول أبوللو: "أيتها الأقدار، لا تجعليه أقصر، دعيه يحيا وراء سنوات الفانين، فهذا الرجل يشبهني في النعمة

---

(١٨٧) يرى إيدن **Eden** ربما ذلك بداية قافية لحضانة صُمِّمَتْ لتعليم الأطفال حروف الهجائية، فأول اسمين مختلقين فكلمة بابا **Baba** توحي بالغباء، وفي سياق كلاوديوس تذكرنا بالعرج- وهو اتصال مناسب.

والجمال، ولا تقل مهارته في الغناء، إنه سوف يمنح سنوات سعيدة لشعبه المنهك، إنه سوف يحطم الصمت الطويل للقوانين، كما تبدد الزهرة *Lucifer* [(١٨٨)] النجوم بتحليقها السريع، وكما تنهض نجوم الليل *Hesperus* عندما تعود إلى الليل، أو عندما يُذوب احمرار الفجر الظلال، ويبزغ النهار والشمس، في روعته ينظر إلى العالم، وتسرع عربته من بوابة البداية: مثل اقتراب قيصر الآن، مثل نيرون الآن وكل روما تنظر إليه، حيث يبرق وجهه المضيء بإشراق لطيف، وتكشف رقبته الجميلة جمال شَعره المتدلي»[(١٨٩)].

وهذا ما قاله أبوللو، ولكن لاخيس منذ أن ضَعُف لهذا الرجل حسن المظهر، انغمست فيه بسخاء، ومنحت نيرون سنوات عدة من مخزونها، أما بالنسبة لكلاوديوس فقد أخبروا الجميع بالاحتفال والكلمات الميمونة لترسل له خارج الباب[(١٩٠)].

إنه ضحى بحياته[(١٩١)]، ومنذ هذه اللحظة كف عن أن يعطي ظهورًا لحياته (وبالمناسبة توفي وهو يستمع إلى الممثلين الساخرين، لذلك قد لا تجد سببًا يخيفني منهم)، وآخر كلماته سُمعت بين البشر - بعد أن سمع صوتًا عاليا من جانب يسهل التواصل معه، وقال: «أيتها السماوات، أعتقد أنني حطمت نفسي»، حسنًا، لا أعرف هذا، ولكن يقينًا قد حطم كل شيء.

ومن النافل أن تخبر عن الأحداث اللاحقة على الأرض، فأنت تعرفها تمامًا،

---

(١٨٨) الزهرة حين تكون نجمة صباح.

(١٨٩) ملحمة لاتينية سداسية التفعيلة، وهي فرجيلية الأسوب في الأساس.

(١٩٠) شعر إيامي سداسي التفعيلة **iambic hexameter** في اليونانية، وهي شذرة معروفة من يوربيديس **Euripides' Cresphontes** اقتبسها شيشرون في (**Tusculan Disputations 1.48.115**) في المواعظ الأصيلة للحزن (لمعاناة المستقبل) في الميلاد والفرح (لنهاية المتاعب) في الموت، ويستعمل سينيكا المسلك نفسه ليعلق على الفرح الذي يشعر به الجميع عند وفاة كلاوديوس.

(١٩١) إبوليت **Ebuliit** وهي تشير إلى فقاقيع سائلة، ولا تحدد فتحة يتدفق منها السائل.

وما من خطر لإغفال فرحة العامة وقد دمغت ذكريات الناس، ولا أحد يغفل ما يجعله سعيدًا، استمع الآن إلى الأعمال المتداولة في السماء، ويتحمل مَن روى لي مسؤولية دقة هذا التقرير.

جاء الرسول إلى جوبتر يخبره أن الرجل قد وصل، وهو طويل القامة وشَعره أبيض للغاية، وبدأ يختلق نوعًا من التهديد، لأنه ظل يهز جيئًة وذهابًا، ويسحب قدمه اليمنى للخلف، وقال الرسول إنه سأله عن البلد الذي جاء منه، فتمتم الرجل بشيء غير مفهوم، فصوته مبحوح، وكلامه مشوه، ولم يستطع الرسول أن يسأله عن اللغة التي يتحدثها، فلم يكن يونانيًّا أو رومانيًّا أو من أي مكانٍ مألوف.

ومن ثم أمر جوبتر هيروكليس -الذي كان يتجول في أنحاء العالم ويبدو أنه كان على دراية بكل بلدانه- بأن يكشف الأصل القومي لهذا الرجل، وكان هيروكليس منزعجًا من النظرة الأولى له، رغم أنه لم يعتد أن يستاء من المسوخ(١٩٢)، وعندما رأى الوجه العجيب والمشية الغريبة، وهذا الصوت - الذي بدا وكأنه لا يشبه شيئًا لبيئة الحيوان، ولكنه صنف لنوع من صوت نباح أجش، والذي عادة ما يصدره حصان البحر(١٩٣)- وفكر أن عمله الثالث عشر كان في يده، وعندما تفحص المخلوق جيدًا، وبدا وكأنه يشبه إنسانًا، اقترب فوجده غلامًا من اليونان، وقال: مَن أنت؟ ومن أين؟ صف مدينتك وأهلك(١٩٤)؟

وابتهج كلاوديوس لأنه وجد علماء كلاسيكيين هناك، وكان يأمل أن يقدروا كتاباته التاريخية، لذلك تحدث بسطر من هوميروس يدلل على أنه قيصر، فقال:

---

(١٩٢) ربما يقصد كما يرى إيدن " الذي يخشى المسوخ في بعض المناسبات وليس على الإطلاق".

(١٩٣) حرفيًّا "وحوش البحر sea beasts"، ولكن تتضح الفكرة أكثر إذا تخيل المرء مثالاً ملموسًا.

(١٩٤) انظر Homer Odyssey ١,١٧٠ (مع تعديل واحد بسيط)، ولكن نمط السؤال شائع عند هوميروس.

من طروادة، وألقت بي الريح على ساحل تراقيا(١٩٥)، ولكن السطر التالي كان أكثر صدقًا، وبالدرجة نفسها من هوميروس: وأنا سلبت المدينة ودمرت الناس(١٩٦).

ووضع واحدة على هيروكليس لم تكن حادة للغاية، إذ لم تكن فيفر *Fever* هناك(١٩٧) (حيث تخلت عن معبدها، وجاءت مرافقة وحيدة لكلاوديوس تاركة وراءها كل الأرباب الآخرين في روما) وقالت: «الأكاذيب وليس شيئًا سوى الأكاذيب، تلك هي قصته، وسوف أخبرك أنا الذي عشت معه سنوات عدة: إنه وُلد في ليون *Lyons*(١٩٨)، وهو مواطن من مدينة موناتيوس، وأخبرك بأنه وُلد على بعد ستة عشر ميلًا من فيينا *Vienne*(١٩٩)، ومولود من أصل غالي *Gaul*(٢٠٠)، وفعل ما يجب على الغال فعله: لقد استولى على روما(٢٠١) أنا أضمن لك أنه وُلد في ليون حيث حكم لينيكوس *Licinus* لسنوات عدة، ولكنك وأنت الذي قد تجولت في الأماكن أكثر من أي سائق بغل ينبغي أن تعرف طول المسافة من

---

(١٩٥) انظر **Odyssey** ٩,٣٩، أوديسا إلى ألكينوس **Alcinoos**، حيث اتبع كل الأباطرة ممارسة يوليوس قيصر في المطالبة بنسب إينياس وأمير طروادة.

(١٩٦) انظر **Odyssey**. ٩,٤٠ مع حذف الكلمة الأولى من السطر " إلى أسماروس **to Ismarus**".

(١٩٧) عرفت فيفر بأنها إلهة رومانية، وكان لها ضريح في بالاتين **Palatine**، وكانت مالاريا **Malaria** تهديدًا عامًّا في المنطقة، ولهذا من المحتمل أن فيفر كانت تتصل بالآلهة لهذا السبب، لذلك تقول "وأنا الذي عشت معه لسنوات عدة" ترتبط برجفة كلاوديوس والحركات غير المنضبطة للرعشة، وارتجاج شخصية مالاريا.

(١٩٨) ولد كلاوديوس في لوجدينوم **Lugdunum** (ليون) في ١ أغسطس ١٠ ق.م، كان أبوه دروسوس في حملة ضد الجرمان ووالدته أنطونيا **Antonia** ترافقه.

(١٩٩) هذه المدينة في غاليا ناربونينسيس **Gallia Narbonensis** منافسه لليون- وضعت لتورية لفظية تالية.

(٢٠٠) غاليوس جيرمانوس **Gallus germanus** تورية: وتعني جيرمانوس 'أصيل' وأيضًا تعني جيرمانوس 'جرماني' تورية: وتعني جيرمانوس ' أصيل' وأيضًا تعني جيرمانوس 'جرماني' إشارة إلى ميلاد كلاوديوس باعتباره ' **German Gaul**' في أرض العدو.

(٢٠١) استولى الغاليون على روما عام ٣٩٠ ق.م انظر تاكيتوس **Tacitus ,Annals 11.24.9**، وأشار كلاوديوس إلى هذا الحدث في الكلام، والملاحظ أنه يرجع إلى الاقتباس من هوميروس في نهاية الفصل الخامس.

زانثوس *Xanthus* إلى رون *Rhône*»[٢٠٢].

وهنا اشتاط كلاوديوس، وتحدث بغضب بنبرةٍ عالية يحكمها، ولا يفهم أحد ما يقول، وأعطى الأمر لفيفر أن تعاقب، واستعمل الإشارة التي اعتاد استعمالها لقطع رقبة الناس، ويده ترتجف، وتثبت بما فيه الكفاية لهذا الغرض فحسب، وأمر بقطع رقبتها، فعليك أن تعتقد أن كل الناس كانوا حِلًّا له: فقليل من الناس أعاروه اهتمامًا[٢٠٣].

ومن ثم قال هيروكليس: «استمع لي! وتوقف عن الحماقة، لقد جئت إلى مكان تمضغ فيه الفئران حتى الحديد[٢٠٤]، وأخبرني الحقيقة عاجلًا، قبل أن أُخرج التفاهة منك»، وليجعل نفسه ملهمًا أصبح شخصية مأساوية وقال[٢٠٥]: «بُح بمدينة ولادتك بلا توانٍ، أو أصدعك بهذه الهراوة فتلقَ حتفك، وغالبًا ما تقتل هذه الهراوة الملوك الجبابرة، أرني صوتك وكلامك غير الواضح؟ ما عشيرتك؟ وما وطنك؟ ارفع رأسك المنكس؟ أخرجْ صوتك، فذات مرة بحثت عن أرض بعيدة للملك ثلاثة أضعاف، ورعيت ماشية نبيل إلى مدينة أناخوس *Inachus* من البحر الغربي، ورأيت جرفًا يظهر بين نهرين - يواجهه فويبوس دومًا كلما صعد- حيث يتدفق رون العظيم في سيل جارف، والعرار *the Arar* مستغربًا أين يجد

(٢٠٢) زانثوس **Xanthus** هو نهر يتدفق عبر طروادة القديمة، ويتدفق رون عبر ليون.

(٢٠٣) واصل كلاوديوس الاتجاه الذي بدأه سلفه، حيث كلف العبيد المحررين بمهام زائدة، ففي عام ٤٨ قد أصبح ناركيسوس واليًا للحرس ليوم واحد، وكان الخدم يكافئون بالشرف مقارنة بما يمنح أعضاء السوناتو، فقد حصل ناركيسوس على **ornamenta quaestoria** وبالاس **Pallas** على **ornamenta praetorian** (ومن المفارقات أن يُكافأ لاقتراحه بأن المرأة الحرة تعمل مع العبيد).

(٢٠٤) كلمة 'حتى' ليست في النص اللاتيني، ولكن يبدو واضحًا أنها للمزحة: فمثل هذا المكان يمكن أن تقرض فيه الفئران الصغيرة والكبيرة الحديد، فهو مكان مهيب.

(٢٠٥) الكلام التالي محاكاة رائعة للتراجيديا كُتبت بطريقة **Latin iambic senarii**، ومستوى الحوار مقياس لتراجيديا سينيكا، والتفعيلة والمفرادت قريبة من عمله **Hercules Furens**

مجراه، ويغسل بصمت الضفاف بالمياه الضحلة الراكنة، فهل هي هذه الأرض التي التقطت فيها أنفاسك الأولى؟».

وقال هذه جرأة وقوة كافية: ولكن مع ذلك يُروع من فطنته ويخشى "خرقة من الأزرق"[٢٠٦]. وعندما رأى هيروكليس ما كان عليه الرجل، تغافل عن تفاهته، وأدرك أنه لا أحد في روما يساويه، وأنه مات هنا لأنه ليس لديه النفوذ نفسه: فالمتعجرف هو ملك على ركام حطامه[٢٠٧]، وهكذا بدأ يتكلم كالآتي (بقدر ما يمكن فهمه): «هيروكليس أقوى الأرباب، كنت أتمنى أن تتحدث نيابة عني في هذا الجمع، وإن سألني أحد عن شاهد شخصي، فسوف أذكرك أنت؛ لأنك تعرفني تمامًا، وإن كنت تفكر في العودة فسوف تتذكر أنني من سمعت الشكاوى أمام معبدك طوال النهار في شهرَي يوليو وأغسطوس، وأنت تعلم كم التهديدات التي كان عليَّ تحملها، والاستماع إلى محامِي المحكمة ليل نهار، وإن كنت قد مررت بهذه التجربة رغم أنها قوية للغاية، لفضلت أن تنظف زرائب أيجين *Augean*: لقد أطلت كثيرًا في التفاهة ([٢٠٨]) ولكن منذ أن تمنيت...[٢٠٩].

(٢٠٦) في اليونانية **môrou plêgên** وهي "ضرب الأحمق"، ويغير سينيكا العبارة التراجيدية الشائعة على ضرب الرب، بمعنى لطمة زيوس الصاعقة، لاستبدال كلمة أحمق **môros** بكلمة رب **theos**.

(٢٠٧) قول مأثور ولكن يضاف إليه فكاهة: تورية على جالوس (كل من غال ومتعجرف)، وإشارة إلى كلاوديوس الذي حول روما إلى كومة من الخراب.

(٢٠٨) كان العمل السادس لهيروكليس تنظيف إسطبل لثلاثة آلاف من ماشية الملك أوجايوس، والتي لم ينظفها لسنوات عدة، وكم التفاهة المنسوب للمحامين له أبعاد هائلة، والمزحة المضافة هي أن كلاوديوس بعيد عن تنظيف التفاهة، وهو ذاته محطم كل شيء.

(٢٠٩) يجب أن تتضمن هذه الفجوة في المخطوطات نهاية خطاب كلاوديوس، بما في ذلك محاولة تطويع معونة هيروكليس في مشروع الألوهية، ربما قدم عرضًا لهيروكليس عندما يقول هيروكليس لاحقًا: "هذا المنقار قريب من قلبي" (**mea res agitur**)– ومع ذلك قد تُفسر هذه الملاحظة بطريق آخر (انظر ادناه) حيث اقتحم الاثنان منزل آلهة السوناتو، وقدَّما طلبًا أوليًّا بتأليه كلاوديوس. ويرى فينريك **Weinreich** أن هذا كان وقتا مناسبًا لمحاكاة ساخرة غير مترابطة ونمط قديم لخطابات كلاوديوس.

«... ولست مندهشًا من أنك متهمٌ في ديوان السوناتو؛ لأنه لا شيء خارج حدودك[٢١٠]، وأخبرنا فحسب أي نوع من الأرباب تتمنى أن يُقبل، لا يمكن أن يكون الرب الأبيقوري؛ لأن هذا النوع من الأرباب لا يُزعج نفسه ولا يسبب للآخرين إزعاجًا[٢١١]، هل هو الإله الرواقي؟ كيف يمكن أن يكون؟ هل هو مدور مثل الكرة كما يقول فارو *Varro* بلا رأس ولا قُلْفَة؟ هناك شيء من إله الرواقية فيه، وأرى الآن: أنه بلا قلب ولا رأس[٢١٢]»، عن طريق هيروكليس ! إذا طلب هذا الامتياز من ساتورن *Saturn* حيث يحتفل هذا الإمبراطور الساتورني *Saturnalicus princeps*[٢١٣] بشهر عطلة على مدار العام كله، ولم يحصل عليه، ولكن ينبغي أن

---

(٢١٠) لا يمكن تحديد المتحدث، ولكن الواضح أنه قرأ مزيدًا من الفلسفة، ومعادٍ للغاية لكلاوديوس.

(٢١١) منقولة من الأقوال الأولى لأبيقور **Epicurus's Kuriai Doxai**. وانظر ديوجين اللائرتي **Diogenes Laertius X.139**. حيث اعتقد أبيقور أن الآلهة هادئة وغير منزعجة، وليست في حاجة للبشر، ولا تمتن لسخائهم، ولا تغضب من تجاهلهم، ووفقًا للرواية الكاملة التي قدمها الشاعر الروماني لوكريتوس قد يقنعنا الكهنة بالخوف من الآلهة، والعقاب الذي قد يصيبننا به، ولكن يوضح الفهم العقلاني للعالم أن هذه المخاوف بلا أساس. وموطن الفكاهة هنا هو محاولة إضفاء معنى فلسفي لسياسة عبادة الإمبراطور، مشيرًا إلى أن الإمبراطور له فلسفة مميزة، ويكمن موطن الفكاهة الآخر في فكرة أن كلاوديوس مثل الإله الأبيقوري المستقل الذي لا يهتم بالعقاب.

(٢١٢) ترى الرواقية أن الإله نظام أخلاقي وعقلاني متأصل في العالم كله، وفي العظة الأخلاقية **Moral Epistle 41** المشهورة لسينيكا يقول سينيكا: «على الناس ألا ينحنوا أمام صور الإنسان بل يبجلوا العقلانية الأخلاقية التي في ذواتهم كما هي في العالم ككل». وكان الرواقيون طبائعيين أيضًا وكل جوانبهم للشخصية مادية، لذا فإن محاولة فارو لوصف شكل الألوهية ليست سخيفة على الإطلاق، مع أن محتوى الوصف يبقى غامضًا، وعبارة "بلا قلب ولا رأس" ترجع على الأرجح إلى اعتقاد الرواقية في أن الحكيم يغرس ألوهيته التي تفتقر إلى الانفعالات –مع أن هذا مؤكد، حيث إن الرواقيين يضعون الأخلاق والعقل والانفعالات في القلب. وربما يشير الافتقار إلى الرأس افتقار الإله إلى الخصوصية التاريخية وكذلك التحيز: حيث تحث التدريبات العقلية الرواقية غالبًا الطلاب على أن يتشاكلوا مع العالم، وأن يفكروا في ذواتهم ككل مترابط وليس كأجزاء. وإن فكاهة التفكير في كلاوديوس على أنه إله رواقي على نفس الدرجة في حالة الإله الأبيقوري؛ لأن كلاوديوس ليس مثالًا للأخلاق الكاملة العقلانية والإنصاف والخلو من الانفعال.

(٢١٣) **Saturnalicus princeps** تعبير جديد حيث كان كلاوديوس مولعًا ب **Saturnalia** ويمدد فترته ويلتحق بالاحتفالات بحماس، ولكنه كان من نوعية الحكام الذين يحولون الأشياء، ففي عهده كله كان **Saturnalia** غير عقلاني ومسرفًا.

ندخله في رفقة الآلهة – ناهيك عن جوبتر الذي أدانه بالسفاح! لأن كلاوديوس قتل صهره سيلانوس *Silanus* 'لماذا، أنا أسألك؟' لأنه كان لديه أخت أشد إثارة من الشابات، وأطلق عليها الجميع فينوس *Venus*، ولكنه فَضَّل أن يطلق عليها جونو *Juno*[٢١٤]، وأنت تقول لماذا أخته؟ 'أحب أن أعرف'، اسمع يا غبي: يمكنك أن تقطع شوطًا في أثينا، ولكن يمكنك أن تقضي كل الوقت في الإسكندرية[٢١٥]، وأنت تقول : «ولكن بما أنك في روما، فإنك مطالب بتدريب على التقشف»[٢١٦] هل هو ماضٍ لتقويم الفوضى لنا؟ إنه لا يعرف حتى ما يجري في غرفة نومه، فرأسه حقًّا في السحب[٢١٧].

«يريد أن يكون إلهًا؟ فلا يكفي أن يكون لديه معبد في بريتين *Britain*[٢١٨]

---

(٢١٤) كانت جونو **Juno** أخت جوبتر ورزوجته، وجونيوس سيلانوس توركيوتوس **L. Junius Silanus Torquatus** الحفيد الأكبر لأغسطوس، خطبه كلاوديوس لابنته أوكتافيا، ولكن قررت أجريبانا أنه من الصالح أن تتزوج أوكتافيا نيرون، لذلك كان عليها أن تتخلص من سيلانوس، ثم فتنت سيلانوس بأخته جونيا كالفينا **Junia Calvina** واتهمتهم بسفاح المحارم، وأدانه السوناتو، وانتحر في ٤٩م في اليوم نفسه الذي تزوج فيه كلاوديوس بأجريبانا، ومن المفارقات في الموقف برمته أن كلاوديوس عم أجريبانا، وهذا الزواج كان صادمًا بالمعايير الرومانيية ناهيك عن أنه غير قانوني بالمرة، ويقول سويتونيوس **Suetonius** إنه لفت الانتباه إلى جانب سفاح المحارم في الصراع بوصفها 'ابنة' و'مرضعة'.

(٢١٥) يمكن لأبناء نفس الأب في أثينا أن يتزوجوا وليس الأبناء من نفس الأم، ولكن في الإسكندرية عند البطالمة شاع الزواج بين الإخوة والأخوات كلهم.

(٢١٦) حرفيًّا " الفئران تلعق حجر الرحى" وهي عبارة غامضة ربما تدلل على التقشف (يمكن لعق غبار الطحين من الرحى إن لم تتمكن من العثور على ما يكفيك من الطعام في أي مكان).

(٢١٧) كان كلاوديوس مشهورًا بالفلك **meteôria** حيث ينظر إلى الفضاء ولا يلاحظ شيئًا، ولكن الفقرة تشير إلى الفقر الجنسي، حيث عُرف عن كلاوديوس عاطفته للمرأة، وبكونه خاضعًا لزوجاته، وربما تكون الإشارة إلى المعرفة والسيطرة وليس نقص الرجولة، وعُرف عن ميسالينا كثرة العشاق حتى إنها تنافست يومًا ما مع عاهرة في معاشرة أكبر عدد من الرجال في ليلة واحدة، ومع ذلك كان كلاوديوس قانعًا لفترة طويلة بإخلاصها.

(٢١٨) – في **Colchester (Camulodunum)**.

وأين يعبده المتوحشون ويصلون 'ليواجه الأحمق حين يحسن التصرف؟»[٢١٩].

وأخيرًا بزغ نهار جوبتر[٢٢٠] حيث لم يكن يُسمح لأعضاء السوناتو أن يعبروا عن آرائهم أو يعقدوا نقاشًا في وجود الغرباء في حجرة السوناتو، وقال: «الزملاء أعضاء السوناتو الأعزاء[٢٢١]: لقد سمحت لك بعقد جلسة استماع، ولكنك حولتها إلى فوضى حقيقية، أود أن تحترم قواعد حجرة مجلس السوناتو، كيف يفكر فينا (أى نوع من الموجودات هو)؟ هم يطلبون من كلاوديوس المغادرة، وأول مَن سأله عن رأيه هو الأب جانوس *Janus*[٢٢٢]، لقد عُين ليكون قنصل ما بعد الظهيرة، ومن المقرر أن تبدأ المدة من ١ يوليو[٢٢٣]- وهو رجل كان بإمكانه أن يرى «من الخلف والأمام»[٢٢٤] حين يتعلق الأمر بعمله، وبسبب أنه عاش في المنتدى تحدث ببلاغة وإفراط، ولم يستطع المختزل *stenographer* ([٢٢٥]) مواكبته، ولذلك فلن أُدلي بما قاله، ولا أرغب في وضع الكلمات في فمه، فهو تحدث كثيرًا عن عظمة الآلهة: ومثل هذا شرف لم يُعط لأحد، وقال « إن كان هناك شيء عظيم يصنع إلهًا جعلته الآن سخرية زهيدة [٢٢٦]، وهكذا بما أنني لا أرغب في صنع حجة مغالطة على

---

(٢١٩) في اليونانية **môrou euêlatou tuchein** الإنابة الثانية للأحمق؛ لأن كلمة إله هذه المرة في صيغة مشتركة للصلاة.

(٢٢٠) يُصور جوبتر على أنه مهمل وغير كفء مثل كلاوديوس نفسه.

(٢٢١) حرفيًّا أعضاء مجلس السوناتو **patres conscripti** وهي صيغة خطاب للسوناتو المجتمع.

(٢٢٢) جانوس إله الأبواب والبوابات ويبدو مثاليًّا من اتجاهين.

(٢٢٣) يسخر سينيكا من عادة الشرف قصيرة الأجل لمنصب القنصل: ويبدو أن جانوس قنصل لفترة ما بعد الظهيرة فقط، ربما ليس لديه عمل على الإطلاق، حيث إن مجلس السوناتو غالبًا ما يتوقف في منتصف النهار.

(٢٢٤) تستعمل العبارة الهوميرية في اليونانية لوصف ذكرى الرجال الأقدمين من الماضي وإيحاء المستقبل، ويطبقها هنا على جانوس بالمعنى الحرفي.

(٢٢٥) نوتاريوس **Notarius** في هذا التوقيت هو نظام اختزال طُور لتسجيل الأفعال اليومية للسوناتو **acta senatus** والذي بدأ العمل به ٥٩ ق.م بإشراف يوليوس قيصر.

(٢٢٦) كلمة **Fabam mimum** مسرحية الحبة " **bean farce** " وكانت مسرحية هزلية مبتذلة للترفيه، والمقصود بمعنى الحبة غير واضح، ربما يوحي بتقديس الموتى، وقد تُلمح الجانب النظري لكلاوديوس والجانب العملي للعجرفة.

الشخص *ad hominem argument* سوف أمضي بعد هذا اليوم حتى لا أصنع إلهًا من 'الذين يأكلون ثمرة الأرض' أو الذين تغذيهم 'الأرض الواهبة للحياة'[(٢٢٧)]، وأي امرئٍ يناقض قرار السوناتو إما يُصنع إلهًا أو يقال عنه إنه إله أو يصور كذلك، يجب أن نمنحه للشياطين [(٢٢٨)]، أو نصارعه مع المتطوعين الجدد[(٢٢٩)] في ألعاب المجالدة القادمة».

والتالي الذي طلب منه أن يعبر عن رأيه هو ديسبيتر *Diespiter* ابن فيكا بوتا *Vica Pota*[(٢٣٠)] وكان قنصلًا منتخبًا، ومرابيًا للمال لزمن قصير، واعتاد أن يكسب عيشه ببيع وثائق المواطنة، ومشى هيروكليس نحوه متوددًا ولمس أذنه[(٢٣١)] واقترح الاقتراح التالي: «حيث إن كلاوديوس المؤله فيه قرابة دم لأوغسطس المؤله، ولا يقل عن جدته المؤلهة أوجوستا *Augusta*، وتأليهه أمر، ويتجاوز كل البشر في الحكمة، ومن المصلحة الوطنية أن يكون هناك امرؤ بمقدوره أن 'يلتهم اللفت المبخر' مع رومولوس *Romulus*[(٢٣٢)]، واقترح بأن كلاوديوس المؤله ينبغي أن يكون إلهًا من اليوم فصاعدًا، بالطريقة نفسها التي أصبح فيها أي شخص إلهًا وفق أصول القانون، ويُضاف هذا الحدث إلى تحولات أوفيد *Metamorphoses of Ovid*»[(٢٣٣)].

هناك كلمات عدة تُظهر أن كلاوديوس هو الغالب؛ لأن هيروكليس رأى أن

---

(٢٢٧) كلتا العبارتين الهومرتين مقتبسة من اليونانية.

(٢٢٨) لارفيس **Larvis** أرواح شريرة، وغالبًا أشباح الموتى.

(٢٢٩) كان الجند المتطوعون **auctorati** مواطنين يبيعون أنفسهم لمدارس المجالدين.

(٢٣٠) ديسبيتر هو إله السماء الإيطالية الأصلي، ويرتبط أحيانًا بجوبتر (ولفظهما قريب)- لكن ليس هنا حيث إنهما شخصيتان متمايزتان هنا.

(٢٣١) طريقة شائعة لتذكير الشاهد فيما يحاول تذكره.

(٢٣٢) الشذرة نهاية لسداسية لاتينية لم تُشهد في مكان آخر.

(٢٣٣) الكتب الخمسة عشرة الملحمية التي ألفها أوفيد (**43 BCE–17 CE**) تصف التأليه عند رومولوس ويوليوس قيصر.

قوته في النار تواصل التجول هنا وهناك قائلًا « لا تقاومني؛ فهذا المنجل قريب من قلبي[٢٣٤]، وإن كنت تريد شيئًا يومًا ما فسوف أرد الفضل، وإن خدشت ظهري فسوف أخدشك»[٢٣٥].

١٠ – ومن ثم وقف أوغسطوس المؤله عندما جاء دوره ليعبر عن رأيه، وتحدث ببلاغة طليقة[٢٣٦]، وقال: «أيها السادة أعضاء السوناتو الزملاء، أنت تطلبون شهادتي وأنا منذ أن أصبحت إلهًا لم أتفوه بكلمة، وما يهمني هو عملي[٢٣٧]، وليس بمقدوري أن أخفي رأيي طويلًا، ولا أن أكبح الألم، فهذا العار يحملني أثقل مما أتحمل، هل لأجل هذا جلبت السلام للأرض والبحر؟ وهل لأجل هذا أتيت بالحروب الأهلية إلى نهايتها؟ وهل لأجل هذا أقمت المدينة على أساس قانوني متين والتي جملتها بالأعمال العامة أليس كذلك؟ ليس بمقدوري أن أفكر فيما أقوله أيها السيناتورات الموقرون، لا توجد كلمات تجاري سخطي، ولذلك ألجأ إلى القول المعروف للرجل البليغ ميساليا كورفينوس *Messala Corvinus* 'أخجل من منصبي'»[٢٣٨].

« هذا الرجل أعضاء السوناتو الموقرون، الذي أنظر إليه على أنه لا تهابه ذبابة

(٢٣٤) ربما يرى كثيرون بسبب أن كلاوديوس وعد هيروكليس مكافئة ليعينه، ويكفي أن نتذكر أن هيروكليس نفسه رجل تحول إلى إله، فمن الطبيعي لديه مصلحة في مصير إنسان آخر يسعى إلى التأليه.

(٢٣٥) حرفيًا، "تغسل يدي الأخرى" **manus manum lavat**.

(٢٣٦) عُرف أوغسطوس ببلاغته، وهذا الخطاب جاد تمامًا في الأسلوب، وقطعة خطابية مؤثرة.

(٢٣٧) يستعمل أوغسطوس اعتداله وتقديره المعروفين لكسب تعاطف الجمهور.

(٢٣٨) حرج الإمبراطور **Pudet imperii** "إنني أخجل من منصبي في القيادة"– استعملها هنا للإشارة إلى الخلاف الذي ابتدعه أوغسطوس نفسه: حيث المبدأ، وقال هذه العبارة السياسي والجندي البارز ميسالا كورفينوس **Messala Corvinus (64 BCE–8 CE)** وهو مجهول المكان، ربما يشير إلى مناسبة بعد أن عينه أوغسطوس حاكمًا، وعُزل بعد ستة أيام فقط، ومن المرجح أنه رأى أن المنصب المسؤول عن شرطة المدينة يَعْمَلُ بطريقة قمعية.

واعتاد أن يقتل البشر بسهولة مثل كلاب جاثمة[٢٣٩]، ماذا ينبغي عليَّ أن أقوله عن الرجال الأفاضل؟ فليس لديَّ وقتٌ للحداد على كارثة المدينة، وأركز على المصائب التي ارتُكبت في حق عائلتي، وسوف أتغافل عن السابق، وأصف الأمر الأخير، وحتى لو لم يعرف كاحلي ذلك، فأنا أعرف: 'فالركبة أقرب للقلب من عظمة الذقن' ([٢٤٠])، وهذا الرجل الذي تراه هناك بعد اختفاء سنوات عدة متغطيًا بأسمي[٢٤١] أظهر اهتمامه لي امتنانه بالآتي، فقد قتل الجوليتين وهم أحفادي الكبار، أحدهما بالسيف والآخر بالجوع[٢٤٢]، وقتل حفيدي الأكبر لوكيوس سيلانوس – وسوف تحكم يا جوبتر فيما إذا كانت قضية ظالمة، وعلى أي حال هذا نفسه حدث لك إن كنت سوف تنظر إليه بإنصاف. أجبني يا كلاوديوس المؤله[٢٤٣]: لماذا حكمت على الرجال والنساء الذين قتلتهم قبل أن تتفحص جانبهم في القضية وقبل أن تسمع شهادتهم[٢٤٤]؟ لماذا تُدار الأمور بهذه الكيفية؟ يقينًا لا تدار من السماء هكذا.

١١– انظر إلى جوبتر الذي حكم لسنوات عدة، والشيء الوحيد الذي فعله

(٢٣٩) إشارة أخرى للتغوط – وهذه إشارة مهذبة تمشيًا مع النبرة العالية للكلمة تُقارن جرائم قتل كلاوديوس بقتل كلب، ومن المفترض أنها تعني تلوث الجسم السياسي.

(٢٤٠) فقرة معطوبة وصعبة، ولكن ربما يكون المعنى أن أوغسطوس يعرف شخصية كلاوديوس من خلال قتله لأقارب أوغسطوس.

(٢٤١) أخذ كلاوديوس كنية قيصر مثل أسلافه، ويُخبرنا سويتونيوس أن قسمه المفضل هو "أقسم بأوغسطوس"، وهو يود التوكيد على التقارب المزعوم لسياسته مع سياسة الرجل العظيم.

(٢٤٢) الأولى هي جوليا **Julia** ابنة دروسوس ابن تيبيريوس، والأخرى جوليا ليفيلا وهي ابنة جيرمانيكوس **Germanicus**، وكلاهما تعرض لعداوة ميسالينا، وهو ما دفع كلاوديوس لإدانتهما. وكما يرى سويتونيوس "أن التهمة غير واضحة، ولا يوجد فرصة للدفاع"، لقد ذبحت الأولى، وتوفيت الثانية في المنفى، وكانت إحدى التهم الموجهة لجوليا ليفيلا هي الزنا مع سينيكا، وذهب سينيكا إلى المنفى معها عام ٤١م.

(٢٤٣) مفارقة معقدة – مثل ديسبيتر رغم نواياه الساخرة والعدائية، يشير أوغسطوس إلى كلاوديوس بأنه مؤله بالفعل، وبالطبع هو كذلك.

(٢٤٤) وفقًا لمصادرنا هي ممارسة شائعة لكلاوديوس.

أنه كسر ساق فولكان *Vulcan* وركله بالقدم، وألقاه من عتبة السماء[٢٤٥]، ومن ثم غضب من زوجته وعلقها[٢٤٦]، لكنه لم يقتلها، أليس كذلك؟ أما أنت فقد قتلت ميسالينا التي كنتَ عَمًّا لها بقدر ما أنا لك عم، هل تقول 'لا أتذكر'؟ ربما تلعنك الآلهة، فعدم تذكرك لقتلها أمر مشين أكبر من القتل ذاته[٢٤٧].

«وأضف إلى هذا أنه لم يتوقف عن اضطهاد جايوس قيصر حتى بعد موته، فقد قتل جايوس صهره[٢٤٨] وكذلك كلاوديوس قتل صهره[٢٤٩]، ورفض جايوس أن يُطلق على ابن كراسوس *Crassus* لقب 'العظيم'، وأعاد كلاوديوس له الاسم ولكن أخذ رأسه[٢٥٠]، فقد قتل من أسرة واحدة كراسوس وبومبيوس ماجنوس *Pompeius Magnus* وسكريبونيا *Scribonia*[٢٥١] - وليست عشيرة بالتحديد بل كلهم نبلاء[٢٥٢]، وكان كراسوس في الحقيقة غبيًّا بما فيه الكفاية فكان بمقدوره أن يكون ملكًا، هذا هو الرجل الذي تريدون أن تؤلهوه الآن!

---

(٢٤٥) انظر **Homer Iliad 15.18**.

(٢٤٦) في الفقرة نفسها يذكر زيوس هيرا في مناسبة سابقة حيث علقها في السماء بسنادين مربوطة في قدمها، ولكن التلميحات معقدة: فكسر الساق والتعليق عقوبات شائعة على العبيد، ويرى إيدن أن جوبتر يوضح أنه تعامل مع زوجته وعشيقته مثل العبيد، وهي مداهنة يصعب تصويرها.

(٢٤٧) يقرر سويتونيوس أنه بعد إصدار الأمر بموت ميسالينا، ذهب كلاوديوس لتناول العشاء، وسأل عن عدم وجوها على المائدة.

(٢٤٨) أمر جايوس بانتحار جونايوس سيلانوس صديق تيبيريوس عام ٣٨م.

(٢٤٩) يمكن أن تكون الإشارة إلى سيلانوس الذي ذُكر مرتين، أو على بومبيوس ماجنوس الذي ذُكر لاحقًا، والذي تزوج عام ٤١م أنطونيا ابنة كلاوديوس.

(٢٥٠) أخذ كاليجولا لقب "العظيم **Magnus**" من **Cn.Pompeius**، وقُتل بناء على طلب ميسالينا عام ٤١م.

(٢٥١) كراسوس **Crassus** هو م.ليكينيوس كراسوس فروجي **M. Licinius Crassus Frugi** والد بومبيوس ماجنوس **Cn. Pompeius Magnus**، وكان أرستقراطيًّا قويًّا، وسبب وفاته غير معروف، وشبهة قتله مقبولة. وسكريبونيا ذكرناها أدناه فهي ابنة كراسوس وأخت ماجنوس.

(٢٥٢) فقرة معطوبة وصعبة، ولكن معناها واضح: هؤلاء الناس لم يُحصروا في طبقة النبلاء (فأجدادهم من طروادة) ولكنهم لا يزالون نبلاء.

«انظر إلى جسده الذي شكله غضب الآلهة منذ ولادته، حيث وضعته في حجم صغير، وإذا استطاع أن يجمع ثلاث كلمات معًا بسرعة فليأخذني عبدًا له، فمَن الذي سيعبده إلهًا؟ ومَن سيؤمن به؟ وإذا ألَّهتم أناس مثل هذا فلن يؤمن بكم أحدٌ باعتباركم آلهة. السادة أعضاء السوناتو الموقرون لنمضِ مباشرة إلى لب الأمر: إذا كنت قد برأت نفسي بينكم، وإذا كنت لم أجبْ أحدًا بقسوة انتقامًا لظلمي، أقدم الاقتراح التالي –وقرأ من من مفكرته– «حيث إن كلاوديوس المؤله قتل صهره أبيوس سيلانوس *Appius Silanus*(٢٥٣) وأبناء صهره بومبيوس ماجنوس ولوكيوس سيلانوس وبنات صهره كراسوس فروجي *Crassus Frugi* (رجل مثل هذا مثل حبتين بازلاء في بؤجة) وبنات صهرته سكريبونيا، وزوجته ميسالينيا، وغيرهم ممن يصعب ذكرهم، فأقترح أنه ينبغي أن يُعاقب بشدة، وألَّا يُمنح أي حصانة من القضاء، وأن يتم ترحيله في أقرب وقت ممكن، وأن يغادر السماء خلال ثلاثين يومًا وأوليمبوس خلال ثلاثة".

مرروا الاقتراح للتصويت، ولا تتوانوا، واقبض عليه يا ماركوري، والوِ رقبته، واسحبه إلى الجحيم من السماء، ذلك المكان الذي يقولون لا أحد يعود منه(٢٥٤).

١٢– وعندما كانوا يسيرون على طول الطريق المقدس(٢٥٥)، سأل ماركوري

(٢٥٣) س. أبيوس إينيوس سيلانوس **C. Appius Iunius Silanus** وهو قنصل في عام ٢٨م، تزوج دوميتيا **Domitia** أم ميسالينا عن طريق كلاوديوس، وبعد أن استفزميساليا برفض تقدمها، فقد أخبرت هي وناركسوس كلاوديوس بأنهما حلما بأن أبيوس يغتاله، فأمر بقتله على الفور.

(٢٥٤) **Unde negant redire quemquam** سطر مشهور من قصيدة كاتيلليوس **Catullus** عن وفاة عصفور ليسبيا **Lesbia** (١٢ ,٣)، حيث يتصور الطائر الصغير بطريقة مأسوية، وهو يقوم برحلة قاتمة إلى العالم السفلي، وعلى النقيض هنا فالسماء هي المكان "الذي يقولون لا يرجع منه أحد": فبمجرد أن يصل المرء إلى السماء لا يُلقى منها، ومع ذلك فإن كلاوديوس استثناء لهذه القاعدة، وهو مثل العصفور الآن، وهو في طريقه للعالم السفلي.

(٢٥٥) فيا سكرا أو الطريق المقدس **Via Sacra** هو الطريق الذي سوف يُحمل فيه رفات كلاوديوس من البالاتيوم على المنتدى، حيث يُلقي خطابه الجنائزي.

عما يجري لهذا الحشد الكبير من الناس: هل من الممكن أن يكون جنازة كلاوديوس؟ الحقيقة لقد رُتب كل شيء ببذخ وروعة، يمكنك أن ترى بوضوح أنها جنازة إله(٢٥٦)، حشد ضخم، وتجمع كبير لعازفي البوق، والعازفون على كل أدوات النحاس –حتى يسمعها كلاوديوس. الجميع مبتهج وسعيد، والرومانيون يتجولون مثل الأحرار، وأجاثون *Agathon* وقليل من المحامين يبكون، وكان حزنهم عميقًا، ويخرج علماء القانون من ظلال تبدو شاحبة وهازلة، وبالكاد يتنفسون، كما لو كانوا يعودون للحياة في تلك اللحظة(٢٥٧).

وعندما رأى أحدهم المحامين يضعون رؤوسهم معًا وينعون سوء حظهم، أقبل عليهم وقال: «ألم أقل لكم إن ساتورناليا *Saturnalia* لن يدوم للأبد".

وعندما رأى كلاوديوس جنازته أدرك أنه مات، حيث عُزف اللحن الحزين "بأغنية رائعة ورقص"(٢٥٨).

ابكوا سيلًا من الدموع(٢٥٩)

والطموا صدوركم

---

(٢٥٦) وصف كل مَن تاكيتوس وسويتونيوس طبيعة الجنازة الفخمة مقارنة بكلاوديوس.

(٢٥٧) أسف المحامون لأوقات التقاضي التي كانوا يقضونها في عهد كلاوديوس لأنها ولت. وعلماء القانون الذين فسروا القانون نفسه، والذين ظُلموا في عهد كلاوديوس يأملون في رجوع كرامتهم السالفة.

(٢٥٨) مصدرها في اليونانية غير واضح.

(٢٥٩) الديرج **The dirge** في اللاتينة قصيدة ساخرة بلحن حزين، وهي قصيدة كورالية مفضلة في تراجيديا سينيكا، والجناس أداة سينيكية شائعة، وقد استُعمل هنا بطريقة ساخرة، ويتضمن الديرج هنا إنجازات حقيقية لكلاوديوس ولكن لهجته ساخرة، ليخلط الخير مع الشر والسخيف بحيث لا يؤخذ على محمل الجد.

ودعوا المنتدى يرن بأصوات الحزن

رحل مَن لا يُجارى عقله

فمَن الأشجع؟ لا أحد

غيره في العالم بأسره

هاجم بسرعة وواجه بخفة

الثوار البارثيين *Parthian* المهزومين.

وسعى الفرس لاستعمال الأسلحة الخفيفة

وبيد واثقة وجَّه القوس

فاخترق العدو.

وولى الميديون *Mede* ظهورهم للميدان

بخرق صغير.

والبريتونس *Britons* وراء البحار المعروفة.

والبريجانتس يحملون دروعًا زرقاء داكنة[٢٦٠].

أُجبر على ارتداء نير رومولوس

رج المحيط

بالفأس الروماني ومجالاتها الجديدة للإمبراطورية

احزنْ على القاضي الذي يبرِّئ قضاياه

أسرع من أي قاضٍ آخر

---

(٢٦٠) استعمل البريتون صبغة جافة داكنة تُسمى **woad** لتلوين عناصر متنوعة بما فيها الدروع.

فأحيانًا يسمعُ من طرف واحد

وغالبًا لا يسمع أي طرف

لم يبقَ القاضي الذي يستمع الدعاوي

على مدار العام!

مينوس *Minos* قاضي الموتى الصامتين

حاكم المائة مدينة كريتية

سوف يتقاعد ويمنحك كرسيه في المحكمة.

الطموا صدوركم بأصابع متألمة

آه أيها المحامون ارتابوا جنس البشر(٢٦١)

احزنوا احزنوا أيها الشعراء الضالعون

واحزنوا أيها المقامرون

يا مَن ربحتم السمين من صندوق النرد(٢٦٢).

١٣- ابتهج كلاوديوس بهذا الثناء كله، وأراد أن يمكث طويلًا للمشاهدة، ولكن ماركوري -نذير الآلهة- قبض عليه، ولف وشاحًا حول رأسه حتى لا يتعرف عليه أحد، وجره إلى حرم مارتيوس *Martius*(٢٦٣)، ودخلوا العالم

(٢٦١) حرفيًّا الأجناس الفاسدة **venale genus, a corrupt species**.

(٢٦٢) كانت هناك قوانين ضد المقامرة، ولكن هوس كلوديوس المعلن بلعبة النرد جعل من المستحيل تنفيذها.

(٢٦٣) ربما حُرقت رفات كلاوديوس على ضفة نهر، كانت جزءًا من حرم مارتيوس **Campus Martius**.

السفلي من البوابة بين التبر *Tiber* والطريق المكفور، وقد أخذ ناركسوس الحر طريقًا مختصرًا وسبقه (٢٦٤)، ونظف نفسه وطيَّبها بالاغتسال، وجاء ليقابل كلاوديوس، وقال: «لماذا تتساقط الآلهة لزيارة البشر؟» وقال ماركوري: «اذهب وأخبرهم أننا هنا».

وطار ناركسوس قبل أن ينتهي الحديث، ومال كل شيء فهون صعدته، ومع أن ناركسوس مصاب بالنقرس لم يستغرق لحظة حتى يصل إلى باب ديس *Dis* حيث يستلقي سيبيروس - الوحش ذو المائة رأس- كما يقول هوراس *Horace*(٢٦٥). وكان لناركسوس كلبٌ صغيرٌ لونه أبيض، فانزعج عندما رأى ذلك الكلب الأسود الأشعث، وهو لا يرغب أن يصطدم بهذا النوع في الظلام، وقال بصوت جهور: «كلاوديوس سيقترب من هنا»، وجاءوا من وسط الهتافات يغنون: «وجدناه، هيا نفرح»(٢٦٦). هنا كان جايوس سيلوس *Gaius Silius* المعين قنصلاً وجونكوس البرايتور *Juncus the praetor* وسكتوس تراولوس *Sextus Traulus* وماركوس هيلفيوس *Marcus Helvius* وتروجوس *Trogus* وكوتا *Cotta* وفيتيوس فالينوس *Vettius Valens* وفابيوس *Fabius* وبعض الفرسان الرومانيين الذين قتلهم ناركسوس. وكان وسط هذا الحشد من المغنيين منيستر *Mnester* الممثل الذي جعله كلاوديوس يراقب انضباط ميسالينا، وكان عمره

(٢٦٤) ناركسوس **Narcissus** الرجل الحر القوي، كان مرتبطًا بثقة بعهد كلاوديوس، وبالتالي كان هدفًا لعداء أجربيانا، وخرج من المدينة للعلاج من النقرس عندما قُتل كلاوديوس، وأمر بالانتحار حين عودته إلى روما، وهنا يصل إلى العالم السفلي قبل كلاوديوس؛ لأنه لم يتبع الطريق المنعطف للسماء.

(٢٦٥) انظر **Odes 2.13.33 ff**.

(٢٦٦) استعمل في اليونانية طقوسًا عجيبة في عبادة إيزيس، إنها تحيي باكتشاف ثور جديد، يُعتقد أنه تجسيد جديد لأوزوريس، وهكذا استُقبل كلاوديوس الذي أُقيمت له في التو جنازة على الأرض، وهو يُحيى باعتباره مولودًا جديدًا بين الأموات.

أقصر منها حيث قطع رأسه(٢٦٧).

وسرعان ما انتشرت الشائعات بأن كلاوديوس قد وصل، وأول مَن أسرع في الخروج من الأحرار بوليبوس *Polybius* ومايرون *Myron* وأربوكراس *Arpocras* وأمفيوس *Ampheus* وفيرونوتوس *Pheronaotus* كل الذين أرسلهم كلاوديوس أمامه، لذلك لم يفتقر إلى الحاضرين، ومن ثم اثنان من الحكام البرايتوريين وهما جوستوس كاتونيوس *Justus Catonius* وروفريوس بوليو *Rufrius Pollio*، ومستشاروه بيدو بومبيوس *Pedo Pompeius* وساتورنينوس لوكيوس *Saturninus Lusius* ولوبوس *Lupus* وسيلر أسينيوس *Celer Asinius* وكل المتميزين، وأخيرًا جاءت ابنة أخيه وابنة أخته وصهر أبنائه وصهره وصهرته وكل أقاربه، وجاءوا صفًّا لاستقبال كلاوديوس. وعندما رآهم كلاوديوس، صرخ قائلًا: "'العالم برمته مليء بالأصدقاء'(٢٦٨) كيف أنتم جميعًا هنا؟». فأجاب بيدو بومبيوس(٢٦٩): «ماذا تقول، أنت مثالًا للقسوة؟ تسأل كيف؟ ومن الذي أرسلنا إلى هنا سوى أنت، أنت قتلت كل أصدقائك، ودعونا نذهب إلى المحكمة، وهذه المرة سأريكم منضدة المدعى عليه ومقعد القاضي».

١٤- وقاده بيدو بومبيوس إلى قاعة محكمة أياكوس *Aeacus*(٢٧٠) الذي

(٢٦٧) كان منيستر ممثلاً وراقصًا يحظى بإعجاب كبير، ومن سوء الحظ أنه جذب انتباه ميسالينا، التي طلبت من كلاوديوس أن يأمره بأن يقضي كل ما أمرت به هي، ويبدو أنه فشل في الامتثال، وأمر كلاوديوس بإعدامه، ويخبرنا تاكيتوس أنه خلع كل ملابسه ليظهر للإمبراطور علامات الضرب الوحشي على جسده، ويريه أنه ضحية للقوة، وقال كلاوديوس: لا يهم سواء أكانت المسألة نتيجة إجبار أم اختيار- ومضى قدمًا في التنفيذ (Annals XI.36.1–3).

(٢٦٨) الشذرة في اليونانية جزء من الكوميديا.

(٢٦٩) غير معروف.

(٢٧٠) قاضي العالم السفلي التقليدي، بيده كل إجراءات محكمة العالم السفلي، يلقي نظرة على المؤسسات الرومانية المعروفة.

يترأس القضايا المرفوعة بموجب قانون القتل العمد[٢٧١]، وطلب بيدو الإذن بتوجيه التهمة ضد كلاوديوس[٢٧٢] وتلاوة الاتهام: حيث قتل خمسة وثلاثين عضوًا من السوناتو وواحدًا وعشرين فارسًا رومانيًّا وآخرين «مثلما ينثر حبيبات الرمال وذرات الغبار»[٢٧٣]، لم يجد كلاوديوس محاميًا يمثله، وظهر أخيرًا بوبليوس بترونيوس *Publius Petronius* صديق قديم له، وكان رجلًا فصيحًا بلسان كلاوديان[٢٧٤] وطلب الاستمرار، فرفض، وتلا بومبيوس الاتهام بهتاف جهور، وبدأ محامي الدفاع محاولة نقاش صاحبه في القضية، وأخبره أياكوس وهو رجل منصف بأنه لن يستطيع ذلك، وبعد سماع طرف واحد في القضية، أدان كلاوديوس قائلًا: هل تعاني مما أصبت به الآخرين، سوف يقام القسط المستقيم[٢٧٥].

وخيم صمت طويل، أصاب الجميع بالصدمة، مندهشين من حداثة الفكرة[٢٧٦]، وقالوا: هذا الأمر لم يحدثْ أبدًا. أما بالنسبة لكلاوديوس، فبدت الفكرة غير منصفة أكثر من الرواية[٢٧٧].

ودار نقاش طويل حول الجملة وما يجب أن يعانيه، وهناك مَن قالوا إن سيزيف قد دفع له حملًا على فترات، وإن تانتالوس سوف يموت من العطش ما لم

---

(٢٧١) أصدر القانون سوللا **the lex Cornelia de sicariis** عام ٨١ق.م والذي ينص على عقوبة الإعدام على القتل أو الشروع فيه.

(٢٧٢) يمكن المقاضاة بأي مواطن.

(٢٧٣) انظر **Homer Iliad, 9.385**.

(٢٧٤) حاز بيترونيوس **P. Petronius** على وظيفة متميزة ومعقولة حيث كان واليًا **proconsul** لآسيا من ٢٩-٣٠، وليس هناك دليل آخر على أنه كان صديقًا لكلاوديوس.

(٢٧٥) انظر في اليونانية **Hesiod frag. 286 M–W** وهو استشهاد بقول مأثور، والتركيز هنا على أن كلاوديوس يحصل على نوع العدالة المنحرفة التي قضى بها هو من قبل.

(٢٧٦) من المفترض أن العدالة قد تحولت إلى درجة عالية من الغموض في عهد كلاوديوس، حتى بدت فكرة العدالة المتزنة والمتداولة غريبة.

(٢٧٧) ما هو معروف عن كلاوديوس هو إجراء محاكمة دون سماع الطرفين.

يعنه أحد، وفي مرحلة ما ينبغي أن يأخذ أكسيون *Ixion* الفقير المكبح الموضوع على عجلاته، ولكن تقرر عدم إعطاء راحة للمتخاصمين القدامى، خشية أن يتوقع كلاوديوس في مرحلة ما الاعتبارات نفسها، وعليه أن يحلم بنوع جديد من العقاب، فبعض المهام العقيمة تنطوي على أمل لغاية دون أي نتيجة، ومن ثم أمره أياكوس بلعب النرد باستعمال صندوق النرد المثقوب من الأسفل.

وبالفعل بدأ كلاوديوس بتعقب مكعبات النرد التي تسقط دومًا، ولا يجدها في أي مكان:

١٥- وكلما حاول الرمي من حافة صندوق النرد

هرب المربعان من الفتحة المثقوبة في الأسفل

وعندما يلتقطهما بجرأة ويحاول رميهما مرة أخرى

مثل رجل على حافة اللعب ويحاول دومًا أن يلعب

فيخدع المكعب أمله

ويديم التخفي

فيميت التعامل المزدوج منزلقًا من أصابعه

مثل مَن يلمس قمة جبل

ويسقط سيزيف الحمل من على كتفيه

ولكن دون جدوى[٢٧٨].

(٢٧٨) ملحمة سداسية **Epic hexameters**، في الأصل لا يوجد بيت ناقص.

وظهر جايوس قيصر غفلة، وطلب من كلاوديوس باعتباره عبده، ودعا الشهود الذين رأوه وهو يضرب كلاوديوس بالسياط والعصي وكفوفه[٢٧٩]، وتُلِيَ حكم المحكمة: ومنحه أياكوس لجايوس قيصر، وهو بدوره أعطاه لرجله الحر ميناندر *Menander* ليكون كاتب قانونه المسؤول عن الالتماسات[٢٨٠].

❊ ❊ ❊

(٢٧٩) تشهد عدة مصادر على السلوك القاسي لكاليجولا تجاه كلاوديوس.

(٢٨٠) وينتهي الأمر بكلاوديوس الذي كان يعطي الأحرار سلطانًا فذًّا إلى أن يصبح خادمًا بلا سلطان ووظيفة مملة.